

إتحاف ذوي النجابة

بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة

تأليف

صاحب الفضيلة الشيخ

محمد العربي بن التباني المغربي السطيفي

المدرس بمدرسة الفلاح والحرم المكي الشريف

المولود سنة ١٣١٥ والمتوفى سنة ١٣٩٠

رحمه الله تعالى

مراجعة وتدقيق

الشيخ محمد عبد الله ناصر الموزعي

المكتبة المكية



الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

المكتبة المكية

حي المسفلة - مكة المكرمة - السعودية - هاتف وفاكس: ٥٣٤٠٨٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي مَيَّزنا على سَائر الحيوانِ بحُسْن الصُّورة والعقل، وأكرَمنا بالدرايةِ والكثير الجيِّد من علم النقل، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا محمدٍ المبعوثِ لكلِّ الأممِ بالقَول الفَصْل، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ النَّاشرين ألوية شريعَته على الغَبْرا بالحججِ السَّاطعة المزيلة لكل امْتِرا فتمتَّعت الأمم بظلها الظليل، وتنعَّموا في رياض معارفها جيلاً بعد جيل.

أما بعد فإنَّ كثرة العلماء والمؤلِّفين والحفَّاظ من خَصَائص الأمةِ الإسلامية، وعِلمُ التاريخ من العلوم التي يَسعى لتحصيلها كل ذي همَّةٍ عالية، فوائدُهُ كثيرة، منها معرفة علماء الإسلام، فمن العلماء من خصَّصَ تصنيفه بطبقات الصحابة والتابعين كابن سعد في «طبقاته»، ومنهم من خصَّه بالصحابة فقط كالحفاظ ابن منده وابن عبد البر وابن الأثير، ومنهم من ألَّف في تراجم العلماء عموماً على اختلاف أزمانهم وبلدانهم كابن خلِّكان في «وفياته»، ومنهم من عمَّ في العلماء على اختلاف مذاهبهم وبلدانهم وخصَّ في الزمن، وأول من عمل هذا فيما علمت من العلماء لسان

الدين بن الخطيب السلماني الوزير الأندلسي[1] في (الكتيبة الكامنة في أعيان المائة الثامنة)، ثم ابن حجر العسقلاني في (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)، ثم تلميذه السخاوي في (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع) وتتابع العلماء على هذا المنهج إلى القرن المنصرم.

ومنهم من صنَّف في تاريخ البشر من عهد آدم عليه السلام إلى زمنه، وأدرج فيه الملوك والخلفاء والأمراء والحروب والحوادث ووفيات الأعيان كابني جرير والأثير.

ومنهم من خصَّ ذلك بأسماء البلدان والقرى والأماكن وضبط أسمائها، وأدرج فيه أعيان العلماء على اختلاف مذاهبهم وأزمانهم كياقوت الحموي في «معجمه».

ومنهم من خصَّ ذلك ببلده وأدرج فيه علماءه والراحلين إليه من العلماء على اختلاف مذاهبهم وأزمانهم كالحفاظ أبي بكر بن ثابت في «تاريخ بغداد» وذيله لابن النجار، وأبي القاسم بن عساكر في «تاريخ الشام»، وأبي

---

(١) هو ذو الوزارتين: وزارة السيف والقلم، وذو العُمُرين: لاشتغاله بالتصنيف ليلاً، وبتدبير الملك نهاراً، المتوفى سنة ٧٧٦ عن ثلاث وستين سنة، وباسمه ألّف المقرّي كتابه النفيس «نفح الطيب» انظر: «الأعلام» ٦ : ٢٣٥ ومصادره.

عبد الله الحاكم في «تاريخ نيسابور»، والسمعاني في «تاريخ مرو»، وتواريخ طوس، وجرجان، وسمرقند، وبخارى، وأصبهان، وهراة، وبلخ، والموصل، والأندلس، وإفريقيَّة، ومُراكش، وفاس، وتلمسان، وبجاية، والقيروان، ومصر، واليمن، ومكة، والمدينة، وهندستان، وغيرها مما لا يمكن استقصاؤه لاتِّساع المملكة الإسلامية وعزّتها، وكثرة مدنها وعلمائها في القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا.

وطبقات الفقهاء في المذاهب الأربعة، وطبقات النحاة واللغويين والأدباء والأطباء والحفاظ والفرضيين لا تخفى على الممارس لهذا العلم، والمؤلِّفون في هذه الأنواع كلها لا يمكن حَصْرهم.

وقد رأيت جماعةً من علمائنا السالفين ترجموا أنفسهم فإجابةً لطلب من حَسُنَ ظنّه بي وتأسِّيًا بأولئك الأفاضل وتطفلاً على موائدهم وإن كنت خالي الوفاض أقول:

النَّسب والوِلاَدة والمَنْشأ

الاسم: محمد العربي بن التبَّاني بن الحسين بن عبد الرحمن بن يحيى بن مخلوف بن أبي القاسم بن علي بن عبد الواحد، يتَّصل نسبي بعبد السلام ابن مشيش: واتصال نسب عبد السلام بن مشيش بإدريس بن عبد الله

الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب مؤسّس دولة الأدارِسَة بالمغربِ الأقصى معلوم في التاريخ وكتب الأنساب، والناس كلُّهُم من آدمَ عليه الصلاة والسلام، وآدمُ من ترابٍ.

وُلدت بقريةِ رأسِ الوادي من نِواحي مَدينة سطيف من إقليم الجزائر بالمغرب المتوسط من إفريقيّا الشمالية سنة خمس عشرة وثلثمائة وألف للهجرة، وتلقَّنت كتاب الله فحفظته في كتاب القرية وعمري اثنتا عشرة سنة، وحفظت معه بعض متون العلم كالرحبية، وتلقَّيت مبادىء العقائد والفقه والنحو على عادةِ تلك البلاد على مشايخ أجلّهم الشيخ عبد الله بن القاضي اليعلاوي.

الرّحلة إلى تونس ثم إلى المدينة المنوّرة

بعد البلوغ بنحو سنتين رَحَلتُ إلى تونس مكثتُ فيها أشهراً حَضَرتُ فيها عند بعض مشايخ جامع زيتونة دروساً في الفقه والنحو والصرف والتجويد مع حفظي لبعض متون أخرى، ثم رحلتُ إلى المدينة المنورة فدخلتُها في أول سنة اثنتين وثلاثين للهجرة أدركتُ فيها مشايخ جِلّة لازمتُ دروسَهم، فمنهم الفقيه الصالح الشيخ أحمد بن محمد خَيْرات الشنقيطي قرأتُ عليه كثيراً، قرأت عليه مختصر

العلامة خليل في فقه الإمام مالك بشرح الدردير، وسُنن أبي داود، وسيرة ابن هشام، والرسالة البيانية، وقطعة من أشعار الصحابة، وديوان النابغة، والمعلَّقات السبع، توفي رحمه الله سنة ست وثلاثين وثلثمائة وألف.

ولازمت شيخنا العلامة المحقِّق حمدان بن أحمد الونيسي، قرأت عليه تفسير الجلالين، وألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل، وجَوْهرة اللقّاني، واستفدتُ منه كثيراً، وأجازني بجميع مروياته بخطه كما أجازني مشايخ آخرون بمثل ذلك توفي رحمه الله سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وألف.

ولازمتُ شيخنا العلامة المحقِّق الشيخ عبد العزيز الوزير التونسي، قرأتُ عليه قسماً من موطأ الإمام مالك بشرح الزُرقاني، وأبواباً من مختصر العلامة خليل بشرح الدردير، وقسماً من ألفية ابن مالك بشرح الأُشموني من باب الإضافة إلى باب المُنادى، توفي رحمه الله سنة ست وثلاثين وثلثمائة وألف.

وقرأتُ على العلامة الصالح اللغوي محمد محمود قاضي بلدة شنقيط المعلَّقات السبع، ونظم أنساب العرب للبدوي الشنقيطي.

الرّحلة إلى الشام ثم إلى أمّ القرىٰ

بعد نهضةِ الشريف الحسين بن عليٍّ علىٰ التُّرك خَرَجتُ إلى دمشق الشام كما خرج من المدينة أكثر سكانها بحكم ضرورة الحرب فمكثت فيها أشهراً لم أتعلم شيئاً أعالج الحياة في تلك الظروف العصيبة غير أني كنت أتردد إلى مسجد بني أمية للصلاة، وزُرت مرة مكتبة الملك الظاهر وأخرى دار الحديث الأشرفية.

ثم خرجت منها قاصداً أم القرى والحرب لا زالت مشتعلة في أنحاء البلاد العربية فَوَصَلت إلى العَقَبة بعد شهرين تقريباً بعد مكابدات ومخاطرات، ثم وصلت إلى مكة المكرمة في شهر رجب سنة ست وثلاثين وثلثمائة وألف، فحضرت بالمسجد الحرام دروسَ العلاّمة المحقِّق الشيخ عبد الرحمن الدهّان، وقرأتُ عليه شرح الشيخ زكريا الأنصاري على ايساغوجي بحاشية العطار، وتوفي رحمه الله سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وألف.

وحضرتُ على إمام المعقول العلاّمة المحقّق الشيخ مُشْتَاق أحمد الكانفوري القُطْبي على الشَّمسية بحث التصوُّرات فقط، وتوفي رحمه الله سنة ثلاث وستين وثلثمائة وألف.

التصدّي للإفادة والاستفادة

وفي سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وألف وُظِّفْتُ مدرّساً في مدرسة الفلاح، درَّستُ فيها من ذلك التاريخ إلى الآن عدة فنون: التفسير والحديث والفقه والفرائض والسيرة النبوية والتجويد والنحو والصرف والبيان والتاريخ الإسلامي، وألقيت في هذه المدة دروساً بالمسجد الحرام في التفسير والحديث والفقه والفرائض والسيرة النبوية والنحو والبلاغة والتاريخ الإسلامي، وختمت فيه ولله الحمد كتباً كباراً، منها: موطأ الإمام مالك، والصحيحان، وتفاسير البَيْضاوي والنَّسفي والخازن وابن كثير، وسيرة ابن هشام، وعُقود الجُمان، والإتقان في علوم القرآن، وإحكام الأحكام للآمدي، وجَمْع الجوامع لابن السُّبكي، وأتْمَمْتُ مطالعة كثيرٍ من الكتب الكبيرة والصغيرة منها «فتح الباري»، والإصابة، والدرر الكامنة، ولسان الميزان للحافظ ابن حجر، وجامع بيان العلم وفضله، والاستيعاب للحافظ ابن عبد البر، وتاريخا ابني جرير والأثير، وطبقات ابن سعد، وتواريخ ابن الوردي وأبي الفدا وابن الشحنة والجبرتي والقرماني، وخِطَط مصر للمقريزي، والمرآة لليافعي، والمُنْتظم لابن الجوزي، والبداية لابن كثير، وتذكرة الحفّاظ للذهبي، وطبقات الشافعية والمالكية والحنفية لابن السبكي

وابن فرحون وعبد الحي اللكنوي، وطبقات الحنابلة ومختصرها لابن رجب، والبسْتان في تراجم علماء تلمسان، وعنوان الدراية في تراجم علماء بجاية، ومعالم الإيمان في تراجم علماء القيروان، والإحاطة في تاريخ غرناطة، وكتباً كثيرة متنوعة غير هذه، واستفدتُ من الأقران.

التأليفُ والكِتَابة

لا رغبةَ لي في التأليف ما لم يكن لإحقاق حقٍ وإبطال باطل، أو دفاع عن الإسلام ورجاله العدول عملاً بقول القائل: ما ترك الأول للآخر شيئاً، وهذا الكلام صحيح منطبق على العلوم العربية والشرعية بجميع فنونهما، فمنذ قرون انقطع المستنبطون والمستخرجون للنكات البديعة من هذه الفنون، وصار المؤلف الحاذق من يستطيع أن يلخِّصَ كلام السابقين ويخرجه للناس في أسلوب موجز، قالوا: وربما ألف في فن من الفنون من لا يُحسنه، فما أصح علم من تقدم، هذا مع كون المتأخرين وصلت إليهم ثروة عظيمة من تصانيف المتقدِّمين، وكفتهم المطابع في هذا القرن عناء الرحلة والنسخ والمقابلة والأثمان الباهظة، ومع هذا كله قلَّ العلم وازدَادت الدَّعاوي فيه كثرةً، فَرحم الله العلامة الناظم الناثر أبا الحجاج البلوي الأندلسي أحد

أعيان المائة السابعة، ومؤلف كتاب «ألف باء» النفيس إذ قال:

خذ من هنا ضع ههنا وقل مؤلفه أنا

وإنيْ مع قلَّة بضاعتي في هذه العلوم التي قتلت بحثاً وتحقيقاً ولم يبق فيها مقال لقائل أقحمتُ نفسي في كتائب المؤلفين قبلي:

١ ـ تنبيه الباحث السري إلى ما في رسائل وتعاليق الكوثري.

٢ ـ تحذير العبقري من محاضرات الخضري.

٣ ـ إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة. [وهو الكتاب الذي بين يديك]

٤ ـ إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات.

٥ ـ اعتقاد أهل الإيمان بالقرآنِ بنزول المسيح ابن مريم آخر الزمان.

٦ ـ خلاصة الكلام فيما هو المراد بالمسجد الحرام.

٧ ـ نزهة الفتيان في تراجم بعض الفتاك والشجعان.

٨ ـ محادثة أهل الأدب بأخبار وأنساب جاهلية

العرب[١] .

والله أسأل أن يعلمني ما جهلت وينفعني بما علمت، حَرَّرها محمد العربي بن التباني حامداً مصلياً مسلماً[٢] .

---

(١) ويضاف إلى مؤلفاته رحمه الله تعالى:

٩ ـ التعقب المفيد من هدي الزرعي الشديد، تعقب فيه العلامة ابن القيم في بعض المسائل التي ذكرها في كتابه «زاد المعاد» .

١٠ ـ حلبة الميدان ونزهة الفتيان في تراجم الفتيان والشجعان.

١١ ـ براءة الأبرار ونصيحة الأخيار من خَطَل الأغمار.

١٢ ـ مختصر تاريخ دولة بني عثمان.

١٣ ـ إدراك الغاية من تعقب ابن كثير في البداية.

(٢) توفي بمكة المكرمة في شهر صفر الخير سنة ١٣٩٠، ودفن بالمعلا، رحمه الله تعالى.

تقديم

العلامة الشيخ السيد محمد أمين كتبي

رحمه الله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاةُ والسلام على سيِّدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فهذه رسالةُ فضيلة شيخنا العلاَّمة المحدِّث المؤرِّخ النسَّابة الجامع بين المعقول والمنقول، مَفْخَرة العصر، مولانا الشيخ محمد العربي حفظه الله تعالى. «إتحاف ذوي النجابة» إلى القرَّاء الكرام تنطق بالحق في شأن الصحابة الفخام، وتنوِّه بفضلهم، وتشهد ببيان الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد، ونصرة الإسلام، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأبناء، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، وتهتف بنزاهتهم وعدالتهم بشهادة الله تعالى وبشهادة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنهم أفضل من جميع من جاء بعدهم؛ وأنَّ إجماعهم

حجة، وأنهم محفوظون، وإلا لما اتَّصفوا بالخيرية، وأنهم جميعاً في الجنة لا يدخل النار منهم أحد.

وقد تكلم فضيلة المؤلف حفظه الله تعالى في هذه الرسالة المباركة على سبع عشرة آية في فضائل الصحابة الكرام، منها ما يخصُّهم، ومنها ما يعمُّ الأمة فيدخلون فيه دخولاً أولياً.

فهنيئاً لهم بثناء الله تعالى عليهم، ورضاه عنهم، ووصفه تعالى لهم بقوله جل ذكره: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

وهنيئاً لهم بصحبتهم لرسولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم، ورؤيةِ وجهِهِ الشَّريف، وخدمتهم له، وسفرهم معه، والصلاةِ وَرَاءه، ومشاهدةِ معجزاته، وشهودِ نزول الوحي عليه، والأخذِ عنه، والاستفادةِ منه، والتمتُّع بمجالسه الشريفة، والاقتداءِ بشمائله الكريمة، وتفديتهم له بكلِّ رخيصٍ وغال، ولا شكَّ أنَّ الله تعالى ادَّخرَهم من الأزلِ لصحبةِ حبيبِهِ الذي اختارَهُ من الخلقِ أجمعين، فهي عنايةٌ من اللّهِ تعالى بهم سَابقة، جرىٰ بها القلم ونَفَذ بها الحكم، ومن

ثمَّ أخبر صلى الله عليه وسلم أنهم كالنُّجوم بأيِّهم اقْتَدينا اهْتَدينا، وأنَّ أحدنا لو أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، وقد بَسَط شيخنا حفظه الله تعالى القول في تفسير تلك الآيات وما يستنبط منها الأحكام كالدلالة على صحة خلافة الخلفاء الأربعة، وعدم إسلام المبغضين للصحابة، وما يستفاد منها من المعجزات والأخبار المغيَّبات، وطرَّزها بالأحاديث النبوية، ونَثَر خلالها بعض الحكايات التي وقعت للسلف مما كان له أثرٌ كبير في الصدور، ولم يكتف بهذا القدر في فضل الصحابة الكرام ومناقبهم، حتى ضرب حولهم سوراً من المحافظة عليهم، والدفاع عنهم، وإبطال أقوال المنتقصين لهم والمتمرِّدين عليهم كالرافضة والشيعة والمعتزلة والخوارج، ودحض حججهم، وتزييف آرائهم، في عبارات مشرقة وبيان ناصع وديباجة فاتنة، مما لا يضطلع به إلا أمثال شيخنا ممن مارسوا العلم وخاضوا بحاره وذاقوا طعمه ذوقاً كاملاً.

ثم خَتَمَ ذلك بخاتمةٍ في ذكر بعض فَضَائل الصَّحابة عموماً وخصوصاً من سنته عليه الصلاة والسلام، وقد جمعت هذه الخاتمة الكثير الطيب، وجديرٌ بها أن تكون رسالةً مستقلةً يقرؤها الطلاب في المدارس لما فيها من علمٍ غزير وخيرٍ كثير.

وَلَعَمْري لقد أحسَنَ شيخنا صنعاً بتأليفِ هذه الرسالة في وقتٍ نحن أحوج ما نكون فيه إلى معرفة سِيَرَ الصحابة الكرام والاقتداء بهم، والنسج على منوالهم، والتخلُّق بأخلاقهم، والتأدُّب بآدابهم، فإنا لا نصلح إلا بما صلحوا به؛ وليست حالنا اليوم التي نحن عليها والتي نشكو منها إلا بتقصيرنا وتراخينا على الواجبات، حتى انعكست الأوضاع، فأصبح الأمر التافه مهمًّا والمهم تافهاً، ولا بد أن يقيِّض الله تعالى في كل عصر دعاة إلى الإصلاح ومرشدين إلى الهدى.

ولا رَيْب أنَّ فضيلة شيخنا ممَّن بَرَزَ في هذا الميدان، وحازَ قَصَب السَّبْق، فله في كلِّ فضيلة ذكرٌ، وفي كل صالحة أثرٌ، وإني لا أعتقد نفسي أهلاً للبلوغ به إلى ما يستحقُّه من الثناء، وما يستوجبُهُ من التقدير، فهو غنيٌّ بفضله وعلمِهِ عن التعريف، ولكني أجد قلبي معموراً بحبه، وهذا الذي جرَّأني على كتابة هذه المقدمة تتبعها كلمة شعرية، وهي أقل ما يجب، طالباً من الله تعالى أن ينفعني وينفع المسلمين بهذا المؤلف الجليل، وبجميع مؤلفاته النافعة، وأن يبارك لنا في حياته لخير الإسلام والمسلمين.

مَنْ كان يعتزُّ في علمٍ وفي أدب
بشيخه فأنا أعتزُّ (بالعربي)
شيخٌ تمكَّن فيه الفضل فانبثقت

أنواره فحكت سيارة الشُّهب
فانظر إلى سِفره هذا تجد عجباً
عِقْداً يؤلف بين الدرِّ والذهب
أراد نصرةَ أصحابِ الرسول به
فجاءَ سيفاً عليه طابع الكتب
كم ليلةٍ أنا منه في صحائفه
في روضةٍ وغديرٍ فاتنِ الحَبَب
هذا ربيعٌ فلا تَعْجَب إذا جمعت
هذي الحدائق بين الزهر والعشب
وللعلوم ربيع كالرياض ترى
فيه الفرائد من أبكارها العُرُب
يا روضة قد صَفَتْ أنهارها وَدَنَتْ
قطوفُها من يد العَطْشان والسغب
فيك المناظر شتَّى والمنى شعب
والعلم والفضل مقرونان في سبب
فمن أحلك في هذي الربى وبنى
عليك سورين من نخل ومن عنب
ومن أنالكِ ألواناً مشكلة

من المحاسن فيها كل منتخب
ومن أفاض عليك الماءَ مطَّرداً
أليس ذا شيخنا العلامة (العربي)؟
فطالما جدَّ في التعليم مجتهداً
وطالما جدَّ فيما قبل في الطلب
حياته كلها نفعٌ وفائدةٌ
ما اعتاضَ عن جده في العلم باللعب
وتلك آثاره الغرّاء شاهدة
بأنه في المعالي في ذرى الرتب
لا شيءَ أعذب من ألفاظه فإذا
ما انهلَّ في الدرس كان الدرس من ضرب
يفيض كالبحر في الأصلين مندفقاً
وفي التواريخ والآلات كالسُّحُب
وذلك الحقل حقل العلم أكثره
من غرسه نال منه منتهى الأرب
فقل لمن بات يرجو أن يكون له
في العلم شأن بلا كدّ ولا تعب
هوِّن عليك فليس العلم شَقْشَقة

بين الرجال وليس العلم كالخطب
فاسلك إلى العلم نهجاً واحداً قيماً
إن السبيل إِليه غير منشعب
العلم صبرٌ وإخلاص وتضحية
وصحبة الشيخ بالتعظيم والأدب
العلم ما رفع الإنسان في بصر
بأمره فيرى الأشياء من كثب
العلم نقل وأقوال مسلمة
لقائليها وفهم غير مؤتشب
العلم ما هزّ أوتار القلوب وما
هدى النفوس لفعل الخير والقرب
العلم ما طهَّر الأخلاق من دَنَس
والعلم ما رنح الأعطاف من طرب
العلم وصف شريف للأولى اتصفوا
به فكان بينهُم أقوى من النسب
العلم يبرأ ممن ليس يعرفه
فما يفرق بين النبع والغرب
العلم يبرأ ممن ليس يعرفه

فما يفرق بين الرأس والذنب

والعالم الفرد من تلقاه منفرداً

كأنه سائر في جحفل لجب

ثم الصلاة على خير الورى نسباً

وآله السادة المختارة النجب

وصحبه من أقاموا الدين عالية

أركانه محكم الأوتاد والطنب

والتابعين وأهل العلم ما بقيت

هذي العلوم على الأيام والحقب

مكة المكرمة يوم **الجمعة** ١٣٦٨/٥/٢٦هـ

محمد أمين كُتُبي

خادم العلم الشريف

بمدرسة الفلاح والمسجد الحرام

عفا الله عنه

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ذي الجلالِ والإكرام، والطَّوْلِ والإنْعام، المدبِّر لخلقِهِ، بما سَبَق في علمِهِ وقضائِهِ، المتفضِّلِ بالإيمان - على مَنْ شاءَ منهم - به وبأنبيائِهِ، والصَّلاةُ والسلامُ على المرْسَل رحمةً للعالمينَ، مبيِّناً للناس كتَابَ الله المبين، ومؤيِّداً بنصرهِ تعالى وبالمؤمنين، وعلى آلهِ الأطهار، وأصحابه الأبرار، الناشرين لواء الإسلام بالبراهين والصَّوارم على الأمصار، المعتَرَف لهم بأنهُم رهبانٌ بالليل فرسانٌ بالنهار.

أما بعد: فقد عنَّ لي منذ سنينَ خلَت لما كتبتُ نبذةً يسيرة على محاضرات الخضري في نَقْده الصحابة وبعض الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم خطلاً: أن أكتبَ رسالةً تتضمَّن فضائلَ الصَّحابة في القرآن والسنة، تنويهاً برفعةِ أقْدارهم، وتنبيهاً لأبناء المسلمين على عظمة أخطارهم، فقد جهلت ناشِئَتُنا المتعلمون مناقبَهم وتاريخهَم المجيد، وَرَغِبوا عن الاعتناء بسيرة من شيَّد لهم صَرْحَ هذا المجد الْخالد،

واعْتَنَوْا بسيرةِ من لا يُدانيهم في كلِّ شيء ممَّن جاء بعدهم، بل اعتنى البعضُ منهم بتاريخ بعض الغربيين، ثم أعرضتُ عن ذلك تعويلاً على ما جَعَلَ الله في قلوب المسلمين الذين سَلِمتْ عقيدتُهم من الزَّيغ لهم من الاحترام والتبجيل، وعلى أنَّ مبغضهم ومنتقدهم نابح الكواكب النيِّرات، وناطح الجبال الثابتات:

فما العِزُّ للإسلام إلا بظلِّهم

وما المجدُ إلا ما بَنَوْه فَشيَّدوا

الباعث على انجاز الرسالة وترتيبها

وقد وقفتُ على مقالةٍ لكاتب إيراني يُدعى حيدر علي منشورة في مجلة تسمى (نور دانش) عدد ٢٦، كتبها على زعمه بمناسبة ميلاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإذا فيها من الغلوّ والتناقضات في أبي الحسن رضي الله عنه، وَوَصْم سادات الصحابة والافتراء عليهم ما لا يستسيغ قلم من له أدنى مَسكة من عقل ودين كتابتَه، ولولا أني طلب مني نقضها ما أجْرَيتُ القلم في ميدان هذيانها، لأنها ليست كتابة علميَّة تستحق الرد والتفنيد، فرجعت إلى إنجاز كتابة الرسالة على النعت المذكور، وجعلتها مقصودي بالذات، ونقض مقالة الرافضي تبعاً، فذكرتُ الآيات القرآنية

الدالة على فضائلهم أولاً، وعزَّزتها ببعض حجج السنة الثابتة، وطرزتها بخلاصة أقوال المفسرين وغيرهم، ثم سقت بعد ذلك المقالة المذكورة مع نقضها، وختمتها ببعض الأحاديث الدالة على فضائلهم عموماً وخصوصاً، وسَمَّيْتُها:

«إتحاف ذوي النَّجَابة بما في القرآن والسُّنَّة من فَضَائِل الصَّحَابة»

مَصَادِرُ هذه الرسالة

مصادر هذه الرسالة من عدة كتب، منها الجامع الصغير للسيوطي، والصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، وكامل الحافظ ابن الأثير، وحلية الحافظ أبي نعيم، والإصابة لابن حجر، وأحكام القرآن للقاضي أبي بكر بن العربي الأشبيلي. ومن عدّة تفاسير، منها الخازن، والنسفي، والقرطبي، والثعالبي.

تعديلُ كتاب الله عز وجل للصحابة

وإجماع من يعتدُّ به

من أهل الحق على ذلك

عدالة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ثابتةٌ معلومة لكلِّ مسلمٍ، بنصوص القرآن الصريحة بتعديل اللهِ لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في آيات كثيرة وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها، وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاج أحدٌ منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحدٍ من الخلق، وأجمع من يعتدُّ به من أهل الحق على أنَّ جميعهم عدولٌ، ولم يخالف في ذلك إلا شُذّاذ من المبتدعة، على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيءٌ لأوْجَبَت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأبناء والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين، القطع بتعديلهم، والاعتقاد بنزاهتهم، وأنهم كافَّة أفضل من جميع الخالفين بعدهم والمعدلين الذين جاءوا من بعدهم.

عدالتُهم وكلامُ الحافظ أبي زرعة الرازي

فيمن ينتقِصُ أحداً منهم

ولأجل ذلك قال الإمام الحافظ أبو زرعة الرازي رحمه الله: إذا رأيتَ الرجلَ ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أنَّ الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يَجْرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة.

وقال أيضاً لمن قال له: إني أبغض معاوية، فقال له الحافظ: ولمه؟ قال: لأنه قاتل علياً بغير حق، فقال له أبو زرعة: ربُّ معاوية ربٌّ رحيم، وخَصْمُهُ خصم كريم، فما دخولك بينهما؟!!! اهـ.

القرآن أعظم معجزات النبيّ صلى الله عليه وسلم الخالدة

قد اعتنى حفَّاظ الأمة الإسلامية بتدوين معجزاته عليه الصلاة والسلام وضبطها، فبلغت نحو الألف. وأعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم القرآن الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام: «سَتكونُ فتنٌ كقِطَعِ الليْلِ المُظْلِم. قُلْتُ: يا

رَسُولَ الله، ومَا المخْرَجُ مِنها؟ قال: كتابُ الله تبارَكَ وتعَالى، فيه نبأ مَنْ قبْلكمْ، وَخَبرُ مَا بعدَكَمْ، وَحُكْمُ مَا بيْنكمْ، هُوَ الفَصلُ ليْسَ بالهزلِ، مَنْ تَركَهُ منْ جبَّارٍ قَصَمهُ اللّهُ، وَمَنْ ابْتَغى الهُدَى في غيْره أضَلهُ اللّهُ، هُوَ حَبْلُ اللّهِ المتينُ، وَنورُه المبينُ، والذِّكرُ الحكِيمُ، وَهُوَ الصِّراطُ المستقيمُ، وَهوَ الذي لا تَزيغُ به الأهواءُ، ولا تُلتَبسُ به الألسنَةُ، ولا تَتشعَّبُ مَعهُ الآراء، ولا يشبع منهُ العُلماء ولا يملُه الأتقياء، ولا يَخْلَقُ على كَثْرةِ الرَّدِّ، وَلا تنقضي عجائبهُ، وهو الذي لم تنتهِ الجنُّ إذْ سَمِعَتْهُ أنْ قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً، مَنْ عَلمَ عِلْمَه سَبقَ، ومَنْ قالَ به صدقَ، ومنْ حكم بهِ عَدلَ، وَمنْ عمل به أُجِرَ، ومَنْ دعا إليهِ هُدِيَ إلى صِراطٍ مُستقيمٍ» أخرجه الإمام أحمد والترمذي عن علي رضي الله عنه.

فقد تضمَّن كتاب الله جميع مصالح الخلق الدينية والدنيوية إجمالاً وتفصيلاً عموماً وخصوصاً، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم بيَّن لنا جميع ما اشتمل عليه كتاب الله بطريق العموم والإجمال، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾.

ولا ريب عند جميع العقلاء أنه عليه الصلاة والسلام قد علَّم أمته جميع ما يحتاجون إليه من خَيري الدنيا والآخرة،

وحذَّرهم ونهاهم عن جميع ما يضرُّهم في دينهم ودنياهم، وقد أمرنا الله بالعمل بما جاءنا به صلى الله عليه وسلم والانتهاء عن فعل ما نهانا عنه عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

وفي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعَن اللّهُ الوَاشمات والمُستَوشماتِ، والمتنمِّصات، والمتفلِّجاتِ للحُسنِ، المغيِّراتِ لخلقِ الله». فبلغ ذلك امرأة من بني أسد فجاءته فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت، وكيت، فقال: وما لي لا ألعن من لَعَن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في كتاب الله؟ فقالت: لقد قرأتُ ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول. قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؟ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه، وذكر لها الحديث المذكور.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ومما نهانا عنه عليه الصلاة والسلام سبُّ أصحابه وبغضهم، ومن المحال في العقول السليمة أن تكون هذه الشريعة العظيمة الواسعة التي بيَّنها لنا عليه الصلاة والسلام محصورة في القرآن فقط وفي روايات قليلة مُختَلَقة، وأن تكون هذه الأمة العظيمة الكثيرة النبيلة الممدوحة في القرآن

وفي سائر الكتب السماوية محصورة في أفراد قليلين، وقد مدح القرآن عامة الصحابة في آيات كثيرة.

١ ـ في سورة البقرة

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ الخطاب فيها لجميع الأمة الإسلامية من أوَّلها إلى قيام الساعة، فيدخل فيه الصحابة قبل بقية الأمة، فقوله تعالى: ﴿وَسَطًا﴾ أي: خياراً وعدولاً، وخيرُ الأمور أوسطها، قال زهير.

همو وسط يرضى الأنام بحكمهم

إذا نَزلت إحدى الليالي بمعظم

والمعنى: كما جعلت قِبْلتكم خير القِبَل، وجعلتها متوسِّطة بين المشرق والمغرب، جعلتكم خير الأمم وسطاً بين الغلو والتقصير، لم تغلوا غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالألوهية، ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بأنه ولد الزنا، فأنبأنا ربنا تبارك وتعالى بما أنعم به علينا من تفضيله لنا باسم العدالة، وتولية خطة الشهادة على جميع الناس، فجعلنا أولاً مكاناً وإن كنا آخراً زماناً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نَحنُ الآخِرُون السَّابِقون».

ولا شك أن الصحابة رضوان الله عليهم أحق من كل

أحد من أمته عليه الصلاة والسلام بهاتين الصفتين، وهما العدالة والشهادة على جميع الأمم يوم القيامة بأن أنبياءهم قد بلّغوهم رسالة الله.

روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ألا وإنَّ هذهِ الأمَّةَ تُوفِي سبعين أمَّةً هي آخرُها وخيرُها وأكرمُها على الله تعالى».

وفيها دليل على صحة الإجماع ووجوبُ الحكم به، لأنهم إذا كانوا عدولاً شهدوا على الناس فكلُّ عصر شهيد على من بعده، فقول الصحابة حجة وشاهد على التابعين، وقول التابعين حجة على من بعدهم، وإذا جعلت الأمة شهداء فقد وَجَب قبول قولهم، وقد احتجَّ بها جمهور أهل السنة وجمهور المعتزلة على حجيَّة إجماع الأمة، فقالوا: أخبر الله تعالى عن عدالة هذه الأمة وعن خيريتهم، فلو أقدموا على شيء من المحظورات لما اتَّصفوا بالخيرية، وإذا ثَبَتَ أنهم لا يقدمون على شيءٍ من المحظورات وَجَبَ أن يكون قولهم حجة.

فإن قيل: الآية متروكة الظاهر؛ لأنَّ وصف الأمة بالعدالة يقْتضي اتِّصاف كل واحد منهم بها، وخلاف ذلك معلومٌ بالضرورة، فلا بدَّ من حملها على البعض، فنحن نحملها على الأئمة المعصومين.

سلمنا أنها ليست متروكة الظاهر، لكن لا نسلم أنَّ الوسط من كل شيء خياره وهو معترض بوجهين.

الأول: أنَّ عدالة الرجل عبارة عن أداء الواجبات واجتناب المحرمات، وهذا من فعل العبد، وقد أخبر الله تعالى أنه جعلهم أمة وسطاً. فاقتضى ذلك أن كونهم وسطاً من فعل الله تعالى، وذلك يقتضي أن يكون كونهم وسطاً غير كونهم عدولاً، وإلا لزم وقوع مقدور واحد بقادرين وهو محال.

الثاني: أن الوسط اسم لما يكون متوسطاً بين شيئين، فجعله حقيقة في العدالة والخيرية يقتضي الاشتراك وهو خلاف الأصل.

سلمنا اتصافهم بالخيرية ولكن لم لا يكفي في حصول هذ الوصف الاجتناب عن الكبائر فقط؟ وإذا كان كذلك احتمل أنَّ الذي أجمعوا عليه وإن كان خطأً لكنه من الصغائر فلا يقدح ذلك في خيريتهم، ومما يؤكد هذا الاحتمال أنه تعالى حكم بكونهم عدولاً ليكونوا شهداء على الناس، وفعل الصغائر لا يمنع الشهادة.

سلمنا اجتنابهم الصغائر والكبائر ولكن الله تعالى بيَّن أن اتصافهم بذلك إنما كان لكونهم شهداء على الناس،

ومعلومٌ **أن** هذه الشهادة **إنما تتحقق في الآخرة**، **فيلزم** وجوب تحقق عدالتهم هناك، لأنَّ عدالة الشهود **إنما تعتبر** حالة الأداء لا حالة التحمُّل، وذلك لا نزاع فيه، **لأنَّ الأمة** تصير معصومة في الآخرة، فلم قلتم إنهم في الدنيا **كذلك؟**

سلمنا وجوب كونهم عدولاً في الدنيا، لكن **المخاطبين** بهذا الخطاب هم الذين كانوا موجودين عند نزول **هذه الآية**، لأن الخطاب مع من لم يوجد محال، وإذا كان **كذلك فهذه** الآية تقتضي عدالة أولئك الذين كانوا موجودين **في ذلك** الوقت، ولا تقتضي عدالة غيرهم، فهي تدل على **أن إجماع** أولئك حق، فيجب **أن** لا نتمسك بالإجماع إلا **إذا علمنا** حصول قول كل **أولئك** فيه، لكن ذلك لا يمكن إلا **إذا علمنا** كل واحد من أولئك **الأقوام** بأعيانهم، وعلمنا بقاء **كل واحد** منهم إلى ما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، **وعلمنا** حصول أقوالهم بأسرهم في ذلك **الإجماع**. ولما **كان ذلك** كالمتعذِّر امتنع **التمسك** بالإجماع.

والجواب عن قولهم: الآية متروكة الظاهر، **أن** قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ يقتضي أنه **تعالى** جعل كل واحد منهم عند اجتماعه مع غيره بهذه الصفة. وعندنا أنهم في كل أمر اجتمعوا عليه. فإن كل واحد منهم يكون عدلاً في ذلك الأمر، بل إذا اختلفوا فعند ذلك **قد** يفعلون

القبيح. وإنما قلنا: إن هذا خطاب معهم حال الاجتماع، لأن قوله ﴿جَعَلْنَٰكُمْ﴾ خطاب لمجموعهم لا لكلِّ واحدٍ منهم وحده، على أنا وإن سلمنا أن هذا يقتضي كون كل واحد منهم عدلاً. لكنا نقول: ترك العمل به في حق البعض لدليلٍ قام عليه فوجب أن يبقى معمولاً به في حق الباقي، وهذا معنى ما قال العلماء: ليس المراد من الآية أن كلهم كذلك، بل المراد أنه لا بد وأن يوجد فيما بينهم من يكون بهذه الصفة، فإذا كنا لا نعلمهم بأعيانهم افتقرنا إلى اجتماع جماعتهم على القول والفعل لكي يدخل المعتبرون في جملتهم.

مثاله أنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام إذا قال مثلاً: إن واحداً من أولاد فلان لا بد وأن يكون مصيباً في الرأي والتدبير، فإذا لم نعلمه بعينه ووجدنا أولاده مجتمعين على رأي علمناه حقاً لأنه لا بد وأن يوجد فيهم ذلك المحق، فأما إذا اجتمعوا سوى واحد على رأي لم نحكم بكونه حقاً. لتجويز أن يكون الصواب مع ذلك الواحد الذي خالف، ولهذا قال كثير من العلماء: إنا لو ميَّزنا في الأمة من كان مصيباً عمَّن كان مخطئاً كانت الحجة قائمة في قول المصيب، ولم تعتبر ألبتة بقول المخطىء.

قوله: لو كان المراد من كونهم وسطاً هو المراد من

عدالتهم لزم أن يكون فعل العبد خلقاً لله تعالى، قلنا: هذا مذهب أهل السنة.

قوله: لم قلتم إن إخبار الله تعالى عن عدالتهم وخيريتهم يقتضي اجتنابهم عن الصغائر؟ قلنا: خبر الله تعالى صِدْقٌ، والخبر الصدق يقتضي حصول المخبَر عنه، وفعل الصغيرة ليس بخير فالجمعُ بينهما متناقض.

ولقائل أن يقول: الإخبار عن الشخص بأنه خيرٌ أعم من الإخبار عنه بأنه خير في جميع الأمور أو في بعض الأمور، ولذلك فإنه يصحُّ تقسيمه إلى هذين القسمين. فيقال: الخير إما أن يكون خيراً في بعض الأمور دون البعض أو في كل الأمور، ومورد التقسيم مشترك بين القسمين فمن كان خيراً من بعض الوجوه دون البعضَ يصدق عليه أنه خير، فإنَّ إخبار الله تعالى عن خيرية الأمة لا يقتضي إخباره تعالى عن خيريتهم في كل الأمور، فثبت أن هذا لا ينافي إقدامهم على الكبائر فضلاً عن الصغائر.

وقوله: إن هذا الخطاب بالعدالة خاص بالموجودين وقت نزوله غير صحيح، بل هو خطاب لجميع الأمة أولها وآخرها، من كان منهم موجوداً وقت نزول هذه الآية، ومن جاء بعدهم إلى قيام الساعة؛ كما أن قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ يتناول الكلَّ ولا يختصُّ

بالموجودين في ذلك الوقت، وكذلك سائر تكاليف الله تعالى وأوامره وزواجره خطاب لجميع الأمة.

فإن قيل: لو كان الأمر كذلك لكان هذا خطاباً لجميع من يوجد إلى قيام الساعة. وإنما حُكِمَ لجماعتهم بالعدالة. فمن أين حكمتم لأهل كل عصر بالعدالة حتى جعلتموه حجة على من بعدهم؟ قلنا: لأنه تعالى لما جعلهم شهداء على الناس، فلو اعتبرنا أوَّل الأمة وآخرها بمجموعها في كونها حجة على غيرها لزالت الفائدة؛ إذ لم يبق بعد انقضائها من تكون الأمة حجة عليه. فعلمنا أنَّ المراد به أهل كل عصر، ويجوز تسمية أهل العصر الواحد بالأمة، فإنَّ الأمة اسم للجماعة التي تؤمُّ جهة واحدة، ولا شك أنَّ أهل كل عصر كذلك. ولأنه تعالى قال: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ فعبر عنهم بلفظ النكرة، ولا شك أن هذا يتناول أهل كل عصر.

* * *

٢ ـ في سورة آل عمران

قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

هذه الآية نصّ صريح في كون هذه الأمة المحمدية أفضلَ من جميع الأمم التي دانت بالدين الإلهي وصَدّقت الرسل؛ ومدحٌ عظيم لها على تفوّقها على الأمم قبلها بهذه الأوصاف ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله ما أقاموا ذلك واتّصفوا به. فإذا تركوا التغيير وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسمُ المدح ولحقهم اسمُ الذم، وكان ذلك سبباً لهلاكهم. وقد احتجّ العلماء بهذه الآية على أن إجماع الأمة حجة. وتقريره من وجهين:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ ثم قال في هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ فوجب بحكم هذه الآية أن تكون هذه الأمة أفضل من أولئك الذين يهدون بالحق من قوم موسى، وإذا كان هؤلاء أفضل منهم وجب أن تكون هذه الأمة لا تحكم إلا بالحق؛ إذ لو جاز في هذه الأمة أن تحكم بما ليس بحق لامتنع كونها أفضل من الأمة التي تهدى بالحق؛ لأن المبطل يمتنع أن يكون خيراً من المحق، فثبت أن هذه الأمة لا تحكم إلا بالحق. وإذا كان كذلك كان إجماعهم حجة.

الثاني: أن الألف واللام في لفظ المعروف ولفظ المنكر يفيدان الاستغراق، وهذا يقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر، ومتى كانوا كذلك كان إجماعهم حقاً وصدقاً لا محالة فكان حجة.

وقوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ كلامٌ مُستأنف بيان وعلة للخيرية. وقد حكم تعالى بثبوت وصف الخيرية لهذه الأمة وعللها بقوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، والحكم إذا ذكر مقروناً بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف. فَوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات والأوصاف ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ فإن قيل: من أي وجه يقتضي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله كون هذه الأمة خيرَ الأمم، مع أن هذه الصفات الثلاث كانت حاصلة في الأمم قبلها؟

والجواب: أنَّ تفضيلهم على الأمم الذين كانوا قبلهم إنّما حَصَل لأجل أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآكد الوجوه وهو القتال، لأنَّ الأمر بالمعروف يكون بالقلب وباللسان وباليد، وأقواها ما يكون بالقتال لأنه إلقاء النفس في خطر القتل، وأعرف المعروفات: الدين الحق والإيمان

بالتوحيد والنبوة، وأنكر المنكرات: الكفر بالله، فكان الجهاد في الدين محملاً لأعظم المضار لغرض إيصال الغير إلى أعظم المنافع وتخليصه من أعظم المضار، فوجب أن يكون الجهاد أعظم العبادات. ولما كان أمر الجهاد في شرعنا أقوى منه في سائر الشرائع صارَ ذلك موجباً لفضل هذه الأمة على سائر الأمم. وهذا معنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: في تفسير هذه الآية قوله: كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرونهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقرُّوا بما أنزل الله وتقاتلونهم عليه.

ولا إله إلا الله أعظم المعروف والتكذيب أنكر المنكر. فالقتال على الدين لا ينكره منصف، وذلك لأن أكثر الناس يحبون أديانهم بسبب الألف والعادة، ولا يتأملون في الدلائل التي تورد عليهم، فإذا أكره على الدخول في الدين بالتخويف بالقتل دَخَل فيه. ثم لا يزال يضعف ما في قلبه من حب الدين الباطل، ولا يزال يقوى في قلبه حب الدين الحق إلى أن ينتقل من الباطل إلى الحق. ومن استحقاق العذاب الدائم إلى استحقاق الثواب الدائم.

فإن قيل: لم قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله في الذكر، مع أن الإيمان بالله لا بد وأن يكون مقدَّماً على كل الطاعات؟

والجواب: أنَّ الإيمان بالله أمرٌ مُشْتَرَكٌ بين جميع الأمم المحقَّة. ثم أنه تعالى فضَّل هذه الأمة على سائر الأمم المحقة فيمتنع أن يكون المؤثِّر في حصول هذه الخيرية هو الإيمان الذي هو القَدْر المشترك بين الكل. بل المؤثِّر في حصول هذه الزيادة هو كون هذه الأمة أقوى حالاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من سائر الأمم، فإذن المؤثِّر في حصول هذه الخيرية هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأما الإيمان بالله فهو شرطٌ لتأثير هذا المؤثِّر في هذا الحكم، لأنه ما لم يوجد الإيمان لم يصر شيءٌ من الطاعات مؤثِّراً في صفة الخيرية. فثبت أن الموجِبَ لهذه الخيرية هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر. وأما إيمانهم فذاك شرط التأثير والمؤثِّر ألصق بالأثر من شرط التأثير. فلهذا السبب قدَّم الله تعالى ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الإيمان.

فإن قيل: لم اكتفى بذكر الإيمان بالله ولم يذكر الإيمان بالنُّبوة مع أنه لا بدَّ منه؟

والجواب: أنَّ الإيمان بالله يستلزم الإيمان بالنبوة؛ لأنَّ الإيمان بالله لا يحصل إلا إذا حَصَل الإيمان بكونه صادقاً، والإيمان بكونه صادقاً لا يحصل إلا إذا كان الذي أظهر المعجز على وَفْق دعواه صادقاً؛ لأنَّ المعجز قائمٌ مقام التصديق بالقول.

فلما شاهدنا ظهور المعجز على وَفق دعوى محمدٍ صلى الله عليه وسلم كان من ضرورة الإيمانْ بالله: الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فكان الاقتصار على ذكر الإيمان بالله تنبيهاً على هذه الدقيقة.

وإذا تقرَّر هذا فهذا الخطاب الذي تشرَّفت به هذه الأمة النبيلة موجَّه مباشرة إلى جميع الصحابة رضوان الله عليهم وإلى مَنْ بعدهم من الأمة بطريق التبع.

وقد ثبتت أحاديث كثيرة في فضل هذه الأمة، وفي كونها مرحومة، وفي كثرتها ودخولها الجنة.

فمنها ما أخرجه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«كلُّ أمَّتي يَدْخُلونَ الجنة، إلاَّ من أبىَ، قالوا: يا رسول الله ومنْ يأبىَ؟ قال: من أطَاعني دخلَ الجنةَ ومن عصاني فقدْ أبى»**.

وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله على الجماعة ومن شذَّ شذَّ في النار»**.

وأخرج أبو داود عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: **«إنَّ أمَّتي أمةٌ مَرحومةٌ ليسَ عليها عذابٌ في الآخرةِ، عذابُها في الدُّنيا: الفتنُ والزلازِلُ والقتلُ»**.

وأخرج الترمذي والإمام أحمد عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«مثَلُ أمَّتي كمثلِ المطرِ لا يُدرى آخرُه خيرٌ أم أوّلهُ»**.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجَهْ وابن حبَّان والحاكم عن بريدة، والطبراني عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن أبي موسى قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أهلُ الجنَّةِ عشرونَ ومائةُ صفٍ، ثمانُون منها من هذه الأمة وأربعونَ من سائرِ الأمم»**.

وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليدْخلنَّ الجنَّةَ مِنْ أمتي سبعونَ ألفاً أو سبعمائة ألف متماسكينَ، آخذٌ بعضهم بيدِ بعضٍ، لا يدخلُ أوّلهم حتى يدخلَ آخِرُهم، وجُوههم على صورة القمرِ ليلة البدرِ».

وأخرج الترمذي عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«وعدني ربي أن يُدخِلَ من أمَّتي الجنة سبعونَ ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، ومع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربيّ»**.

وأخرج الشيخان والإمام أحمد والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه، عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال:

«خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيءُ أقوامٌ تسبق شهادةُ أحدهم يمينه ويمينه شهادته».

وأخرجه مسلم أيضاً عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: **«خيرُ النّاس القَرْن الّذي أنا فيه ثمّ الثّاني ثُم الثّالث».**

وأخرجه الطبراني عن ابن مسعود أيضاً بلفظ: «خير الناس قرني ثم الثاني ثم الثالث ثم يجيء أقوام لا خير فيهم».

وأخرجه الطبراني أيضاً والحاكم عن جعدة عن هبيرة رضي الله عنه بلفظ: «خيرُ النّاس قرْني الذي أنا فيهمْ ثمَّ الذينَ يَلونُهم والآخَرُونَ أرْذَال».

وأخرجه الشيخان والترمذي والحاكم أيضاً عن عمران بن حصين رضي الله عنهما بلفظ: (خَيرُ الناسِ قرني ثمَّ الذينَ يَلونهم، ثمَّ الذينَ يَلونهمْ، ثمَّ الذين يلونهمْ، ثم يكون بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يُسْتَشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السِّمَن).

وكل رواياته صحيحة، وهذه الخيرية معتَبَرة في الصحابة رضوان الله عليهم بالنسبة إلى التابعين في جميعهم، وفي التابعين على أتباعهم معتبرة في مجموعهم.

وخيرية الأمة تستلزم خيرية نبيها وأفضلية دينها، إذ لا شكَّ أنَّ خيريتهم بحسب كمال دينهم المُسْتَلزم لكمال نبيهم،

وإن صفاته أعلى وأجل، وذاته أفضل وأكمل كما صرّح به قوله تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾، لأنه تعالى وصف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالأوصاف الحميدة، ثم أمره أن يقتدي بجميعهم، وذلك يستلزم أن يأتي بجميع ما فيهم من الخصال الحميدة، فاجتمع فيه صلى الله عليه وسلم ما تفرّق فيهم.

وفي حديث الشفاعة العظمى وانتهائها إليه بعد تنصُّل كلٍّ منهم، واعترافه بأنه ليس أهلاً لها التصريح بذلك أيضاً.

وكذلك الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وهو: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة». وهو عند أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد بزيادة: «ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ: آدم فمن سواه إلا تَحتَ لوائي، وأنا أول من تنشقُّ عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفَّع ولا فخر».

وعند الترمذي عن أنس رضي الله تعالى عنه: «أنا أول من تنشقّ عنه الأرض فأكسى حلة من حُلَلِ الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحدٌ من الخلائق يقوم ذلك غيري»، وهو صريح في دخول آدم، كحديث البخاري وغيره: «أنا سيِّد الناس يوم القيامة»، وحديث: «أنا سيِّد العالمين» صححه الحاكم.

وبذلك تعلم أفضليته على الملائكة، لأنَّ آدم أفضل منهم بنصّ الآية.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «جلس أناس من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج، حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون قال بعضهم: إنَّ الله اتخذ إبراهيمَ خليلاً، وقال آخر: موسى كلَّمه الله تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصْطَفَاه الله، فَخَرَج عليهم رسول الله صلى الله غليه وسلم وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم إنَّ إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجيُّ الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وهو كذلك، وآدمُ اصْطَفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيبُ الله ولا فَخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفَّع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرِّكَ حِلَق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأوَّلين والآخرين على الله ولا فخر». رواه الترمذي وغيره.

وهذا صريحٌ في شموله الأنبياء والملائكة جميعهم.

وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه»

رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

وروى الإمام مسلم عن وَاثلةَ بن الأسْقَع رضي الله تعالى عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنَّ الله اصْطَفى كِنَانة من وَلَدِ إسماعيل، واصْطَفى قريشاً من كِنَانة، واصْطَفى من قريشِ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**».

* * *

٣ ـ في سورة آل عمران أيضاً

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾.

اشْتَمَلت هذه الآية على مَدْح عظيم للصحابة رضي الله عنهم بقوّة الإيمان، والصبر على البلاء، وتفويض كل الأمور باللَّجأ إلى الله تعالى، وعلى وعده تعالى للمحسنين المتَّقين منهم بالثواب العظيم، وقد فعلوا رضي الله عنهم ما وعدهم بالثواب عليه.

ولا خلاف بين العلماء أن الذين استجابوا لله والرسول هم المهاجرون والأنصار الذين حضروا معه عليه الصلاة

والسلام وقعة أُحد أجابوه في ثاني يومها حين دعاهم إلى الخروج وراء قريش، قال لهم: ولا يخرج معنا إلا من حَضَر أحداً ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ الجروح الكثيرة بأحد، فخرجوا معه على ما بهم من القروح صابرين راضين حتى بلغوا حمراء الأسد، ولم يدركوا قريشاً.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من الذين السابق ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ أي: ركبٌ من عبد القيس مرُّوا بأبي سفيان قاصدينَ المدينة فدسَّهم إلى المسلمين ليثبطوهم عن الخروج وراء قريش ويخوِّفوهم منهم ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أي: قريشاً ﴿قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ أي: عزموا على الرجوع إليكم ليستأصلوا بقيتكم في زعمهم ﴿فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ أي: خافوهم واحذروهم، فإنه لا طاقة لكم بهم ﴿فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ أي: زاد ذلك التخويف من الركب المسلمين تصديقاً ويقيناً وقوةً في دينهم وثباتاً على نصر نبيِّهم صلى الله عليه وسلم.

* * *

٤ - في سورة المائدة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾.

هذه الآية خطابٌ للمؤمنين إلى يوم القيامة، ومعناها: أنَّ الله عز وجل وعد هذه الأمة أنَّ من ارتدَّ منها فإنه يجيء سبحانه بقومٍ ينصرون الدين ويغنون عن المرتدين، وقدَّم الله تعالى محبَّته لهم على محبتهم له، إذ لولا حبه لهم لما وفقهم أن صاروا محبين له وباعتبار كل من اتصف بهذه الصفات وهي محبة الله لعبدهِ ومحبة العبد لربه ورقته ولين جانبه لإخوانه المؤمنين، وغلظته وشدَّته على الكافرين وجهاده في سبيل الله، وعدم خوفه في الحق من لوم اللائم.

قيل أيضاً: إنها عامة في كل المؤمنين المتصفين بما ذكر إلى يوم القيامة، وليس هذا القول ببعيد من المعقول، والقول بأنها نزلت في أبي بكر وجميع الصحابة الذين جاهدوا المرتدين من العرب وجاهدوا فارس والروم أيضاً كما قاله حيدرة كرم الله وجهه والحسن وقتادة لا ينافي القول بعمومها؛ لأن الصديق وجميع الصحابة أقعد وأحق وأولى

بتلك الصفات من كل مؤمن بعدهم، فيدخلون تحت عمومها قبل كلِّ مؤمن.

وكذلك القول بأنها نزلت في الأنصار، أو في أحياء من اليمن، أو في الأشعريين خاصة كما في حديث أخرجه الحاكم في «المستدرك» لا ينافي ذلك العموم، فهي إخبار عن غيب قبل وقوعه فوقع وتحقَّق كما أخبره تعالى ففيها دليلٌ على صدق نبوته عليه الصلاة والسلام حيث أخبرهم بما لم يكن فكان.

وفيها دليل أيضا على صحة خلافة الخلفاء الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، لأنهم جاهدوا في الله عزَّ وجل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاهدوا المرتدين عن الإسلام، وجميع الكفار بعده عليه الصلاة والسلام، ومعلومٌ أن من كانت فيه هذه الصفات فهو وليُّ الله تعالى.

وفي هذه الآية أوّل الدلائل على فساد مذهب الرافضة الإمامية من ثلاثة أوجه:

الأول: تقريره على مذهبهم أنَّ الذين أقرُّوا بخلافة أبي بكر وإمامته كلهم كفروا وصاروا مرتدين، لأنهم أنكروا النصَّ الجلي على إمامة عليّ كرّم الله وجهه، فيقال لهم: لو

كان كذلك لجاء الله بقوم يحاربهم ويقهرهم بهم، ويردهم بهم إلى الدين الحق بدليل قوله تعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ إلى آخر الآية، وكلمة «من» في معرض الشرط للعموم، فهي تدلُّ على أن كلَّ من صار مرتداً عن دين الإسلام فإنَّ الله يأتي بقوم يقهرهم بهم ويردهم ويبطل شوكتهم، فلو كان الذين نصبوا أبا بكر للخلافة كذلك لوجب بحكم الآية أن يأتي الله بقوم يقهرهم بهم ويبطل مذهبهم، ولما لم يكن الأمر كذلك بل الأمر بالضد فإنَّ الروافض هم المقهورون الممنوعون عن إظهار مقالاتهم الباطلة أبداً منذ كانوا علمنا فساد مذهبهم وهو ظاهر لمن أنصف.

الثاني: المحققون من أهل السنة قالوا: يجب أن يقال أنها نزلت في حق أبي بكر رضي الله عنه، والدليل عليه وجهان:

الأول أنها مُختصَّةٌ بمحاربة المرتدين، وأبو بكر هو الذي تولّى محاربتهم، ولا يمكن أن يكون المراد بها هو الرسول عليه الصلاة والسلام لأنه لم يتفق له محاربة المرتدين، ولأنه تعالى قال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ﴾ وهذا للاستقبال لا للحال فوَجَب أن يكون أولئك الموصوفون بما ذكر غير موجودين في وقت نزول هذا الخطاب.

فإن قيل: هذا لازم عليكم لأن أبا بكر كان موجوداً في وقته.

فالجواب، من وجهين:

الأول: أن القوم الموصوفين بتلك الصفات الذين قاتل بهم أبو بكر أهل الردة ما كانوا موجودين في الحال.

الثاني: أن معنى الآية: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ قادرين متمكنين مستقلين بهذه الحرب وأبو بكر وإن كان موجوداً في ذلك الوقت إلا أنه ما كان مستقلاً بالحرب والأمر والنهي فيه فسقط هذا السؤال وثبت أنه لا يمكن أن يكون المراد هو الرسول عليه الصلاة والسلام ولا علي رضي الله عنه، لأنه لم يتفق له قتال مع أهل الردة استقلالاً، بل كان تابعاً لأبي بكر جندياً من جنوده الذين قاتلوهم، فلا يصح حمل الآية عليه.

فإن قالوا: بل كان قتاله مع أهل الردة، لأن كل مَنْ نازَعَه في الإمامة كان مرتداً.

فالجواب: أنَّ هذا باطل من وجهين.

الأول: أن اسم المرتد إنما يتناول من كان تاركاً للشريعة الإسلامية، والقوم الذين نازعوا علياً ما كانوا كذلك في الظاهر، وما كان أحدٌ يقول إنه إنما يحاربهم لأجل أنهم

خرجوا عن الإسلام، وعليٌّ نفسه لم يسمهم ألبتة بالمرتدين، فهذا الذي يقوله ويعتقده الرافضة بهتٌ وافتراء على عليٍّ كرَّم الله وجهه وعلى جميع المسلمين.

الثاني: أنه لو كان كل من نازعه في الإمامة كان مرتداً لزم في أبي بكر وفي جميع الصحابة أن يكونوا مرتدين أعاذهم الله من ذلك، ولو كان كذلك لوَجَب بحكم ظاهر الآية أن يأتي الله بقومٍ يقهرونهم ويردونهم إلى الدين الصحيح، ولما لم يوجَد ذلك ألبتة. علمنا أنَّ منازعة عليٍّ في الإمامة لا تكون ردة، وإذا لم تكن ردة لم يمكن حمل الآية على عليّ لأنها نازلة فيمن يُحارب المرتدين، ولا يمكن أيضاً أن يقال: إنها نزلت في أهل اليمن، أو في أهل فارس لأنه لم يتفق لهم محاربة المرتدين، وعلى تسليم ذلك فإنهم كانوا رعيّة وأتباعاً، وكان الرئيس المطاع الآمر في تلك الحروب هو أبا بكر رضي الله عنه، ومعلومٌ أنَّ حمل الآية على مَن كان أصلاً في هذه العبادة ورئيساً مطاعاً فيها أولى من حملها على الرعية والأتباع، فظهر بما تقرَّر أنَّ هذه الآية مختصَّة بأبي بكر رضي الله تعالى عنه.

الوجه الثاني: في بيان أنَّ هذه الآية مختصَّة بأبي بكر، يقال: هَبْ أن علياً كان قد حَارَبَ المرتدين، ولكن محاربة أبي بكر لهم كانت أعلى حالاً وأكثر موقعاً في الإسلام من

محاربة علي لكل من خالفه في الإمامة، وذلك لأنه علم بالتواتر أنه صلى الله عليه وسلم لما توفي وارتدَّ أكثر العرب أنَّ أبا بكر هو الذي قهرت جيوشه وقوّاده من الصحابة جميع المرتدين من أتباع طليحة المتنبي وأتباع الكذابين الأسود العنسي ومسيلمة وغيرهم، وَدَحَرهم بنفسه حَولَ المدينة في ثلاث معارك، فاستقرَّ الإسلام، وعظمت شوكته، وانبسطت دولته على جزيرة العرب كلها به في مدة وجيزة، وشرع يدكُّ عروش دولتي فارس والروم بالعراق والشام فجاءه أجله المحتوم. فتمم القضاء عليهما الفاروق رضي الله عنه، وظهر الإسلام على جميع الأديان، فثبت بهذا أن محاربة أبي بكر رضي الله عنه أعظمُ تأثيراً في نصرة الإسلام وتقويته من محاربة علي كرم الله وجهه، ومعلوم أنَّ المقصود من هذه الآية تعظيم قوم يسعون في تقوية الدين ونصرة الإسلام، ولما كان أبو بكر هو المتولي لذلك وجب أن يكون هو المراد بالآية.

الوجه الثالث: في هذه الآية دلالتها على صحة إمامة أبي بكر، وذلك لأنه لما ثبت أنها مختصَّة به، يقال: إنه تعالى وَصَف الذين أرادهم بهذه الآية بصفات.

أولها: أنه يحبهم ويحبونه، فلما ثَبَتَ أن المراد بهذه الآية هو أبو بكر، ثبت أن قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ وصفٌ

لأبي بكر، ومن وصفه تعالى بذلك يمتنع أن يكون ظالماً، وذلك يدل على أنه كان محقاً في إمامته.

ثانيها قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وهو صفة أبي بكر أيضاً للدليل الذي تقدم، ويؤكده الحديث المشهور عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**أرحَمُ أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدُّهمْ في أمر الله عُمر، وأصدقهمْ حياءً عثمان، وأقرأهم لكتاب الله أبيُّ بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بنُ جبل، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**» رواه الترمذي والدارقطني عن أنس مرفوعاً.

ورواه أبو يعلى وابن عدي عن ابن عمر بلفظ: «أرأفُ أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم عليٌّ، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبيٌّ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عُبيدة بن الجراح».

ورواه الطبراني عن جابر بلفظ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأرفقُ أمتي لأمتي عمر، وأصدق أمتي حياء عثمان، وأقضى أمتي علي بن أبي طالب، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل يجيء يوم القيامة أمام العلماء، وأقرأ أمتي

أُبي بن كعب وأفرضها زيد بن ثابت، وقد أوتي عويمر عبادة» يعني أبا الدرداء.

فكان أبو بكر موصوفاً بالرحمة والشفقة على المؤمنين وبالشدة على الكفار، ألا ترى في أول الإسلام قبل هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام كيف كان يلازمه ويخدمه ويذبُّ عنه، وما كان يبالي بأحد من الكفار! وفي آخر الأمر أعني وقت خلافته، كيف لم يلتفت إلى رأي الصحابة رضي الله عنهم حيث خالفوه كلهم في محاربة الأعراب فأصرَّ على جهادهم وقال: والله لأقاتلنهم ولو انفردت سالفتي، لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة وقد قَرَنهما الله في كتابه، واللّهِ لو منعوني عقالاً كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه، فكان في هذا المقام أشجع الخلق كلهم بعد الأنبياء وأحق بقوله تعالى ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ من كل صحابي.

ثالثها: قوله تعالى: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ وهذا مشترك بين أبي بكر وعلي، إلا أنَّ حظ أبي بكر فيه أتم وأكمل، وذلك لأن مجاهدة أبي بكر للكفار كانت في أول البعثة، وكان الإسلام إذ ذاك ضعيفاً والكفر قوياً، فكان يجاهد بمقدار قدرته، ويذبُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بغاية وسْعِهِ.

وأما علي رضي الله عنه فإنه إنما شُرِعَ في الجهاد بعد الهجرة، وفي ذلك الوقت كان الإسلام قوياً والعساكر الإسلامية مجتمعة متّحدة، فَثَبَت أن جهاد أبي بكر كان أكمل من جهاد عليّ من وجهين:

الأول: تقدُّمه عليه في الزمان، فكان أفضل لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾.

الثاني: أنَّ جهاد أبي بكر كان في وقتِ ضعفِ الإسلام وجهاد علي كان في وقت قوته.

رابعها: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾، وهذا لائق بأبي بكر لأنه مُؤَيَّدٌ بقوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ وهذه الآية نزلت في أبي بكر قطعاً.

فثبت بما تقدَّم من الأدلة أن الصديق رضي الله عنه أحق بجميع هذه الصفات من كل مؤمن، وإذا ثبت هذا وجب القطع بصحة إمامته، إذ لو كانت إمامته باطلة لما كانت هذه الصفات لائقة به.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال إنه كان موصوفاً بهذه الصفات حال حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم بعد وفاته عليه الصلاة والسلام لما تولى الإمامة زالت هذه الصفات عنه.

والجواب: أن هذا باطل قطعاً لأنه تعالى قال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ فأثبت كونهم موصوفين بهذه الصفات حال إتيان الله بهم في المستقبل، وذلك يدل على شهادة الله له بكونه موصوفاً بهذه الصفات حال محاربته للمرتدين، وذلك هو حال إمامته، فثبت بما ذكر دلالة الآية على صحة إمامته.

أما قول الرافضة أن هذه الآية نَزَلت في حق علي كرم الله وجهه بدليل أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، فكان ذلك هو علياً رضي الله عنه.

فالجواب: «أن هذا خبر آحاد وعندهم لا يجوز التمسُّك به في العمل فكيف يجوز التمسُّك به في العلم (أي الاعتقاد).

وأيضاً إثبات هذه الصفة لعلي لا يستلزم انتفاءها عن أبي بكر، وعلى فرض تسليم انتفائها عنه لا يدل على انتفاء جميع الصفات التي في الآية عنه، على أننا متمسكون بظاهر القرآن الذي هو متواتر قطعي، وهم متمسّكون بخبر الآحاد الذي هو ظني المتن والدلالة، واحتجاجهم على إمامة علي بالآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن

يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾ باطلٌ لأن لفظ «الذين» عام في جميع المؤمنين؛ وقد سُئل أبو جعفر محمد الباقر عن معنى قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ هل هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟ فقال: عليّ من المؤمنين، يذهب إلى أنها واردة في جميع المؤمنين، على أن حمل لفظ الجمع على الواحد وإن جاز على سبيل التعظيم لكنه مجاز لا حقيقة، والأصل حمل الكلام على الحقيقة، وحيث تحقّق أن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ إلخ من أقوى الدلائل على صحة إمامة أبي بكر، فلو دلَّت هذه الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ إلخ على إمامة علي بعد الرسول مباشرةً لزم التناقض بين الآيتين، وذلك باطل، فوجب القطع بأن هذه الآية لا دلالة فيها على أنَّ علياً هو الإمام بعد الرسول، وعلي رضي الله عنه أعلم بتفسير القرآن من الرافضة، فلو كانت هذه الآية دالة على إمامته لاحتج بها في محفل من المحافل، وليس لهم أن يقولوا ترك الاحتجاج بها تقيَّةً فإنهم ينقلون عنه أنه تمسَّك يوم الشورى بخبر الغدير، وخبر المباهلة وجميع فضائله، ولم يتمسَّك البتة بهذه الآية في إثبات إمامته، وهذا يوجب القطع ببطلان مذهب الرافضة، وهَبْ أنها دالة على إمامته، لكنا اتفقنا معهم على أنها عند نزولها ما دلت على حصول الإمامة لعلي في وقته،

لأنه ما كان نافذ التصرُّف في الأمة حالَ حياةِ الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يبق إلا أن تُحمل على أنها تدلُّ على أنَّ علياً سيصير إماماً بعد ذلك، ومتى سلموا هذا فنحن نقول بموجبه فنحمله على إمامته بعد أبي بكر وعمر وعثمان، إذ ليس في الآية ما يدل على تعيين وقت إمامته.

* * *

٥ ـ في سورة الأعراف

قال تبارك وتعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ
فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا
يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُۥ
مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ
عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَـٰٓئِثَ
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَـٰلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا
بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

أجمع العلماء على أن المراد بالنبيِّ الأمي إلخ هو محمدٌ صلى الله عليه وسلم وجمهورهم على أنَّ المراد بقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾ جميع أمته الذين آمنوا به واتَّبعوه سواء كانوا من بني إسرائيل أو من غيرهم وخرج بقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴿١٥٧﴾﴾ إلخ اليهود والنصارى من الاشتراك الذي حَصَل لهم في قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إلخ وقد حصلت هذه العِدَة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم قطعاً كما قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما. وقوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَـٰلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ تفضُّلٌ منه تعالى على هذه الأمة، وتصريحٌ بأنه أرسل رسولَه محمداً صلى الله عليه

وسلم بالتيسير والسماحة كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد والديلمي والخطيب عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إني بُعثت بالحنيفية السمحة» زاد الخطيب: «ومن خالفَ سنتي فليس مني».

وقال صلى الله عليه وسلم لأميريه معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن: «بَشِّرا ولا تنفرا ويسِّرا ولا تُعسِّرا، وَتَطاوعا ولا تختلفا» وقال أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه: إني صحبتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدتُ تيسيرَه.

قد كان في شرائع الأمم السابقة ضيق فوسَّع الله على هذه الأمة أمورها وسهَّلها لهم، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الله تجاوَزَ لأمَّتي عما حدَّثت به أنفسها ما لم تتكلم بِهِ أو تَعملْ به**» أخرجه الشيخان وأصحابُ السنن الأربعة عن أبي هريرة، والطبراني عن عمران بن حصين.

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: «إنَّ الله تعالى تَجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيانَ وَمَا استُكرِهُوا عليه» رواه ابن ماجه عن أبي ذر، والطبراني والحاكم عن ابن عباس، والطبراني عن ثوبان.

ولهذا أرشد الله هذه الأمة أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ

إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وثبت في صحيح مسلم أن الله تعالى قال بعد كل سؤال من هذه: «**قد فعلت قد فعلت**».

* * *

٦ - في سورة الأنفال

قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ
بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٦٣﴾﴾

المعنى هو الذي قوَّاك وأعانك بنصره يوم بدر، وقوَّاك وأعانك بالمؤمنين، أي: الأنصار وهم الأوس والخزرج. ويدلُّ له قوله بعده: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ﴾، وكانت بينهم حروبٌ في الجاهلية دامت دهراً طويلاً حتى جاء الإسلام. فجمع الله كلمتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الأنصار مع المهاجرين. أي: جميع الصحابة.

ويدلُّ لهذا القول ما في صحيح البخاري عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «الأرْوَاحُ جُنودٌ مجندةٌ، فما تعَارَفَ منها ائتلف، ومَا تناكرَ مِنْها اختلف».

وما رواه الإمام مالك في موطئِهِ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله تَبارَكَ وتعالى يقولُ يَومَ القيامَةِ: «أينَ المُتحابُّونَ لجَلالي؟ اليومَ أُظلُّهم في ظلِّي يومَ لا ظلَّ إلا ظلِّي».

والتأليف بين القلوب كما صحَّ وحصل بين الأوْس والخزرج بإذْهاب الله تعالى الضغائن التي كانت بينهم في الجاهلية حَصَلَ بينهم وبين جميع المهاجرين بالتحابِّ في الله مع الاختلاف بينهم في النسَب والدار، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: نَزَلت هذه الآية في المتحابِّين في الله.

والتشابه سببُ الألفة، فمن كان من أهل الخير أَلِفَ أشباهَهُ وأَلِفُوه. وقد أخرج الإمام أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «المؤمن يألفُ ويُؤْلَف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤْلف».

ومما يؤيِّد هذا القول أيضاً مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار وقد ثبتت.

وإثباتُ التأييد والنصر للمؤمنين لأنهم سبب ظاهري، والله سبحانه وتعالى مسبِّب الأسباب هو الذي أقامهم لنصره، فثبت على كلا القولين عموم الآية: إما في جميع الصحابة من الأنصار وإما فيهم وفي جميع المهاجرين.

* * *

٧ ـ في سورة الأنفال أيضاً

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾.

المعنى: كفاك الله ناصراً وكفى أتباعك من المؤمنين، وقد تلخص في سبب نزولها للعلماء ثلاثة أقوال:

قيل: نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال، وعليه فالمراد بالذين اتبعوه: البدريون وهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً.

وقيل: المراد بمن اتبعك من المؤمنين: **الأنصار** رضي الله عنهم.

وقيل: المراد بهم جميع المهاجرين والأنصار.

وهناك قول رابع يقول: إنها نزلت بسبب إسلام عمر رضي الله عنه، لأنه تمَّ المسلمون به أربعين، وضُعِّف هذا بوجهين: **الأول**: أن هذه السورة كلها مدنية فنحتاج إلى القول بأنَّ هذه الآية منها مكية كتبت فيها بأمره عليه الصلاة والسلام، ونحتاج إلى إثبات هذا أيضاً. **الثاني**: أنَّ عمر رضي الله عنه أسلم بعد عدد أكثر من ضعف هذا العدد، ولو فرض صحة نزولها على هذا القول لكانت دالة على العموم أيضاً نهي على جميع الأوجه عامة.

* * *

٨ ـ في سورة الأنفال أيضاً

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾.

الموصوفون بهذه الصفات الثلاث: الإيمان والهجرة والجهاد هم المهاجرون الأولون.

فمعنى آمنوا: علموا التوحيد وصدَّقوا به وأمنوا أنفسهم من الوعيد فيه.

ومعنى هاجروا: تركوا أوطانهم وأهليهم وأموالهم إيثاراً لله ولرسوله في إعلاء دينه وإظهار كلمته ولزوم طاعته وعموم دعوته.

ومعنى جاهدوا: أي التزموا الجهد وهو المشقة في أنفسهم بتعريضها للأذية والنكاية والقتل، أو بأموالهم: بإهلاكها فيما يُرضي الله.

والموصوفون بالإيواء للرسول ولأصحابه المهاجرين والنصرة للرسول أيضاً هم: الأوس والخزرج الذين تبوءوا الدار والإيمان، فمعنى آووا: أسكنوا الرسول وأصحابه المهاجرين في منازلهم.

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ يعني في النصرة والمساعدة. وقال ابن عباس: في الميراث، وعلى قوله قالوا: كان المهاجرون والأنصار يتوارثون دون أقربائهم وذوي أرحامهم، وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر، حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالأرحام حيثما كانوا، فصار ذلك منسوخاً بقوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني من نصرتهم أو من الميراث ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ إلى المدينة ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ أي: يجب عليكم نصرهم وإعانتهم ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ فلا تنصروهم عليهم.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ قطع الله به الولاية بين الكفار والمؤمنين، فجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض، وجعل المنافقين بعضهم أولياء بعض يتناصرون كلهم بدينهم ويتعاملون باعتقادهم.

وفي الحديث الصحيح: «مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم كمثل الجسدِ إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائره بالحمى والسهر».

وهذه الولاية الخاصّة في هذه الآية تؤيِّد القول الثالث الذي تقدم في آية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤)﴾ من أنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جميع الصحابة المهاجرين والأنصار، وقد أكَّد الله هذه الولاية الخاصة بين المؤمنين بالنهي عن موالاة غيرهم بقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ وقال في سورة التوبة: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ يعني: لا شكَّ في إيمانهم، لأنهم حققوه بالهجرة وإيواء الرسول

وأصحابه والجهاد وبذل النفس والمال في نصرة الدين ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة.

فَثَبَتَ أنَّ الذين حققوا إيمانهم بهذه الأوصاف هم جميع الصحابة، وهم المذكورون أيضاً في أول هذه السورة بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾.

وحقيقة الإيمان هي المذكورة في الحديث الصحيح، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يُدْرِك أحَدُكم حقيقة الإيمانِ حتى يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهُمَا، وأنْ يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يعود في النار».

ولا تكرار لأنَّ هذه الآية واردة في الثناء عليهم مع الوعد الكريم، والأولى في تحقيق الموالاة بالتواصل والمحبة، وعليه فإعادة الشيء مرةً بعد أخرى تدل على مزيد الاهتمام به، فلما ذكرهم أولاً ثم أعاد ذكرهم ثانياً دلَّ ذلك على تعظيم شأنهم وعلوِّ درجاتهم، وهذا هو الشرف العظيم.

وقد حصل في هذه الآية من وجه المدح ثلاثة أنواع:

الأول: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ يفيد الحصر كما هو ظاهر، أي: لا غيرهم فقوله ﴿حَقًّا﴾ يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقّين في طريق الدين، لأن مَن فارقَ أهله وداره وبَذَل نفسَه وماله لله كان مؤمناً حقاً.

الثاني: قوله تعالى: ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ فتنكير لفظ المغفرة يدل على أن لهم مغفرة وأيُّ مغفرة لا ينالها غيرهم، فالمعنى: لهم مغفرة تامَّة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم.

الثالث: قوله: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: لا منَّةَ فيه ولا تنغيص، وكل شيء شرف وعظم في بابه قيل له كريم.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ يفيد أن الهجرة مراتب أشرفها وأعظمها أهل الهجرة الأولى، وأن جميع أهل مراتبها منكم وأنتم منهم في الموالاة ونصرة الدين وفي سورة التوبة ثلاث آيات:

* * *

٩ ـ في سورة التوبة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (١٩) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)﴾.

أي: أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر إلخ، فالاستفهام للإنكار، أنكر الله سبحانه وتعالى أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المُثْبتة، وجعل التسوية بينهم ظلماً بعد ظلمهم بالكفر، لأنهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما ولا التفات لخصوص سبب النزول، فالعبرة بعموم لفظها، فهي في جمع الصحابة المتصفين بتلك الصفات: الإيمان والهجرة والجهاد المخصوصين بالفوز بسعادة الدارين، ثم أكّد تعالى هذا الفوز لهم بقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم﴾ يخبرهم ربهم، والبِشَارة: الخبرُ السارُّ الذي يفرح الإنسان عند سماعه وتستنيرُ بشرة وجهه، والخبر الذي بشَّرهم به هو قوله: ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾ وهذا

أعظم البشارات؛ لأنَّ الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده ﴿وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: وبنعيم في الجنة دائم غير منقطع أبداً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لكل من عمل بطاعاته تعالى.

* * *

١٠ ـ في سورة التوبة أيضاً

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٠٠)﴾.

السَّبق هو التقدُّم في الصفة أو في الزمان أو في المكان، فالصفة: هي الإيمان، والزمن: لمن حصل في أوان قبل أوان، والمكان: من تبوَّأ دار النصرة واتخذه بدلاً عن موضع الهجرة. وأفضل هذه الوجوه الثلاثة السبق بالصفات، والدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «نَحْنُ الآخِرُون السَّابقون، بيد أنهم أوتوا الكِتابَ من قبلِنا وأوتيناهُ من بعدِهم، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدَانا الله له، فاليهودُ غداً، والنَّصارى بعْد غد».

فأخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن من سَبَقنا من الأمم

بالزمان فجئنا بعدهم سبقناهم بالإيمان والامتثال لأمر الله. والانقياد إليه، والاستسلام لأمره، والرضى بتكليفه والاحتمال لوظائفه، لا نعترض عليه ولا نختار معه، ولا نبدِّل شريعته بالرأي كما فعل أهل الكتاب، وذلك بتوفيق الله لما قضاه، وبتيسيره لما يرضاه، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وباعتبار تقدم الصحابة رضوان الله عليهم في هذه الأوصاف السبق إلى الإيمان والهجرة والنصرة يكونون طبقات متفاوتة في كثرة الثواب وعظمه بحسب درجاتهم. وتقدُّم الطبقات على هذا وتأخُّر بعضها عن بعض فيما عدا الأولى والأخيرة نسبي، ونتيجة جميع طبقاتهم هي رضا الله عنهم ورضاهم عنه والخلود في النعيم المتمِّم بها هذا الخبر العظيم: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي﴾.

وعلى هذا فإن أريد بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ كل طبقة منهم تأخرت عن سابقتها فالإحسان في حقِّهم ليس بقيد، وإن كانوا غير معصومين من الهفوات، بل يخرج على الغالب، وإن أريد بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ من جاء بعد الصحابة من التابعين ومن بعدهم إلى قيام الساعة فتقييد الاتباع به حينئذ شرط مُعْتَبر، لأن الاتباع كما يصدق على كل طبقة من طبقات الصحابة تأخَّرت عن سابقتها يصدق أيضاً على كل من جاء بعدهم

من أمته عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة.

واختلاف أئمة التفسير فيما هو المراد بالسابقين الأوَّلين هل هم من صلى إلى القبلتين؟ أو أهل بدر أو أهل بيعة الرضوان لا يضرُّ ما دامت نتيجة أقوالهم واحدة وهي رضا الله عن الجميع وإثابتهم بالنعيم المقيم ولا ريب أن السابق إلى كل خير والمتقدِّم إلى الطاعة أفضل من المصلي[1] والتالي فيها مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾.

ولكن من سبق أكرمُ عند الله مرتبةً وأوفى أجراً ولو لم يكن للسابق من الفضل إلا اقتداء التالي به واهتداؤه بهديه فيكون له ثوابُ عمله في نفسه ومثل ثواب من اتبعه مقتدياً به كما قال صلى الله عليه وسلم: «من سنَّ في الإسلام سُنَّة حَسنة كان له أجرُها وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامةِ لا ينقصُ ذلك مِنْ أجورهم شيئاً ومن سن في الإسلام سنةً سيئة فعليه وزرها ووزرَ من عمل بها من غير أن ينقص من أرزاقهم شيء» رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(١) أي الذي في الدرجة الثانية والسابق الذي في الدرجة الأولى يسمى المجلي والثالث يسمى التالي.

وعلى كون هذه الآية عامة في جميع الصحابة حملها محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه قال حميد بن زياد: قلت يوماً لمحمد بن كعب القرظي: ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم ـ وأردتُ الفتن ـ فقال: إنَّ الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم، وأوجَبَ لهم الجنة في كتابه. فقلت له: في أي موضع أوجب لهم؟ فقال: سبحان الله ألا تقرأ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ إلى آخر الآية فأوجَبَ الله الجنة لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ قال: شرط في التابعين شريطة وهي أن يتبعوهم في أعمالهم الحسنة دون السيئة. قال حميد: فكأني لم أقرأ هذه الآية قط.

* * *

١١ ـ في سورة التوبة أيضاً

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

تلخَّص من كلام العلماء عدة أقوال في الصادقين.
قيل: هم الأنبياء، أي: كونوا معهم بالأعمال الصالحة في الجنة.

وقال سعيد بن جبير: مع الصادقين يعني مع أبي بكر وعمر.

وقال ابن جريج: مع المهاجرين، وهذا احتجَّ به أبو بكر على الأنصار يوم السقيفة في استحقاق الخلافة، فقال لهم: إنَّ الله سمَّانا الصادقين، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾، وسمّاكم المفلحين فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ وقد أمركم الله أن تكونوا معنا حيث كنا فدلَّ على أن هذا الأمر، يعني الخلافة فينا.

وقيل: هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

وقيل: الصّادقون هم الموفون بما عاهدوا الله عليه لقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

وقال ابن عباس: مع الذين صدقت نيَّاتهم واستقامتْ قلوبُهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك بإخلاصٍ ونية.

وقيل: المراد بهم النبي صلى الله عليه وسلم والشيخان أبو بكر وعمر.

وقيل: هم السابقون الأولون.

وقيل: كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالأعذار الباطلة الكاذبة.

وقيل: هم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم.

هذه خلاصة أقوال المفسرين، ولا منافاة بينها، فكلُّها متداخلة مُتَصادقة ترجع إلى صفةٍ واحدة، وهي، الصِّدق في دين الله نيةً وقولاً وعملاً، وتخصيص المهاجرين ـ أي القرشيين ـ بالتسمية بها تسمية خاصة في آية سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ إلخ لا ينفي اتِّصاف غيرهم من جميع المسلمين بها والقاعدة المشهورة: «تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفيه عما عداه».

فاحتجاج الصدِّيق رضي الله عنه بها على الخلافة قولٌ صحيح، وقد رجَّحه كثير من محققي العلماء منهم القاضي أبو بكر بن العربي الأشبيلي قال في أحكامه: «هو الذي يعم الأقوال كلها، لأن جميع الصفات موجودة فيهم» ـ أي المهاجرين ـ.

واحتجاج العلماء بها أيضاً على فضيلة الصدق كما في

الحديث الذي خرَّجه الإمام البخاري ومسلم عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «عليكم بالصِّدق فإنَّ الصِّدق يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدقُ ويتحرَّى الصِّدْق حتَّى يكتب عند الله صِدِّيقاً، وإيّاكم والكذبَ، فإنَّ الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النَّار، وما يزال الرجلُ يكذبُ ويتحرَّى الكذبَ حتى يكتبَ عند الله كذَّاباً». صحيح أيضاً، ولذلك قالوا: لا يقبل خبر الكاذب ولا شهادته. قال الإمام مالك: لا يقبل خبر الكاذب في حديث الناس وإن صَدَق في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال غيره: يقبل حديثه.

واحتجاج العلماء بها أيضاً على أن الإجماع حجة، لأنه أمر بالكون مع الصادقين، فلزم قبول قولهم صحيح أيضاً وجيهٌ.

وإيضاحه: أنَّه تعالى أَمَرَ المؤمنين بالكون مع الصادقين، ومَتَى وَجَبَ الكون مع الصادقين فلا بدَّ من وجود الصادقين في كلِّ وقت، وذلك يمنع من إطباق الكلِّ على الباطل، ومتى امتنع إطْباقُ الكلِّ على الباطل وَجَبَ إذا أطبقوا على شيء أن يكونوا محقِّين، فهذا يدلُّ على أنَّ إجماع الأمة حجة.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال المراد بقوله: ﴿وَكُونُوا

﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: كونوا على طريقة الصَّادقين، كما أنَّ الرجل إذا قال لولده: كن مع الصالحين لا يفيد إلا ذلك؟

سلمنا ذلك، لكن نقول: إنَّ هذا الأمر كان موجوداً في زمان الرسول فقط، فكان هذا أمراً بالكون مع الرسول فلا يدلُّ على وجود صادق في سائر الأزمنة.

سلمنا ذلك، لكن لم لا يجوز أن يكون الصادق هو المعصوم الذي يمتنع خلوُّ زمان التكليف عنه كما تقوله الشيعة؟

والجواب عن الأول: أن قوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أمرٌ بموافقة الصادقين ونهيٌ عن مفارقتهم، وذلك مشروطٌ بوجود الصادقين؛ وما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب فدلَّت هذه الآية على وجود الصادقين، والقول بأنَّ معناه: كونوا على طريقة الصادقين عدولٌ عن الظاهر من غير دليل، والقول بأنه مختصٌّ بزمان الرسول عليه الصلاة والسلام باطل من أربعة أوجه:

الأول: ثَبَتَ بالتواتر من دين محمد عليه الصلاة والسلام أنَّ التكاليف المذكورة في القرآن متوجِّهة على المكلفين إلى قيام الساعة، فكان الأمر في هذا التكليف كذلك.

والثاني: أنَّ الصيغة تتناول الأوقات كلها بدليل صحة الاستثناء.

والثالث: لما لم يكن الوقت المعيَّن مذكوراً في لفظ الآية لم يكن حمل الآية على البعض أوْلى من حمله على الباقي فإمَّا أن لا يُحمل على شيء من الأوقات فيفضي إلى التعطيل وهو باطل أو على الكلِّ وهو المطلوب.

والرابع: وهو أن قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أمرٌ لهم بالتقوى، وهذا الأمر إنما يتناول من يصحُّ منه أن لا يكون متقياً، وإنما يكون كذلك من كان جائز الخطأ فكانت الآية دالةً على أنَّ من كان جائز الخطأ وَجَبَ كونه مقتدياً بمن كان واجبَ العصمة، وهم الذين حكم الله بكونهم صادقين، فهذا يدلُّ على أنه واجبٌ على جائز الخطأ كونه مع المعصوم عن الخطأ حتى يكون المعصوم عن الخطأ مانعاً لجائز الخطأ عن الخطأ، وهذا المعنى قائمٌ في جميع الأزمان فَوَجَبَ حصوله في كلِّ الأزمان.

وقوله: لم لا يجوز أن يكون المراد هو كون المؤمن مع المعصوم الموجود في كل زمان؟ قلنا: نحن نعترف بأنه لا بد من معصوم في كلِّ زمانٍ، إلا أنا نقول: ذلك المعصوم هو مجموعُ الأمة، وهم يقولون: ذلك المعصوم واحدٌ منهم، وهو باطل؛ لأنه تعالى أوْجَبَ على كلِّ واحد

من المؤمنين أن يكون مع الصّادقين، وإنما يمكنه ذلك لو كان عالماً بأن ذلك الصادق من هو، لا الجاهل بأنه من هو؟ فلو كان مأموراً بالكون معه مع جهله له كان ذلك تكليف ما لا يطاق وهو لا يجوز، لكنا لا نعلم إنساناً معيناً موصوفاً بوصف العصمة، والعلم بأنا لا نعلم هذا الإنسان حاصل بالضرورة، فَثَبَتَ أن قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ليس أمراً بالكون مع شخص معيَّن، ولما بطل هذا بقي أن المراد منه الكون مع مجموع الأمة، وذلك يدل على أن قول مجموع الأمة حقٌّ وصوابٌ، ولا معنى لقولنا: الاجماع حجة إلا ذلك، وإذا ثَبَتَ بهذا حُجّيّةُ إجماع من يعتدُّ به من علماء الأمة على الأطلاق، فكيف بإجماع ساداتها المعدَّلين المرضيين من ربهم بنصوص الآيات التي تقدمت الموعودين جَميعاً منه بالجنة كما سيأتي في قوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾.

* * *

١٢ ـ آيةُ سورة النور دالة على صحة

خلافة الخلفاء الأربعة

وعلى غيرهم من كلٍّ من تولى منصباً واجتمع فيه الوصفان:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.

الوعد بالاستخلاف في الأرض في هذه الآية عام عند المحققين يدخل تحته كل من تولى وظيفةً من وظائف المسلمين من أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم، بشرط اتِّصافه بالوصفين وهما: الإيمان والعمل الصالح، فتشمل الخلافة والملك وإقامة الدعوة وعموم الشريعة بنفاذ الوعد في كلِّ أحدٍ بقدره وعلى حاله، والقَسَم المتلقَّى باللام والنون في ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ محذوفٌ تقديره: وعدهم الله، وأقسم ليستخلفنَّهم أو نزِّل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتُلقى بما يتلقى به القسم كأنه أقسم الله ليستخلفنَّهم، واللام في الأرض للجنس فهو عامٌ أيضاً، ومن للتبعيض أو البيان.

وعلى كلٍّ فالخطابُ للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن

معه فيندرج تحت عمومها جميع الصحابة والخلفاء الأربعة رضي الله عنهم قبل كل من اتَّصفَ بالوصفين ممن جاء بعدهم، وعليه فقد دلّت على صحة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عن الغيب في قوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.

وقد وجد هذا المخبر به موافقاً للخبر، ومثل هذا الخبر معجز، والمعجز دليل الصدق، فدلَّ على صدق محمدٍ صلى الله عليه وسلم، ودلّت أيضاً على إمامة الخلفاء الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ رضي الله عنهم، لأنه تعالى وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين في زمان محمد صلى الله عليه وسلم، وهو المراد بقوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، وأن يمكّن لهم دينهم المرضي، وأن يبدّلهم بعد الخوف أمناً.

ومعلوم أنَّ المراد بهذا الوعد بعد الرسول هؤلاء؛ لأنَّ استخلاف غيره لا يكون إلا بعده، ومعلومٌ أنه لا نبيَّ بعده؛ لأنه خاتم الأنبياء، فإذن المراد بهذا الاستخلاف طريقة الإمامة.

ومعلومٌ أيضاً أن بعد الرسول الاستخلاف الذي هذا وصفه إنما كان في أيامهم، لأنَّ في أيامهم حَصَل التمكين

وظهور الدين والأمن، فكانوا كما قال تعالى على الدين الذي ارتضاه لهم، وقد تحقّق وعد الله فيهم، فقد قاموا بسياسة المسلمين وذبُّوا عن حَوزة الدين، واستقرَّ العزُّ والتمكين والأمن للمسلمين في أرض العرب والعجم، وبثُّوا القوانين الإلهيَّة الصالحة لكلِّ زمانٍ في الأمم.

وقد جاء في معنى تبديل خوفهم بالأمن أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال أصحابه: أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تلبثون إلا قليلاً حتى يجلس الرجلُ منكم في الملأ العظيم مُختبياً ليس عليهِ حديدة**».

وقال صلى الله عليه وسلم: «**والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**» خرّجه مسلم في صحيحه.

وقد أرجع الصِّديق رضي الله عنه جلَّ أهل الجزيرة العربية إلى الإسلام بعد ارتدادهم، وغلبت جيوشه الروم على أطراف أرض الشام، ودحرت جنود كسرى في أطراف أرض العراق، وتمَّم الفاروق فتح أرض الشام، وزاحم الروم في عقر دارهم، وفَتَحَ أرض مصر، وتمَّمَ أيضاً فتح بلاد فارس. ووسَّع ذو النورين الفتح ففتحت جيوشه إفريقية الشمالية

(المغرب الأدنى والأوسط) وتوغّلت في شمال فارس إلى بحر الخزر وجبال قفقاسيا، وفي جنوبها إلى حدود أرض الهند، وفي شرقها إلى حدود أرض التركستان.

خَفَقت راية الإسلام على هذه الممالك الواسعة في أقل من ربع قرن من وفاته عليه الصلاة والسلام، وانتشر في جميعها محاسنُ الدين الحنيف.

فنفذ وعد الله فيهم، وصدق قوله فيهم، كما صدق وتحقَّق وعده فيهم أيضاً في سورة المائدة قال تعالى فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾.

كما تحقَّق وصَدَق وعدُه وخبرُه تعالى أيضاً في سورة الفتح قال تعالى فيها لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ أي: عن الخروج معه عليه الصلاة والسلام إلى الحديبية ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾. فهذه الآيةُ دالةٌ أيضاً على صحة إمامة الشيخين أبي بكر وعمر سواء كان المدعو الأعراب لقتالهم فارس والروم أو بني حنيفة. فعلى كلا القولين هي حجةٌ ظاهرةٌ ومعجزةٌ لنبيِّه صلى الله عليه وسلم وإخبارٌ بغيب،

وهو إمامة الشيخين، لأنَّ الداعي لهم في قتال بني حنيفة هو أبو بكر رضي الله عنه، وقد خرج علي رضي الله عنه تحت لوائه إلى ذي حسا والأبرق وذي القَصة. وأخذ الحنفية من سبي بني حنيفة فاستولدها ولده محمداً.

فلو كانت إمامة الصديق باطلة وهو كافرٌ كما تزعم الرافضة لما جاز لعليٍّ رضي الله عنه الاندراج تحت راية الكافر لقتال المرتدين عن الإسلام، ولما جاز له أيضاً أخذ الحنفية وَوَطْؤها لأنه عندهم معصوم من جميع الذنوب.

والصدِّيق أيضاً دعاهم إلى قتال فارس والروم، واستُخْلِفَ الفاروق فدعاهم هذا أيضاً إلى قتالهم، فتحقَّقت الحجة والمعجزة في هذه الآية.

وإذا لم يكن هذا الوعد الذي في سورة النور بهم نَجزَ، وفيهم نَفَذَ، وعليهم وَرَدَ، ففيمن يكون إذا؟ وليس بعدهم مثلهم إلى يومنا هذا ولا يكون فيما بعده.

وإذا لم يكونوا هم أصحاب هذا الوعد والاستخلاف في الأرض والتمكين في الدين والعزَّة على الكافرين والذلة على المؤمنين قبل كل أحد وفوق كل أحدٍ قام بذلك، فلا وعد تحقَّق ولا استخلاف وُجِدَ في الأرض أصلاً، ولم يتمكن دين الحنيفية السمحاء في كثير من نواحي المعمورة،

ولم تدكّ صروح فارس والروم والقبط والترك والبربر، ولم توجد عزّةٌ للإسلام وأهله فقط.

ومن اعتقد عَدَمَ تحقُّق هذا الوعد والاستخلاف في الأرض لهم، وعدم حصول هذه الأمور الخطيرة العظيمة على أيديهم فقد كذَّب القرآن والمعقول والواقع والمحسوس، ومن كذَّب هذه كلها ودفعها فقد سَقَط اعتباره من العقلاء بل من نوع الإنسان أجمع.

وربّما يقول قائل: إنَّ هذا الوعدَ صحَّ وتحقَّق في أبي بكر وحدَهُ. فأما عمر فأيُّ أمن معه وقد قتل غيلة؟ وعثمانُ قد قُتل غَلَبَةً، وعليٌّ قد نوزع فلم تتمَّ خلافته على جميع المسلمين؟

فالجواب: أنَّ هذا السؤال إنما يعرض لجاهلٍ غبيٍّ أو متهاونٍ منطوٍ على نفاق خفي، أما عمر وعثمان فقد جاءهما أجلهما وماتا ميتتهما التي كَتَبها الله لهما، ولا يُشترط في الأمن عند كلٍّ من له مَسْكةٌ من عقل السلامة من الموت بأيِّ وجهٍ وقع.

وأما عليٌّ فلم يكن نزاله في الحرب مُذْهِباً للأمن الذي له فليس من شرط الأمن رفع الحرب عن الآمن، وإنّما شرطه ملك الإنسان لنفسه باختياره وسلامته عن الغلبة

المشحونة بالذل كما كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة، فأما بعد الهجرة إلى المدينة فقد آل أمرهم إلى الأمن والعزة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وحقيقةُ حال الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أنهم كانوا مقهورين فصاروا قاهرين، وكانوا مطلوبين فصاروا طالبين، ولا شكَّ أنَّ هذا نهاية الأمن والعزَّة فثَبت بهذا دلالة الآية على صحة خلافة الخلفاء الأربعة.

فإن قيل: الآيةُ متروكةُ الظاهر لأنها تقتضي حصول الخلافة لكلِّ مَنْ آمَنَ وعمل صالحاً وليس الأمر كذلك.

سلمنا دلالتها على ما ذكر، لكن لم لا يجوز أن يكون المراد من قوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ هو أنه تعالى يسكنهم في الأرض ويمكنهم من التصرُّف، لا أنَّ المراد منه خلافة الله تعالى، ومما يدل عليه قوله: ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ واستخلاف من كان قبلهم لم يكن بطريق الإمامة، فوَجَبَ أن يكون الأمر في حقِّهم أيضاً كذلك.

سلمناه لكن هنا ما يدلُّ على أنه لا يجوز حمله على خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنَّ من مذهبكم أنه عليه الصلاة والسلام لم يستخلف أحداً.

وروى عن عليّ رضي الله عنه أنه قال أتركُكُم كما تركَكُم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سلمناه، لكن لم لا يجوز أن يكون المراد منه علياً رضي الله عنه.. والواحد قد يعبَّر عنه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾، وقال تعالى في حقّ علي رضي الله عنه: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾.

سلمناه، ولكن نحمله على الأئمة الاثني عشر.

والجواب عن الأول: أن كلمة (من) للتبعيض، فقوله (منكم) يدل على أن المراد بها خطاب بعضهم.

وعن الثاني: أن الاستخلاف بالمعنى الذي ذكرتموه حاصلٌ لجميع الخلق، والمذكور ههنا في معرض البشارة لا بد وأن يكون مغايراً له.

وأما قوله تعالى: ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فالذين كانوا قبلهم قد كانوا خلفاء تارةً بسبب **النبوّة**، وتارةً بسبب **الإمامة**، والخلافة حاصلة في الصُورتين.

وعن الثالث: أنه وإن كان من مذهبنا أنه عليه الصلاة والسلام لم يستخلف أحداً بالتعيين، ولكنه قد استخلف بذكر الوصف والأمر بالاختيار، فلا يمتنع في الخلفاء الأربعة أنه

تعالى استخلفهم، وأنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام استخلفهم أيضاً، وعلى هذا الوجه قالوا في أبي بكر: يا خليفة رسول الله.

فإذا قيل: إنَّه عليه الصلاة والسلام لم يستخلف، أريد به على وجه التعيين، وإذا قيل: استخلف، فالمراد على طريقة الوصْف والأمر.

وعن الرابع: أنَّ حمل لفظ الجمع على الواحد مجازٌ وهو خلاف الأصل.

وعن الخامس: أنه باطلٌ لوجهين: **أحدهما**: قوله تعالى: ﴿منكم﴾ يدلُّ على أن هذا الخطاب كان مع الحاضرين معه عليه الصلاة والسلام، وهؤلاء الأئمة الاثنا عشر ما كانوا حاضرين.

الثاني: أنه تعالى وَعَدهم القوة والشوكة والنفاذ في العالم ولم يوجد ذلك في الاثنى عشر، فثبت بهذا صحة إمامة الخلفاء الأربعة، وبَطَلَ مذهب الرافضة الطاعنين على أبي بكر وعمر وعثمان كما بَطَل أيضاً مذهب الخوارج الطاعنين في عثمان وعليّ رضي الله عنهما.

❋ ❋ ❋

من معجزاتِه عليه الصلاة والسلام

تحقُّق وعد الآية بعده عليه الصلاة والسلام وحديثَيْ خَبَّاب وعُدي بن حاتم في ذلك

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن خبَّاب بن الأرَتّ رضي الله عنه قال: «شكونا إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم وهو متوسِّد بردةً له في ظلِّ الكعبة فقلنا له: **ألا** تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ فقال: «كَانَ الرَّجُلُ فيمَنْ قَبْلَكمْ يُحْفَرُ لَهُ في الأرض، فيُجْعلُ فِيهِ، وَيُجاءُ بالمنْشارِ، فيوضَعُ عَلَى رأسِه، فَيُشَقُّ باثْنَينِ، وَما يَصُدُّهُ ذلك عن دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بأَمْشاطِ الحدِيدِ مَا دُون لَحْمِهِ منْ عَظْم وَعَصَبٍ، ومَا يَصُدُّهُ ذلك عَنْ دِينِهِ والله لَيَتِمَّنَّ هذا الأمرُ حتى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعاءَ إلى حضْرَمَوْتَ لا يخافُ إلا الله والذئبَ على غنمِه ولكنكم تستعجلونَ».

وأخرج الإمام البخاري أيضاً في صحيحه عن عدي بن حاتم قال: «بينا أنا عند النبيِّ صلى الله عليه وسلم، إذ أتاه رجلٌ فَشَكا إليه الفَاقَة، ثم أتاه آخر فَشَكا إليه قطع السبيل.

فقال: يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها ولقد أُنبئت عنها.

قال: فإن طالَتْ بك حياة فلترينَّ الظعينة ترحَلُ من الحيرة حتى تطوفَ بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله، قلت: فيما بيني وبين نفسي فأين دعّار طيء الذين قد سعَّروا البلاد؟

ولَئِنْ طالَتْ بك حياة لتفتحنَّ كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز.

ولئن طالت بك حياة لترينَّ الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقينَّ الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فليقولنَّ: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم.

قال عدي: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**اتقُوا النَار ولَوْ بشِقِّ تَمْرَةِ، فَمَنْ لَمْ يجِدْ شِقّ تَمْرَةِ فَبِكَلمة طيبة**».

قال عدي: فرأيتُ الظعينة ترحلُ من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياةٌ لترونَّ ما قال

أبو القاسم صلى الله عليه وسلم، يخرج الرجل ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه.

* * *

من معجزاته صلى الله عليه وسلم

إخبارُهُ بأنَّ الخلافة بعده ثلاثون سنة

أخرج الأئمة أحمد بن حنبل وأبو داود والترمذي والنسائي وأبو يعلى وابن حبان عن سَفينة مولى النبيِّ صلى الله عليه وسلم عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «الخلافةُ في أمتي ثلاثون سنة».

وقد اتفق العلماء على أنها تمَّت بمدة الحسن بن علي رضي الله عنهما ثلاثين سنة، ومدته: ستة أشهر، ومدة الخلفاء الأربعة: تسعة وعشرون سنة وستة أشهر، وخلافة الصديق سنتان وثلاثة أشهر، وخلافة الفاروقِ عشر سنين وستة أشهر، وخلافة ذي النورين اثنتا عشرة سنة، وخلافة حَيْدرة أربع سنين وتسعة أشهر، فقال سعيد بن جمهان لسفينة: إنَّ هؤلاء يعني بني أمية يزعمون أنَّ الخلافة فيهم، فقال: كذب أستاه بني الزرقاء، بل هم ملوك من شرِّ الملوك. فألْ في الخلافة للكمال، والمعنى: الخلافة الكاملة بعدي مدتها ثلاثون سنة، أي: تتصل بدون انقطاع وتستمر

هذه المدة على هديي وسنتي فلا ينافي الملكُ الخلافة التي على سُنَن الأنبياء، ولا تنافيه بدليل شمول الآية لكلٍّ من وُجِدَ فيه الوصفان كما تقدَّم، وقد وُجِدَ ذلك ولله الحمد في كثيرٍ من ملوك المسلمين.

* * *

١٣ ـ في سورة الفتح

قال الله تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩)﴾.

هذه البيعة هي بيعة الرضوان، وكانت بالحديبية، وهي مشروحةٌ تفصيلاً في كتب الصحاح والسِّيَر، وعددُ المبايعين له عليه الصلاة والسلام فيها ألف وخمسمائة من الصحابة من رواية جابر بن عبد الله ومَجْمع بنِ جاريه رضي الله تعالى عنهما، فصرَّح برضاه عن هذا العدد منهم، ومن رضيَ عنه تعالى لا يمكن موته كما في الصحيحين على الكفر؛ لأنَّ العبرة بالوفاة على الإسلام، فلا يقع الرضا منه تعالى إلا على من عُلِمَ موتُه على الإسلام، وأما من عُلِمَ موته على الكفر فلا يمكن أن يخبر بأنه رضي الله عنه، فَعُلِمَ أنَّ كلا من هذه الآية وما تقدَّم قبلها، وما سيأتي بعدها صريحٌ في الردِّ على المبتدعة القائلين: بأنهم ليسوا بمؤمنين، وكلٌّ من قال: إنهم ليسوا بمؤمنين فهو غير مؤمنٍ بالقرآن إذ يلزم من الإيمان به الإيمان بما فيه، وقد عُلم أنَّ الذي فيه أنهم خيارٌ عدول، وأنَّهم خيرُ الأمم، وأنه رضيَ عنهم وأنَّ الله لا يخزيهم، فمن لم يصدِّق بذلك

فيهم فهو مكذِّبٌ لما في القرآن، ومن كذَّب بما فيه ممَّا لا يحتمل التأويل فهو جاحدٌ ملحدٌ مارقٌ.

وقوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يعني من الصدق والإخلاص والوفاء كما علم ما في قلوب المنافقين من المرض والنفاق ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ يعني الطمأنينة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى أن لا يفرُّوا.

وفي هذه الآية لطيفة وهي أنَّ هذه البيعة كانت في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك مُوجِبٌ لرضوان الله عزَّ وجل، وهو موجبٌ لدخول الجنة، ويدلُّ عليه قوله تعالى في الآية المتقدِّمة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ فَثَبتَ بهذا البيان أنَّ أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة، ويشهد له حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صحيح مسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لا يَدْخُلُ النارَ أحَدٌ ممنْ بَايَعَ تحتَ الشجرة»**.

وقوله تعالى: ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ إخبارٌ بغيب، ومعجزةٌ له صلى الله عليه وسلم، فالفتح القريب فتح خيبر، والمغانم الكثيرة مغانمها من نخيل وعقار وغيرهما، وكانت الحديبية في آخر السنة السادسة

للهجرة في ذي القعدة، وخيبر في أول محرَّم السنة السابعة للهجرة، وقد حَضَر فتح خيبر جميعُ من حَضَر الحديبية من الصحابة رضي الله عنهم.

إنَّ الله لا يغضبُ على مَنْ رَضيَ عنه أبداً

وقصَّةُ عمر بن عبد العزيز مع شيخه عُبيد الله

أرسل عبد العزيز بن مروان حينما كان أميراً على مصر لأخيه عبد الملك ابنَه عمر إلى المدينة ليتعلَّم بها، وكان عمر إذ ذاك شاباً، فكان يتردَّد إلى عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود أحد فقهاء المدينة السبعة المشهورين في بيته، فأتاه عمر يوماً على عادته، فأعرض عنه عبيد الله، فقال له عمر: يا سيدي لم تعرض عني؟ فقال له عبيد الله: أبلغك أنَّ الله غضب على أهل بيعة الرضوان بعد أنْ رَضيَ عنهم؟ قال: لا، فقال له عبيد الله: ما شيءٌ بلغني عنك في علي بن أبي طالب؟ فقال: يا سيدي أتوب إلى الله.

هكذا تربية العلماء الربانيين تلامذتهم بالحجج القرآنية البديعة، وهذه التربية العالية هي التي طهَّرت عقيدة الأشج من دنس تلك العادة الخبيثة التي سنَّها أسلافه بنو أمية، وهي لعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب على المنابر، فحملته

لما أفضتْ إليه الخلافة على إبطالها وإبدالها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾.

* * *

١٤ ـ في سورة الفتح أيضاً

قال الله تبارك وتعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾.

قد اشتملت هذه الآية الكريمة على فوائد عظيمة، فإنَّ قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ جملة مبيِّنة للمشهود به في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ ابتداء وخبر استوفى فيه تعظيم منزلة النبي صلى الله عليه وسلم بالثناء عليه، ثم ثنّى تعالى بالثناء على جميع أصحابه بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ كما قال تعالى فيهم أيضاً: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فوصفهم الله تعالى بالشدَّة والغِلْظة على الكفّار، وبالرحمة والبرّ والعطف على المؤمنين والذلة والخضوع لهم، وقد جاءت أحاديثُ صحيحة في تراحم المؤمنين عموماً منها ما أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«الرَّاحمونَ يَرحمهمُ الرحمنُ تبارك وتعالىٰ ارحَموا مَن في الأرضِ يَرحمكم من في السَّماء»** زاد أحمد والترمذي والحاكم: «والرَّحم شُجْنة من الرحمن فمن وصلها وصَلَه الله ومن قَطَعها قطعه الله» والشُّجنة بضم الشين وكسرها وبالجيم أصلها شعبة من غصن من غصون الشجرة: أي قرابة مشتبكة كاشتباك عروق الشجرة، شُبِّهت بذلك مجازاً أو اتِّساعاً.

ومنها ما أخرجه الإمام البخاري في «الأدب المفرد» وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«مَن لم يَرحمْ صغيرنا ويَعرِفْ حق كبيرنا فليسَ مِنّا»**. وإسناده حسن.

ومنها ما أخرجه الشيخان والإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ»** وأخرجه الشيخان

أيضاً وابن ماجهْ عن جرير بن عبد الله وهو متواتر، ومنها ما أخرجه الشيخان والإمام أحمد أيضاً والترمذي عن جرير بن عبد الله أيضاً بلفظ: **«مَنْ لا يَرْحَمُ النّاسَ لا يرْحمْهُ الله»** وأخرجه الإمام أحمد والترمذي أيضاً عن أبي سعيد الخدري.

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن حِبَّان والحاكم عن أبي هريرة بإسناد صحيح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: **«لا تُنزَعُ الرَّحْمَةُ إلا مِنْ شَقي»**.

وجاء في مقدار الرحمة ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل ومسلم بن الحجَّاج عن سَلمان رضي الله عنه عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال: **«إنَّ للّهِ عز وَجلّ مائة رَحْمَة. فَمِنها رحمةٌ يَتَراحَمُ بها الخلقُ، وبها تعْطِفُ الوُحوشُ على أولادها، وأخَّر تسعةً وتسعين إلى يومِ القِيامةِ»**.

وأخرج الإمام أحمد أيضاً وابن مَاجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لله مائةُ رَحْمَةٍ فقَسّم منها جُزْءاً واحِداً بَينَ الخَلقِ بِهِ يَتراحَمُ النّاسُ والوَحشُ والطيرُ»** ولا رَيْب عند كلِّ مسلم عاقل أنَّ الحظَّ الأعظم من هذه الرحمة الواحدة التي يتراحمُ بها خلقه تعالى للصحابةِ رضوان الله عليهم كما وصفهم الله بذلك، وقد جعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم ثناءَهم بالخير والشرِّ على الجنائز حجةً وشهادةً مقبولةً عند الله.

ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مرُّوا بجنازة فأثنوا عليها خيراً» ـ يعني الصحابة ـ فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «وَجَبَتْ»، ثم مرُّوا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال: «وَجَبَتْ»، فقال عمر رضي الله عنه: ما وَجَبَتْ يا رسول الله؟ فقال: هذا أثْنيتُمْ عليْهِ خيراً فوجبتْ لهُ الجنةُ، وهذا أثنيتم عليهِ شراً فوجبتْ لهُ النارُ، أنْتم شُهداء اللّهِ في الأرْضِ.

ثم أثنى عليهم تعالى بكثرة الأعمال مع الإخلاص وسَعَة الرجاء في فضل الله ورحمته بابتغائهم فضلَه ورضوانَه، وبأنَّ آثار ذلك الإخلاص وغيره من أعمالهم الصالحة ظهرت في وجوههم، حتى إنَّ من نظر إليهم بَهرَهُ حُسْن سمتهم وهَدْيهم؛ ومن ثَمَّ قال مالك رضي الله عنه: بلغني أنَّ النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام، قالوا: والله لهؤلاء خيرٌ من الحواريين فيما بلغنا. وقد صَدقُوا في ذلك فإنَّ هذه الأمة المحمديَّة خصوصاً الصحابة رضوان الله عليهم لم يزل ذكرهم معظَّماً في الكتب السماوية، كما قال تعالى في هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ أي: وصفهم ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ﴾ أي: وصفهم ﴿فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ والسيماء العَلاَمة. وعليه فقيل: المراد بها بياض

يكون في الوجوه يوم القيامة. قاله الحسن وسعيد بن جبير، وهو رواية عن ابن عباس.

وعن ابن عباس ومجاهد: السيماء في الدنيا هو السَّمْتُ الحَسَن.

وعن مجاهدٍ أيضاً: هو الخشوع والتواضع. قال منصور: سألتُ مجاهداً عن قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ أهو أثرٌ يكون بين عيني الرجل؟ قال: لاَ ربما يكون بين عيني الرجل مثل ركبة العنز وهو أقسى قلباً من الحجارة، ولكنه نورٌ في وجوههم من الخشوع، وقال ابن جريج: هو الوقار والبهاء.

ولا منافاة بين هذه الأقوال، فيمكن أن يكون في الدنيا هو السمت الحسن الناشيء عن الخشوع والتواضع: وفي الآخرة: نورٌ في جباههم.

وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «.. حتى إذا فَرغَ اللّهُ من القَضاء بَينَ العباد وَأرادَ أنْ يُخرج برحمتِهِ من أراد من أهل النار أمَرَ الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يُشْرك بالله شيئاً ممنَّ أرادَ الله أن يرحَمَهُ ممنَّ يقول: لا إله إلا الله فيعرفونهم في

النار بأثر السُّجود تأكلُ النار ابن آدم إلا أثَرَ السُّجود حَرَّم اللّهُ على النار أن تأكلَ أثرَ السجود».

قال شَهر بنُ حَوْشب: يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر.

وقوله تعالى: ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ إلخ مَثَلٌ للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في كونه عليه الصلاة والسلام بعث وحده فكان كالزرع حبة واحدة يبدو بعد البذر ضعيفاً، فيقوى حالاً بعد حال حتى يغلظ نباته، وشَطْء الزرع: نباته وفراخه، والجمع: أشطاء، وفي كون أصحابهِ كانوا قليلين أوّلَ دعوته إلى الله ثم لا زالوا يزدادون ويكثرون ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي: قوَّاه وأعانه وشدَّه أي: قوى الشَّطْءُ الزرعَ، وقيل: بالعكس، أي: قوى الزرعُ الشَّطءَ قال امرؤ القيس:

بمحنية قد آزر الضال نبتها

مجر جيوش غانمين وخيب

﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ على عُوده الذي يقوم عليه فيكون ساقاً له، والسوق جمع ساق ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ أي: يعجب هذا الزرع زراعه.

المعنى: هم أي محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ أي: فراخه ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾

أي: شدَّه وقوَّاه ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ أي شب وطال، ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ أي: يعجبهم قوته وغلظه، وحُسن منظره، فكذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آزروه وأيَّدوه ونصروه، فهم معه كالشَّطء مع الزرع، وقوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ ابتداء كلام قبله محذوف تقديره: جعلهم الله بهذه الصفة ليغيظ بهم الكفار، فهو تعليلٌ كما دلَّ عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة، ويجوز أن يعلَّل به قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ لأنَّ الكفار إذا سمعوا بما أعد الله لهم في الآخرة مع ما يُعِزُّهم به في الدنيا غاظَهم ذلك، ومَنْ في قوله: ﴿مِنۡهُم﴾ لبيان الجنس لا للتبعيض، والمعنى: وعد الله جميع الصحابة الجنة، وكذلك كلُّ مَنْ آمن وعمل صالحاً من أمة الإجابة.

وروى أبو عروة الزبير قال: كنا عند مالك بن أنس الإمام، فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ مالك هذه الآية: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ حتى بلغ: ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ فقال مالك: مَنْ أصبح من الناس في قلبه غيظٌ على أحدٍ من أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابتْهُ هذه الآية.

* * *

١٥ - في سورة الحديد

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾.

المعنى: لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدوَّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من أنفق ماله وقاتل بعد الفتح، نفى الله سبحانه المساواة بين من أنفق من قبل فتح مكة وبين من أنفق بعد ذلك، لأنَّ حاجة الناس كانت قبل الفتح أكثر لضعف الإسلام، وفعل ذلك كان على المنافقين أشق، والأجر على قدر المشقة ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح: «**لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغَ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه**» ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا﴾ أي: كل واحد من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات.

قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها، والتقييد بالإنفاق والقتال، خرج مخرج الغالب، والمراد: من اتَّصف بالإنفاق والقتال بالفعل أو بالقوة عند المحققين.

فهذه الآية نصٌ صريح أيضاً في تفاوت الصحابة رضي الله عنهم في الدرجات والمراتب، ونصٌ صريح أيضاً في كون جميعهم في الجنة.

وإذا تقرَّر التفضيل بينهم وانتفت المساواة بهذا النص ثبت به أيضاً المفاضلة والتفاوت بين جميع الناس بالحكمة والحكم، فإنَّ التقدُّم والتأخُّر يكون في الدين، ويكون في أحكام الدنيا، فأما في أحكام الدين ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم» وأعظم المنازل مرتبة الصلاة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه: «**مُرُوا أبَا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاس**»، فقيل له: إنَّ أبا بكر رجلٌ أسيف إذا قامَ مقامَكَ لم يُسْمِع الناس من البكاء، فَمُرْ عمر فَلْيُصَلِّ بالناس، فقال: «**مُرُوا أبا بَكرٍ فليُصَلِّ بالنَّاس**» الحديث، فقدَّم صلى الله عليه وسلم المقدَّم وراعى الأفضل، وفي حديث أبي مسعود الأنصاري من رواية الترمذي وغيره: «**يؤمُّ القومَ أقرَؤهمْ لِكتَابِ الله، فإنْ كانُوا في القِرَاءَة سَوَاءً فأعْلَمهم بالسُّنَّة، فإنْ كانُوا في السُّنَّةِ سَوَاءً فأقدَمُهم هِجْرةً، فإنْ كانُوا في الهِجْرَةِ سَواءً فأكبرُهم سنًا، ولا يَؤُمُّ الرَّجُلُ في سلطانِهِ، وَلا يُجْلَسُ عَلى تكرمتهِ إلا بإذنِهِ**».

وأما أحكام الدنيا فهي مرتَّبةٌ على أحكام الدين، فمن قُدِّم في الدين قُدِّم في الدنيا.

وفي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت بإسناد حسن عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**ليس منّا من لم يُجِلَّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقّه**».

* * *

١٦ ـ في سورة الحشر

قال تبارك وتعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾.

اللام بدل من اللام في قوله قبله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ وهي للملك والاستحقاق، وقد حَصَرَ الله سبحانه وتعالى قِسْمة مال الكفار الذي يؤخذ منهم بدون حرب وهو المسمَّى بالفيء في هذه الآية بين ثلاث طوائف من المسلمين:

الأولى: هي المعبر عنها بقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾، إلى قوله: ﴿الصَّادِقُونَ﴾، وقد دخل تحت هذه الطائفة جميع الصحابة من المهاجرين، وقد سمَّاهم الله في خاتمة ثنائه عليهم بأوصاف عظيمة «الصادقين».

ثم ذكر تعالى الطائفة الثانية بواو العطف المقتضى للتشريك في الحكم فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ إلى

قوله: ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾، وقد دخل تحت هذه أيضاً جميع الصحابة من الأنصار، وقد سماهم الله تعالى بعد ثنائه عليهم بأوصاف تحلوا بها «المفلحين»، وبهاتين التسميتين احتجَّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة على الأنصار حين تنازعوا على الخلافة بأنها في قريش، قال لهم: لأنَّ الله قد سمَّاكم في سورة الحشر المفلحين، وسمَّانا فيها الصادقين، وقد أمركم الله في سورة التوبة بأن تكونوا معنا، قال تعالى فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ فدلَّ هذا على أنَّ الخلافة فينا، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء. فأذعنوا رضي الله عنهم وبادروا إلى بيعته.

واحتجَّ بعض العلماء بهذه الآية على إمامة الصديق رضي الله عنه، فقال: هؤلاء الفقراء من المهاجرين والأنصار كانوا يقولون لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، والله يشهد على كونهم صادقين فوَجَب أن يكونوا صادقين في قولهم: يا خليفة رسول الله، ومتى كان الأمر كذلك وجب الجزم بصحة إمامته، وهو احتجاج صحيح.

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ هم المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والعشائر وخرجوا حباً لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من شدَّةٍ حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب

الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتَّخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«إنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ يومَ القيامةِ إلى الجَنَّة بأربعين خريفاً»**.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة» أخرجه أبو داود.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ أي: توطَّنوا الدار وهي المدينة، وأخلصوا الإيمان قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين عليهم ﴿يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ وذلك أنهم أنزلوا المهاجرين في منازلهم وأشركوهم في أموالهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ﴾ أي: حزازةً وغيظاً وحسداً ﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ أي: أعطيه المهاجرون من الفيء دونهم، وذلك أنَّه عليه الصلاة والسلام قَسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعطِ الأنصار منها شيئاً، إلا لثلاثة منهم كانوا ذوي حاجة، فطابَتْ أنفس الأنصار بذلك ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي: ويؤثر الأنصار

المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي: فاقة وحاجة إلى ما يُؤثرون به.

وقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني مجهودٌ، فأرسل عليه الصلاة والسلام إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ يُضيفُ هَذا يَرْحمهُ اللهُ؟ فقام أبو طلحة الأنصاري فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى أهله فقال لامرأته: ضيفُ رسول الله لا تدَّخري عنه شيئاً، فقالت: واللّهِ ما عندي سوىٰ قوتُ الصِّبْية، قال: فعلليهم بشيءٍ ونوِّميهم، فإذا دَخَلَ ضيفنا فأريه أنا نأكل، فإذا أهوى بيده ليأكل فقومي إلى السِّراج كي تصلحيه فأطْفئيه، ففعلت فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين؛ فلما أصبحَ غدا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقَدْ عَجِبَ اللّهُ مِنْ فلانٍ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون بما أرادوا، والشحُّ: اللؤم وأن تكون نفسُ الرجل كزة حريصة على المنع وأمَّا البُخل فهو المنع نفسه.

وأخرج الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**اتّقوا الظُّلمَ فإنَّ**

الظلمَ ظُلماتٌ يَومَ القِيامَةِ، واتَّقُوا الشُّحَّ فإنَّ الشُّحَ أهلكَ مَنْ قبلكُمْ حَملهُمْ على أنْ سَفَكُوا دماءَهَمْ واسْتحلُّوا مَحارِمَهم».

وأخرج البخاري في تاريخه وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**شرُّ مَا في الرَّجُل شحٌّ هَالِعٌ وَجُبنٌ خالعٌ**» والهلع: أشدُّ الجزع، والخالع: الذي خلع فؤاده لشدة خوفه وفزعه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يجتمعُ غبارٌ في سبيل الله ودخانُ جهنم في جوفِ عبدٍ أبداً، ولا يجتمع الشحُّ والإيمانُ في قلبِ عبدٍ أبداً**» أخرجه النسائي.

ثم ذكر تعالى **الطائفة الثالثة** بواو العطف أيضاً الدالة على مطلق التشريك في الحكم فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فاشترط سبحانه على هذه الطائفة في استحقاق أخذها من مال الكفار الذي لم يُوجَفْ عليه بخيلٍ ولا ركابٍ مثلا استغفارها للطائفتين اللتين سبقتاها بالإيمان، وهم المهاجرون والأنصار، أي: جميع الصحابة بصيغة الأمر، وهذه البعدية في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي بعد الصحابة يدخل تحتها جميع الأمة الإسلامية من التابعين إلى قيام الساعة قطعاً، وقد

اشترطَ تعالى على كلّ من دَخَل تحت هذه البعدية لاستحقاق أخذ فيء المسلمين استغفاره للصحابة، والشرط هو قوله: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ فجملةُ يقولون في محل نصب حال، وقد تقرَّر عند النحاة أنَّ الحال وصفٌ لصاحبها قيدٌ لعاملها، وصاحبُها هنا هو الواو في جاءوا العائد على الموصول الذي هو الطائفة الثالثة وعاملها جاءوا، والمعنى جاءوا من بعد في حال كونهم قائلين: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾ أي: استحقاقهم الأخذ من الفيء مقيَّد باستغفارهم للصحابة رضوان الله عليهم.

استنباط إمام دار الهجرة من هذه الآية

ومن آية الفتح عدم إسلام المُبْغضين للصحابة

ومن هذا القيد المقيَّد به استحقاق هذه الطائفة الثالثة لفيءِ المسلمين ومن آية الفتح التي تقدَّمت: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ إلى قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ استنبطَ إمامُ دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه أنَّ أهل الأهواء المُبْغضين للصحابة رضي الله عنهم ليسوا بمسلمين، لأنه لا حظَّ لهم في فيءِ الإسلام بمقتضى نص هذه الآية، ولقوله تعالى في آية الفتح: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ ووافقه الإمام الشافعي وغيره.

وأخرج مسلم عن عروة بن الزبير قال: قالت عائشة: «يا ابن أختي أُمِرُوا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبُّوهم».

ورُوِيَ عن جابر قال: قيل لعائشة: إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أبا بكر وعمر، فقالت: وما تعجبون من هذا، انقطع عنهم العمل فأحبَّ الله أن لا يقطع عنهم الأجر.

ورويَ أنَّ ابن عباس سمع رجلاً ينال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: أمِنَ المهاجرين الأوَّلين أنت؟ قال: لا، قال: فمن الأنصار أنت؟ قال: لا، قال: فأنا أشهد بأنك لست من التابعين لهم بإحسان.

وقال مالك بن مغول: قال الشعبي: يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سُئِلت اليهود: مَن خيرُ أهل ملَّتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسُئِلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواريو عيسى، وسئلت الرافضة: من شرُّ أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أُمروا أن يستغفروا لهم فسبُّوهم، والسيفُ مسلولٌ عليهم إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ بسفك دمائهم وتفريق شملهم وإدْحاض حجتهم، أعاذنا الله والمسلمين من الأهواء المضلَّة.

١٧ ـ في سورة التحريم

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

يوم منصوب على الظرفية بيدخلكم، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ معطوف على النبيِّ ففيه تعريضٌ بمن أخزاهم الله من أهل الكفر، واستحمادٌ للمؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم فآمنهم الله من خزيه، ولا يأمن من خزيه في ذلك اليوم إلا الذين ماتوا والله سبحانه ورسوله عنهم راضٍ، فأمنهم من الخزي صريح في موتهم على كمال الإيمان وحقائق الإحسان وفي أنَّ الله لم يزل راضياً عنهم؛ وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم! وجملة قوله: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ مستأنفة أو حال، وكذلك قوله: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يقول ذلك عند انطفاء نور المنافقينَ إشفاقاً، وعن الحسن: أنه تعالى متمِّم لهم نورهم، ولكنهم يدعون تقرباً إلى حضرة الله تعالى كقوله تعالى ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ وهو مغفورٌ له.

وقيل: يقوله من أعطى من النور بقدر ما يرى موضع قدميه فقط.

الصحابة يدخلون أيضاً تحت كل آية فيها ثناءٌ على المؤمنين

ووعدٌ لهم بالجنة قبل كلِّ مسلم

هذه سبع عشرة آية كلها نصوصٌ صريحةٌ في مناقب الصحابة رضوان الله عليهم، بعضها خطابٌ لهم من الله تعالى مباشرة، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

وباقيها صيغُ عموم تشملهم جميعاً كما يشملهم، بل يدخلون فيها قبل كل أحد كلُّ آية فيها ثناء على المؤمنين ووعد لهم بالجنة وإخبار وتبشيرٌ منه تعالى لهم بذلك، كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾.

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣)﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي

نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ (٢٤)
يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ
ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢٨)﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ (١٠) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١) فِى
جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (١٢)﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا
كَافُورًا (٥)﴾ إلى آخرها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ (٧) جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ
رَبَّهُۥ (٨)﴾، وهو شيءٌ كثير في القرآن يصعُبُ استقصاؤه كله
وَرَد بألفاظ العموم.

* * *

القرآن نَزَل بلغة العرب

فلا سبيلَ لأحدٍ أن يتحكم في نصوصه وعموماته برأيه أو لغته.

والقرآن نَزَل بلغة العرب، فلا سبيل لأحدٍ أن يتحكَّم في نصوصه وعموماته الكثيرة - وكثيرٌ منها مقرون بلام الجنس الاستغراقية - برأيه أو لغته فيحملها على أفراد قليلين

من أصحابه صلى الله عليه وسلم فهي محمولة كلها على الجمِّ الغفير في لغة الضاد قطعاً، وعليه فمن الحماقة تخصيصها ببعض دون بعض منهم والتحكُّم فيها بالآراء الفاسدة بدون برهان نقلي صحيح أو عقليّ سليم، وليس الدين بالرأي ولو كان بالرأي لكان مسح أسفل الخف أولىٰ من مسح أعلاه كما قال أمير المؤمنين حَيْدرة كرم الله وجهه.

ولقد كان بغض الصحابة رضوان الله عليهم لمجرد الهوى والرأي الخاطىء معروفاً عند جميع المسلمين لطائفتين ينتسبان إلى الإسلام اسما لا روحاً وهما: الخوارج والشيعة الرافضة، فجاء في هذا العصر منتقدون لهم أيضاً فكانت ثالثة الأثافي.

* * *

طائفة ثالثة من أهل العصر

انتقدوا الصحابة بأهوائهم وبالروايات الباطلة

وقد جاءت طائفة ثالثةٌ من أهل العصر منتسبون في العقيدة لأهل الحق، انتقدوا الصحابة رضي الله عنهم انتقاداً مرًّا، زاعمين أنَّ هذا هو التاريخ الحر، وعُمدتهم في انتقادهم أهواؤهم وتقليدهم كل ما يقوله المؤرخون، بل

تقليد بعضهم بعضاً، وتمسُّكهم بالروايات الباطلة، فأما أهواؤهم فهي نتيجة آرائهم المستنتجة من الوقائع والأحوال:
وقد ذمَّ كثيرٌ من أئمة الدين الأقدمين - الذين يفهمون أسرار الشريعة - الرأي واتهَّموا آراءهم، ولم يركنوا إليها مع كثرة علمهم وورعهم وخوفهم من الله تعالى.

وسُئل الشعبي فقيل له: ما تقول فيما قاله الناس لهذين الرجُلين؟ فقال: أي هذين الرجلين؟ قيل له: عليّ وعثمان. فقال: إني والله لغنيٌّ أن أجيءَ يوم القيامة خصيماً لعلي وعثمان.

وسأله صالح بن مسلم عن مسئلة فقال: قال فيها عمر بن الخطاب كذا، وقال عليّ بن أبي طالب فيها كذا، فقال له صالح: ما ترى. فقال: ما تصنع برأيي بعد قولهما. إذا أخبرتك برأيي فَبُلْ عليه.

وسأل الحجاج سعيد بن جبير رضى الله عنه عند قتله فقال: ما قولك في محمد صلى الله عليه وسلم؟

قال: نبيُّ الرحمة إمام الهدى عليه الصلاة والسلام، قال: فما قولك في عليّ في الجنة هو أو في النار. قال: لو دخلتها فرأيت أهلها عرفتُ من فيها قال: فما قولك في الخلفاء. قال: لستُ عليهم بوكيل، قال: فأيهُم أعجب

إليك، قال: أرضاهم لخالقي. قال: فأيُّهم أرضى للخالق قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرَّهم ونجواهم.

فانتقاد الصحابة رضي الله عنهم ليس برأيٍ حتى يسوِّغ للأغمار الخوض فيه، بل هو الطعن المحضُ في دعائم الشريعة، وفي الشريعة نفسها كتاباً وسنةً، وهو طعنٌ في نصوص القرآن القطعية التي عدَّلتهم ومَدَحتهم، وطعنٌ في أحاديثه صلى الله عليه وسلم الصحيحة الكثيرة كذلك، على أنه لا فائدة يجنيها المسلمون من هذا النقد سوى شماتة الأجانب.

وأما تقليدهم لكلِّ ما يقوله المؤرخون فهو نتيجة إفلاسهم من الرواية مطلقاً صحيحة وسقيمة، وجهلهم لها ولرجالها العدول وغيرهم جهلاً مطبقاً.

وأما تمسّكهم بالروايات الواهية فهو مبنيٌ على هذا وعلى تقليد مثلهم، فإن كان مقلدهم القديم من ضَعَفة الرواة وأهل الأهواء فيكون الجهل حينئذ جهلاً مكعباً، ومع كون كتب هذه الطائفة مشحونة بانتقاد الصحابة رضوان الله عليهم بالآراء السخيفة وتقليد الأجانب وأهل الأهواء والوضَّاعين انكبَّ الناس على شرائها بالثمن الغالي واقتنائها ومطالعتها باشتياق، لاختصارها وأسلوبها الذي تتَّسع له أفكارهم!! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فيا أيها المسلم النبيل إذا كنت محتاطاً لدينك، حافظاً لكرامة رجال سلفك، فلا تثق ولا تلتفت لكلِّ ما يمسُّ بكرامة أيِّ صحابي من أصحاب نبيِّك صلى الله تعالى عليه وسلم في أيِّ تاريخ من تواريخ المسلمين كائناً صاحبه من كان، فإنَّ كل نقد فيمن هو دونهم من رجال الإسلام جَلَلٌ فكيف بهم. . ولا تتأسَّف ولا تعجب من تشويه الأجانب حقائق التاريخ الإسلامي الناصعة إذا كان من ينتسب إليه قد سنَّ لهم هذه السنَّة السيئة، وفتح لهم بابَ شرٍّ مستطير: وهذه مجلة الهلال توالي بنشاط واستمرار بأسلوبٍ خلاّبٍ لعقول السّذج من الناشئة، وعناوين مُزَخرفة وأسماء لا وجودَ لها إلا في مخيلة واضع الدسائس والخبائث ونشر ما أسَّسه لهم شيخهم عدو الإسلام عامة والعرب خاصة جرجي زيدان: من العار والمخازي التي تبرأ منها جميع الأديان السماوية والتاريخ والإنسانية الكاملة في الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

فيا أيها المسلمون نزِّهوا أسماعكم وأبصاركم وعقولكم عن هذه القاذورات التي يحاول بها تلويث دعائم مجد دينكم.

* * *

التاريخ نقلٌ محض يُشترط فيه ما يشترط في الخبر

والتاريخ: نقلٌ محضٌ وخبرٌ، يُشترط فيه ما يشترط في الخبر من عدالة الرواة الناقلين لأيِّ حادثةٍ من حوادثه تتعلَّق بأيِّ شخص كان من الناس وضبطهم، وغير ذلك من شروط الخبر المعتَبَرة في الرجال فرداً فرداً، فمجالُ الرأي في أيِّ حادثة منه لا يكون إلا بعد استيفائها شروط الصحة للخبر. وإن نقص شرطٌ من الشروط المعتبرة فيه فالرأي حينئذ معزول، والفهمُ مهما وثق به صاحبه وغيره مطروحٌ.

هذا هو التحقيق والأساس الذي يجب على كلِّ من نَصَبَ نفسه للطعن في رجال الإسلام عموماً أن يبنيَ انتقاده عليه، فكيف به إذا كان في سادات هذه الأمة الصحابة رضوان الله عليهم، وقد انقطعت رواية العلم وإتقانها منذ مئات من السنين، وبقيت كسائر الفنون في بطون الكتب، وتراثُ الآباء المحققين العدول وغيرهم، وقلَّ أن يسلم كتاب إمام مبرز من الأقدمين كابن جرير من الروايات الواهية، فكيف بمن هو دونه؟

فإن قيل: كيف ساغ للإمام ابن جرير وأمثاله رواية الأخبار الواهية والباطلة في حقِّ الصحابة رضي الله عنهم في تواريخهم.

قلت: سوغ لهم ذلك أمران:

الأول: سَعَة دائرة التاريخ قَضَت عليهم بقَبول كل ما يُحشر فيه من الروايات صحيحة كانت أو سقيمة، وكل من يرويه عدلاً أو غيره.

الثاني: التعويل على أنَّ أهل زمانهم حيث كان العلم شائعاً منتشراً في كثير منهم، وخصوصاً علم الرواية يعلمون تمييز الراوي الضعيف من الخرِّيت، والمجلى من السكيت، والخبر الصحيح من السقيم فيما يتعلق بوقائع الصحابة وأحوالهم بسهولة مع حُسن عقيدتهم فيهم.

ويشهد لهذا رواية كثير من أئمة الحديث المبرزين العدول في سننهم ومسانيدهم أحاديث كثيرة ضعيفة وواهية، كأصحاب السنن الأربعة ولا سيما ابن ماجَهْ، وقد بيَّنها ونقَّحها جهابذة الحفاظ. كما بيَّنوا ونقَّحوا صحيح التاريخ من زائفِهِ المتعلِّق بأحوال الصحابة، وبالحروب التي وقعت بينهم وبالخلفاء منهم.

فالمؤرِّخ المبرِّز من الأقدمين المنقِّب عن أحوال الناس على خَطَر عظيم، ولأجله قال شيخ الإسلام ابن دقيق العيد رحمه الله: «أعراض المسلمين حفرة من حفر النار! وقف على شفيرها المؤرخون والأمراء». فكيف بالمتأخرين الذين

ليس لديهم إلا التقليد لكلِّ من هبَّ ودبَّ فما كان أصح علم من تقدما!!

وما أشدَّ بُعدَ هذه الطائفة عن ذلك! ولا يغتَّر عاقلٌ بما يذكرونه من مناقبهم بجانبِ ثلبهم فهم كمن يقطع ثوباً جديداً ثم يرقِّعه، فما أغناهم عن هذا التقطيع والترقيع!

وهم أشدُّ ضرراً على أبناء المسلمين من طائفتي الخوارج والروافض، لأنَّ عقيدة الطائفتين في الصحابة مكشوفةٌ لجمهور المسلمين السنيين، حتى غالب العوام منهم بخلاف حال هذه الطائفة فإنهم موَّهوه بستار التاريخ الحر المزعوم فَرَاجَ عند الناشئة من شُبَّان المسلمين رواجاً عظيماً، لأنه صادف قلوباً خالية من تاريخ سلفهم المجيد، جاهلةً بمناقب الصحابة، زاهدةً في البحث والتنقيب عن تراثهم القديم الصحيح، مائلةً إلى كل جديد وإن كان أباطيل، ولقد صَارَ هذا الانتقاد عند هذه الطائفة من الإصلاح الضروري، فكتابتهم في تاريخ المسلمين لا تقوم دعائمها إلا به؛ ومما يَستدعي الإعجاب من هؤلاء المصلحين أنهم إذا كتبوا عن حياة أساتذتهم ومن لا يعبأ الله به يتغالَوْن في إطْرائهم حتى يجاوزوا المعقول، يُثبتون لهم أخلاق الأنبياء وحكمة الحكماء وجهاد الأبطال العظماء، ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى وأحسن مما أتى به أولها.

وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح لخالد بن الوليد رضي الله عنه ـ وهو من هو ـ لما سبَّ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما: «دَعُوا لي أصْحَابي، فوَالذي نفسي بِيَدِهِ لوْ أنْفَقَ أحدُكمْ مِثْلَ جَبَلِ أحُدٍ ذَهباً ما بَلَغَ مُدَّ أحدِهِمْ وَلا نصيفَهُ» ولهؤلاء المصلحين سَلَفٌ في نقد الصحابة غير صالح وهم المعتزلة.

* * *

مدافعة عُمَرُ بن حَبيب عن الصَّحابة

في مجلس الرشيدِ، وردُّه عليه وعلى أَوْباش المعتزلة

قال عمرُ بن حبيب: حضرتُ مجلس هارون الرشيد، فجرت مسئلة تنازعها الحضور وَعَلت أصواتُهم، فاحتجَّ أحدهم بحديث رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفع بعضهم الحديث، وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم: لا يقبل هذا الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أبا هريرة متَّهمٌ فيما يرويه، وصرَّحوا بتكذيبه ورأيتُ الرشيد قد نحا نحوهم ونَصَرهم ونصرَ قولهم، فقلت أنا: الحديثُ صحيحٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو هريرة صحيحُ النقل، صدوقٌ فيما يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره، فنظر إليّ الرشيد نَظَر مُغْضَب، وقُمت من المجلس فانصرفت إلى منزلي، فلم ألبث حتى قيل صاحب البريد بالباب، فدخل فقال لي: أَجبْ أمير المؤمنين إجابةَ مقتول وتحنَّط وتكفَّن. فقلت: اللهم إنَّك تعلم أني دافعتُ عن صاحب نبيِّك وأجللت نبيَّك أن يُطْعَن على أصحابه فسلِّمني منه، فأُدخلتُ على الرشيد وهو جالسٌ على كرسي من

ذهب، حاسرٌ عن ذراعيه بيده السيف، وبين يديه النطع، فلما بَصُر بي قال لي: يا عمر بن حبيب؟ ما تلقّاني أحد من الردّ والدفع لقولي بمثل ما تلقيتني به؟

فقلت يا أمير المؤمنين: إنَّ الذي قلته وجادلت عنه فيه ازدراءٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به، إذا كان أصحابه كذّابين، فالشريعة باطلة والفرائض والأحكام في الصيام والصّلاة والطلاق والنكاح والحدود كلها مردودة غير مقبولة، فرجع إلى نفسه، ثم قال: أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله وأمر لي بعشرة آلاف درهم.

* * *

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾

أصل في مشروعية قتال المسلمين

قال القاضي الإمام أبو بكر بن العربي المعافري في «أحكامه» ما نصُّه: هذه الآية هي الأصل في قتال المسلمين، والعُمدة في حَرب المتأوِّلين، وعليها عوَّل الصحابة، وإليها لَجأ الأعيان من أهل الملَّة، وإيَّاها عَنَى النبي ﷺ بقوله: «**يَقْتُلُ عَمَّاراً الفِئَةُ الباغِية**» وقوله في شأن الخوارج: «**يخرجُونَ على خَيرِ فرْقةٍ من النّاس تقْتُلهُمْ أوْلى الطّائفِتَين بالحقّ**».

وكان الذي قتلهم عليُّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ومن كان معه، فتقرَّر عند علماء المسلمين وثبت بدليل الدين أن علياً رضي الله عنه كان إماماً، وأنَّ كل من خرج عليه باغٍ، وأن قتاله واجبٌ حتى يَفيءَ إلى الحق، وينقادَ إلى الصلحَ، لأنَّ عثمان رضي الله عنه قُتِلَ والصحابة برآء من دمِهِ، لأنه مَنَعَ من قتال من ثار عليه وقال: لا أكون أوَّلَ من خَلَفَ رسول الله ﷺ في أمته بالقتل، ، فَصَبر على البلاء، واسْتَسْلَم للمحنة، وفدا بنفسه الأمة، ثم لم يمكن ترك الناس سُدىً، فَعَرضت الأمة على باقي الصحابة الذين ذكرهم عمر في الشورى وتدافعوا، وكان عليٌّ أحقَّ بها وأهلها، فقبلها حَوْطة على الأمة أن تسفكَ دماؤها بالتهارج والباطل، ويتخرق أمرها إلى ما لا يتحصَّل، وربما تغيَّر الدين وانقضَّ عمود الإسلام.

فلما بويع له طَلَبَ أهلُ الشام في شرط البيعة التمكين من قَتَلَةِ عُثمان وأخذ القود منهم، فقال لهم عليٌ: إدخلوا في البَيْعة واطْلُبوا الحقَّ تصلوا إليه، فقالوا: لا تستحق بيعة وقَتَلة عثمان معك فتراهم صباحاً ومساءً، فكان عليٌ في ذلك أسدَّ رأياً وأصوَبَ قولاً، لأن علياً لو تعاطى القود منهم لتعصَّبت لهم قبائل، وصارت حرباً ثالثةً، فانتظر بهم أن يستوثق الأمن، وتنعقد البيعة العامة، ويقع الطلب من الأولياء في مجلس الحكم، فيجري القضاء بالحق.

ولا خلافَ بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القِصاص إذا أدَّى ذلك إلى إثارةِ الفتنة، أو تشتيت الكلمة، وكذلك جرى لطلحة والزبير فإنهما ما خَلعا علياً عن ولاية، ولا اعترضا عليه في ديانة، وإنما رَأَيا أن البَداءة بقتل أصحاب عثمان أَوْلى فيبقى هو على رأيه لم يزعزعه عمَّا رأى ـ وقد كان الصَّواب ـ كلامُهما، ولا أن يؤثِّر فيه قولهُما، وكذلك كان كلُّ واحد منهما يُثني على صاحبه ويشهد له بالجنة، ويذكر مناقبه، ولو كان الأمر على خلاف هذا لتبرأ كل واحد من صاحبه، فلم يكن تقاتلُ القوم على دنيا ولا بغياً بينهم في العقائد، وإنما كان اختلافاً في اجتهاد، فلذلك كان جميعهم في الجنة.

* * *

إلزام الخوارج في عقيدتهم في الصحابة

نسبة الجهل إليه تعالى أو العَبَث، وكلاهما محال

لقد بَعُدَ عن جادة الحق، وضيَّق واسعاً من تحكَّم على الله برأيه فحصر الصحابة رضي الله عنهم والشريعة السمحاء كلها في الشيخَيْن وأفراد قليلين، وقد تلقَّى القرآن عن النبيِّ ﷺ، وعلَّمه الناسَ كثيرٌ من الصحابة، منهم الخلفاء الأربعة، وأبي بن كعب، وابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبادة بن الصامت، وأبو زيد، وأبو الدرداء، وزيد بن ثابت، وحذيفة بن اليمان، وأبو موسى الأشعري، وعمران بن حصين، ومعاذ بن جبل، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم كما حَمَل بيانه ـ سنته ـ عليه الصلاة والسلام جمهور الصحابة رضي الله عنهم، والمكثرون لحفظها منهم ستة: ابن عباس، وابن عمر، وعائشة، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وأبو هريرة، وهذا الأخير أحفظ الجميع وأرواهم لها.

ومعلومٌ عند كل من له اطلاع على كتب الحديث النبوي أن سنته عليه الصلاة والسلام الثابتة عند آلاف مؤلفة من الأحاديث رواها وضَبَطها أئمة الحديث في الصحاح والمسانيد والمعاجم، ونسبة جميع ما رواه الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم منها إليها جزءٌ ضئيل فمرويُّ الصِّديق الأكبر

أبو بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ مائة واثنان وأربعون حديثاً.

ومرويُّ الفاروق أبي حفص رضي الله عنه عن النبي ﷺ خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثاً.

ومرويُّ ذي النورين رضي الله عنه عن النبي ﷺ مائة وستة وأربعون حديثاً.

ومرويُّ أبي الحسن حَيْدرة كرم الله وجهه خمسمائة وستة وثمانون حديثاً.

وأكثرُ الصحابة فتوى مطلقاً سبعة: عمر، وعلي، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وعائشة رضوان الله عليهم، ويمكن أن يجمع من فتيا كل واحد من هؤلاء مجلَّد ضخم.

ويليهم عشرون وهم: أبو بكر، وعثمان، وأبو موسى، ومعاذ، وسعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة، وأنس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وسلمان، وجابر وأبو سعيد، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمٰن بن عوف، وعمران بن حصين، وأبو بكرة، وعبادة بن الصامت، ومعاوية، وابن الزبير، وأم سلمة، ويمكن أن يجمع من فتيا كل واحد من هؤلاء جزء صغير.

ونحو مائة وعشرين منهم مقلّونُ في الفتيا جداً لا يروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألتان والثلاث، ويمكن أن يجمع من فتيا جميعهم جزءٌ صغير بعد البحث كأُبيٍّ بن كعب، وأبي الدرداء، وأبي طلحة، والمقداد وغيرهم.

ولا نستطيع أن نتصوَّر كيف تُؤمن هذه الطائفة بالقرآن - وهم يردُّون نصوصه الصريحة التي يتلونها بألسنتهم في مَدْح الصحابة - كيف يؤمن بنصوص القرآن من يكذِّب بوعده تعالى لهم بالحُسْنى، وبإعدادِهِ لهم المنازل الرفيعة في الجنة، وبرضاه عنهم ورضاهم عنه، بزعمه أنهم قد كفروا وارتدُّوا عن الإسلام.

فعقيدة هذه الطائفة في جلِّ ساداتِ هذه الأُمة لا تخرج عن أمرين: إما نسبة الجهل إليه تعالى، أو العبث في هذه النصوص التي أثنى بها على الصحابة رضوان الله عليهم تقدَّس ربَّنا وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وكلاهما مصيبة كبرى.

وذلك لأنه تعالى إن كان عالماً بأنهم سيكفرون فيكون وعده لهم بالحسنى ورضاه عنهم عبثاً، والعبث في حقه تعالى محال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾.

ويلزم على هذه العقيدة الهوجاء أيضاً أنه تعالى قد عكس قضية وعدِه ووعيدِه، فأعدَّ لأصحاب السعير النعيم المقيم، ووعدهم الحسنى ورضيَ عنهم، وأعدَّ للصالحين المؤمنين المجاهدين فيه حقَّ جهاده، المتراحمين بينهم، الأشداء على الكفار، الأذلة على إخوانهم المؤمنين، الأعزة على الكافرين، العذابَ الأليم في دار عقابه لعصاة خلقه، وكفى بمن يحمل هذه الحماقة بين جنبيه جهلاً.

وإن كان تعالى غير عالم بأنهم سيكفرون، ومع ذلك أثنى عليهم ووعدهم الحسنى فهو جَهلٌ، والجهل عليه تعالى محال، ولا خلافَ بين كلِّ من يؤمن بالقرآن وله عقلٌ سليمُ أن نسبة الجهلِ أو العبثِ إليه تعالى كفرٌ بواح.

* * *

إلزام الرافضة في تكفيرهم الصحابة

بما ألزم به الخوارج من نسبةِ الجهل أو العبث إليه تعالى

ولقد بَعُدَ عن جادة الحق، وضيَّق واسعاً من تحكَّم برأيه على المعطي المتفضِّل المنَّان، فَزَعم أنهم كفروا كلهم إلا خمسةً أو ستةً، فعقيدة هذه الطائفة في تكفيرهم جميع الصحابة لا تخرج أيضاً عن الأمرين السابقين: نسبة الجهل أو نسبة العبث إليه تعالى، وكلاهما كفرٌ ومحالٌ في حقِّه جلَّ وعلا، ولا نستطيع أن نتصوَّر كيف تُؤمن هذه الطائفة بالقرآن وهم يردُّون نصوصه الصريحة التي يتلونها بألسنتهم في مدح الصحابة.

كيف يؤمن بنصوص القرآن من يكذِّب بوعده تعالى لهم بالحسنى وبإعداده لهم المنازل الرفيعة في الجنة وبرضاه عنهم ورضاهم عنه؟

كيف يؤمن هؤلاء الناس بسيِّد الرسل وخاتمهم محمد بن عبد الله ﷺ وبجميع ما أنزل عليه من كتاب الله ومما يجب عليهم الإيمان به، منه قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، ومما يجب عليهم الإيمان به منه قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، وقد أتانا ﷺ بمدح أصحابه والنهي عن

سَبِّهم وأذاهم، وبيّن لنا ذلك بياناً مفصّلاً شافياً صريحاً في أحاديث كثيرة صحيحة تأكيداً لما في القرآن من الثناء عليهم.

وقد نبذ الخوارج والشيعة ذلك كله فصَدَق عليهم وتحقّق فيهم وفي أشباههم أخباره ﷺ بمن يردُّ سنته، ولا يحتجُّ بها، ومن يجادل بمتشابه الكتاب.

وقد أخرج البيهقي عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «**ألا إني أوتيت الكتابَ ومثلَهُ معه، ألا يوشك رجلٌ شَبْعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وَجَدتم فيه من حلالٍ فأحلُّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه**».

وأخرجه الحافظ ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» بلفظ: «يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته يحدث بحديث عني فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرَّمناه، ألا وإنَّ ما حرَّم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل الذي حرم الله».

وأخرج أبو داود والبيهقي والترمذي وقال حديث حسن عن أبي رافع رضى الله تعالى عنه، عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «**لا ألفيَنّ أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه**

الأمرُ من أمري مما أمرت به أو نهيتُ عنه، فيقول: لا ندري ما وَجَدنا في كتاب الله اتبعناه».

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: تَلاَ رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ فقال: إذا رأيتم الذين يتّبعون ما تَشَابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم».

وأخرجه البيهقي بلفظ: فإذا رأيتم الذين يجادلون به، قال أيوب رحمه الله: ولا أعلم من أصحاب الأهواء أحداً إلا وهو يجادل بالمتشابه.

كما نَبَذوا جميع تبيينه للناس ـ سنته ـ كلها، لأنَّها مرويٌ من لا يعبئون بهم، ولا يقيمون لهم وزناً، فهي كلُّها أباطيل في رأيهم.

وإذا كان هذا البيان العظيم الواسع الذي نقله عنه عليه الصلاة والسلام الثِّقات العدول جيلاً بعد جيل، حتى وصل إلينا من يسمِّيهم الشيعة عامة وكفاراً أيضاً في رأيهم، ورأي الخوارج كله أباطيل عندهم فما تمسكوا به هم أيضاً كله مُخْتَلَقٌ عند العامة أهل السنة والجماعة بالبراهين النقلية والعقلية، وأيُّ دليل نقليٍّ صحيح أو عقلي قام عندهم على

أن ما تمسّكوا به صحيحٌ، وما تمسَّك به العامة باطل، وما جازَ على أحد المثلَيْن جازَ على الآخر.

وليفرض أنَّ البيان الذي أتى به عليه الصلاة والسلام ونقله العدول كله كما زعِموا باطلٌ، فكيف يصنعون في النصوص القرآنية الكثيرةِ المقْطوع بها عند جميع من يُؤمن بما أُنزل على محمد ﷺ الدالَّةِ على فضائل الصحابة عموماً، وإذا فرض صِحَّة كفرِ جميع الصحابة إلا خمسة أو ستة، كما تقول وتعتقد الشيعة أو جلُّهم إلا الشيخين وأفراداً قليلين، كما تعتقد وتقول الخوارج حمى الله الصحابة من ذلك ورضي عنهم، فَسِلْسِلةُ اتِّصال هاتين الطائفتين بشريعته عليه الصلاة والسلام كتاباً وسنةً مقطوعةً بينهم وبين الرسول الذي يقولون إنهم مؤمنون به وبما جاء به من عند الله، لأنَّ الشريعة كلها قرآنا وسنةً، إنَّما حملها إلينا الصحابة الذين قد كفروا في رأيهم الفاسد، والكافرُ ليس بعدلٍ ولا ثقة فكيف يُثبت لهاتين الطائفتين شريعةٌ أو قرآن، فهم إذاً متمسكون بالعدم، وهم يجمعون في عقيدتهم التي يحملونها بين جنوبهم ويتفوَّهون بها بين المتناقضَيْن، فهم مؤمنون بالقرآن غير مؤمنين به، فعقيدتُهم لا تنطبق على منقولٍ ولا على معقول.

* * *

عقيدةُ الخوارج والشّيعة غير الزيدية مشتركة في أمَرين

اشترك الخوارج والرافضة في اعتقاد أمرين:

الأول: تكفير الصحابة رضوان الله عليهم.

والثاني: تكفير كلٍّ من خالف هواهم من الأمَّة الإسلامية من بعد الصحابة إلى قيام الساعة، وامتاز الخوارج عن الرافضة بموالاة ومحبَّة الشيخين وأفرادٍ قليلين منهم، ويلزمهم على عقيدتهم: الطعنُ في كتاب الله عز وجل حيث أثنى عليهم وجعلهم خير أمة، ووصفهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والطعنُ في رسول الله ﷺ الذي أتى بالقرآن الذي فيه مَدْحُهم، وَمَدَحَهُم هو أيضاً ﷺ.

وامتاز الرافضة عن الخوارج:

أولاً: بالغوا في محبة عليٍّ وذريَّته من فاطمة رضي الله عنهم.

وثانياً: بإثبات العصمة له ولأولاده الأئمة.

وثالثاً: بادعاء علمه وعلم الأئمة الغيب.

ورابعاً: بلعن الصحابة عموماً، وخاصَّةً الشيخين وعائشة وحفصة والعامة، أي: كل الأمة الإسلامية.

أن ما تمسّكوا به صحيحٌ، وما تمسَّك به العامة باطل، وما جَازَ على أحد المثلَيْن جَازَ على الآخر.

وليفرض أنَّ البيان الذي أتى به عليه الصلاة والسلام ونقله العدول كله كما زعموا باطلٌ، فكيف يصنعون في النصوص القرآنية الكثيرةِ المقْطوع بها عند جميع من يُؤمن بما أُنزل على محمد ﷺ الدالَّةِ على فضائل الصحابة عموماً، وإذا فرض صِحَّة كفرِ جميع الصحابة إلا خمسة أو ستة، كما تقول وتعتقد الشيعة أو جلُّهم إلا الشيخين وأفراداً قليلين، كما تعتقد وتقول الخوارج حمى الله الصحابة من ذلك ورضي عنهم، فَسِلْسِلةُ اتِّصال هاتين الطائفتين بشريعته عليه الصلاة والسلام كتاباً وسنةً مقطوعةً بينهم وبين الرسول الذي يقولون إنهم مؤمنون به وبما جاء به من عند الله، لأنَّ الشريعة كلها قرآنا وسنةً، إنَّما حملها إلينا الصحابة الذين قد كفروا في رأيهم الفاسد، والكافرُ ليس بعدلٍ ولا ثقة فكيف يُثبت لهاتين الطائفتين شريعةٌ أو قرآن، فهم إذاً متمسكون بالعدم، وهم يجمعون في عقيدتهم التي يحملونها بين جنوبهم ويتفوَّهون بها بين المتناقضَيْن، فهم مؤمنون بالقرآن غير مؤمنين به، فعقيدتُهم لا تنطبق على منقولٍ ولا على معقول.

* * *

عقيدةُ الخوارج والشِّيعة غير الزيدية

مشتركة في أمَرين

اشترك الخوارج والرافضة في اعتقاد أمرين:

الأول: تكفير الصحابة رضوان الله عليهم.

والثاني: تكفير كلِّ من خالف هواهم من الأمَّة الإسلامية من بعد الصحابة إلى قيام الساعة، وامتاز الخوارج عن الرافضة بموالاة ومحبَّة الشيخين وأفرادٍ قليلين منهم، ويلزمهم على عقيدتهم: الطعنُ في كتاب الله عز وجل حيث أثنى عليهم وجعلهم خير أمة، ووصفهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والطعنُ في رسول الله ﷺ الذي أتى بالقرآن الذي فيه مَدْحُهم، وَمَدَحَهُم هو أيضاً ﷺ.

وامتاز الرافضة عن الخوارج:

أولاً: بالغوا في محبة عليٍّ وذريَّته من فاطمة رضي الله عنهم.

وثانياً: بإثبات العصمة له ولأولاده الأئمة.

وثالثاً: بادعاء علمه وعلم الأئمة الغيب.

ورابعاً: بلعن الصحابة عموماً، وخاصَّةَ الشيخين وعائشة وحفصة والعامة، أي: كل الأمة الإسلامية.

وخامساً: بدعوى النصِّ الجلّي على خلافة عليّ من الله، ومن الرسول بالوصيّة، ومن ادَّعى النصَّ الجليَّ فقد طَعَنَ أولاً: في كبار المهاجرين والأنصار عامةً بمخالفتهم الحق وكتمانهم له، وفي أبي الحسن نفسِهِ رضي الله عنه الذي يتعصّب له خاصّة؛ باتِّباعه الباطل وإذعانِهِ له، بل في النبي ﷺ حيث اتخَّذَ القومَ أحباباً وأصحاباً وأعواناً وأنصاراً وأختاناً وأصهاراً، مع علمه بحالهم في ابتدائهم ومآلهم، بل في كتابِ الله تعالى حيث أثنى عليهم، وجعلهم خيرَ أمة أخرجت للناس، وَوَصَفَهم بالصَّلاح والإصلاح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* * *

دعاوى كلُّها باطلة

وتعتقد الرافضة زيادةً على تكفير جميع الصحابة دعاوى كلُّها باطلة:

منها حصر العلم بالشريعة في عليٍّ وأولاده، من فاطمة رضي الله عنها وعنهم.

وأنَّ النبي ﷺ أوصى إليه بالخلافة ونصَّ عليه، وحَصَرها فيه وفي أولاده.

وأن الأئمة معصومون، وأنهم يعلمون الغيب.

فيقال لهم: التحاكم بيننا وبينكم في جميع ما ادَّعيتموه إلى كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الذي نؤمن نحن وأنتم به، ونخضع لجميع أوامره ونواهيه، فأينَ في كتاب الله تعالى حَصْرُ العلم بالشريعة في عليٍّ وأولاده؟

وأين فيه النصُّ عليه بالخلافة والوصية له بذلك ثم لأولاده من بعده دون غيرهم؟

وأين فيه أنهم معصومون وأنهم يعلمون الغيب؟

لا تستطيعون أن تثبتوا على أيِّ دعوى من دعاويكم هذه كلمة واحدة من القرآن تؤيِّدكم، وليسَ بأيديكم عليها من العقل الصحيح برهان أيضاً، فكيف تتحكَّمون على فاطر السموات والأرض الذي وَسِعَت رحمتُه كل شيء، المتفضِّل بما شاء على من شاء من عباده، وقد جاءت نصوص كتاب الله الصريحة مخالفة لمذهبكم؟.

قال الله تبارك وتعالى ممتنّاً على نبيِّه محمد ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

وقال تعالى بأداة العموم: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ فلم يقل

تعالى عَلَّمَ القرآنَ لأهلِ البيت خاصّة، بل قال إنهُ علّمَ البيانْ جنس الإنسان.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فلم يخصَّ تعالى الذينَ يَعلمونَ بأهل البيت والذينَ لا يَعلمونَ بغيرهم.

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ ولم يخصَّ أولى العلمْ بأهلِ البيت.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ ولمْ يَخصُر تعالى المُستنبطينَ في أهل البيت.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ولم يَخُصُّهم بأهل البيت.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾.

فهذه الآيات ـ وغيرها كثيرٌ في كتاب الله تعالى ـ كلُّها عموماتٌ صريحةٌ محمولةٌ على كلِّ من تفضّل عليه تعالى برحمتهِ وعلمهِ من بني آدمْ فليس لأحدٍ أن يتحكّمَ فيها على ربِّه المنّان المعطي، فيحملها برأيه على شخصٍ معيَّن أو على أناسٍ مخصوصين.

وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾.

وقال تعالى إخباراً عَن نبّيهِ ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾.

قال المحققون: هذه الآية حجة على الإمامية الباطنية فإنهم يُثبتون علمَ الغيبِ لإمامهم فإن لم يثبتوا النبوة له فقد خالفوا نصَّ هذه الآية فقط، وإن أثبتوا النبوة له فقد خالفوا أيضاً نصاً آخر، وهو قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.

* * *

حقيقة عقائد الشيعة

في كتاب «الوشيعة»

كتاب «الوشيعة في نقد عقائد الشيعة»، لموسى جار الله القَازاني هذا الرجل تامُّ الخبرة بمذهبهم، لأنَّ كتبهم المعتَمَدة عندهم موجودةٌ عنده، فاطَّلَع عليها اطِّلاع خِرِّيت معتدل غير متعصِّب، وعزَّز ما علمه بالسياحة في العراق وإيران، فوَجَد عقيدتهم الفعلية والقولية مطابقة لما في كتبهم تمامَ المطابقة، وعلى أثر ذلك ألف كتابه هذا قبيل سنوات بعد أن سأل علماء الشيعة بالنَّجَف عن مسائل، منكرةٍ في مذهبهم قدَّمها لهم كتابه، وهذا نصُّ كلامه المتضمِّن لسؤاله:

أقدِّم هذه المسائل لأساتذة النَّجَف الأشرف بيد الاحترام بأملِ الاستفادة بقلبٍ سليم كله رغبة في تأليف عَالَمِيِّ الإسلام.

موسىٰ جارُ الله

٢٣ من ذي القعدة سنة ١٣٥٣هـ - ٢٧/ ٢/ ١٩٣٥م.

راجعتُ مجتهدي الشيعة بهذه المسائل التي نقلتها من أمَّهات كتب الشيعة عرضاً على سبيل الاستيضاح، عملاً

بأمر الله في كتابه: ﴿فَسْئَلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ثم انتظرت سنة وزيادة ولم أسمع جواباً من أحدٍ إلا من كبير مجتهدي الشيعة بالبصرة، فقد قام بوظيفته وتفضَّل عليَّ بكل أجوبته في كتاب تزيد صفحاته على تسعين بكلماتٍ في الطعن على العصر الأول أشد وأحرج من كلماتِ كتبِ الشيعة، والكتابُ عندي محفوظ.

وهذا نصُّ أمهات المسائل التي سألهم عنها موسى جار الله مع تعليقِهِ عليها قال:

١ - تكفيرُ الصَّحَابة

كُتبُ الشيعةِ تكفِّر الصحابة كافَّةً، لم ينجَ من التكفير سوىٰ قليلٍ منهم، لا تزيد عِدَّتُهم على سبعة، وللشيعة الإمامية في تكفيرِ الأول والثاني أبي بكر وعمر صراحةٌ شديدة ومجازفةٌ طاغية.

في كتب الشيعة عن الباقر، والصادق: «ثلاثة لا يكلِّمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من ادعَّى إمامةً ليست له، ومن جَحَد إماماً من عند الله، ومن زَعَم أن أبا بكر وعمر لهما نصيب في الإسلام» في المجلد الثاني من «الوافي» ص ٤٤ وبعدها كلمات لا يقبلها الأدب: الأول والثاني أبو بكر وعمر في كتب الشيعة رجسان ملعونان

هم الجبت والطاغوت، وهما فرعون هذه الأمة وهامانها، هما أشد أهل النفاق نفاقاً وعداءً للنبي وضرراً للإسلام.

في كتب الشيعة: «إن أبا بكر أبو كلِّ الشرور لم يسمَّ صديقاً إلا بعد أن رأى في الغار معجزات أدهشته وحيَّرته، فأضمَر في قلبه: الآن صدَّقت يا محمد أنَّك ساحرٌ عظيم».

٢ ـ اللَّعَنَات على العصر الأوَّل

في كتب الشيعة في «الكافي» و«التهذيب» و«الوافي» لعناتٌ على أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة، وعلى العامّة وهم كل الأمة بعباراتٍ ثقيلة شنيعة، وللشيعة في اللعن على الصحابة وعلى الأمة أدعيةٌ مأثورةٌ في «الوافي» في كتابه الثامن، وفي غيره كلامٌ طويلٌ ثقيلٌ يدلُّ على أن دأبَ الشيعة في الكتب والكلام والمجالس الانبساط في اللعنات.

يقول «الوافي»: لم يدع الإمام أحداً ممن يجب أن يلعن إلا لعنه وسمَّاه، وأول ما بدأ بأبي بكر وعمر وعثمان، ثم مرَّ على الجماعة ولعن الكل ـ وللباقر والصادق على حسب ما ترويه كتب الشيعة دُبَر كلِّ صلاةٍ مكتوبة أوراد لعنات على أربعة من الرجال: الأول منهم أبو بكر، والثاني عمر، وعلى أربع من النساء منهن: عائشة وحفصة.

وفي «الكافي» و«التهذيب» أدعية مأثورة عند زيارة قبور الأئمة في اللعن على العصر الأول وعلى كل الأمة.

تقول كتب الشيعة: ولله وراءَ هذا العالم سبعون ألف عالم في كل عالم سبعون ألف أمة، كل أمة أكثر من الجن والإنس، لاهمَّ لهم إلا اللعن على أبي بكر وعمر وعثمان.

وفي «الكافي» (٣:٣٩١) أن عائشة وحفصة كافرتان منافقتان مخلَّدتان في النار.

وفي صحائف الكافي كلمات تشمئزُّ منها جلود الشياطين، وأيُّ فائدة حَصَلت من اللعن إلى اليوم؛ وأي مصلحة تحدث من اللعن بعد اليوم.

في «أصول الكافي» (٢:٣٥١) أنَّ اللعن والطعن على أحدٍ حرام، يعود على صاحبه، فكيف طعنُ الشيعة ولعنُ الشيعة على الأول والثاني والثالث وعلى أكثر الصحابة وعلى أمِّ المؤمنين عائشة وحفصة، وهما بنصِّ القرآن الكريم أهل البيت، ولا رَيْبَ أنَّ اللعن على العصر الأول لا يزيد في قلبِ اللاعن إلا مرضاً على مرض، وعداءً على عداء، واللاعنُ في قلبه على المؤمن مرضٌ كلما لعن زاده.

٣ ـ تحريفُ القُرآن الكريم

القولُ بتحريف القرآن الكريم بإسقاط كلمات وآيات قد نزلت، وبتغيير ترتيب الكلمات والآيات أجمعت عليه كتب الشيعة، وأخبار التحريف مثل أخبار الإمامة والولاية، وللأئمة

مثل الباقر والصادق في تحريف الكتاب الكريم أيمانٌ بالغة، ولهم في تكذيب ما ثبت في القرآن الكريم والمصاحف على التواتر كلماتٌ شديدة، والأحرف السبعة والوجوه العديدة قد أتت في القرآن الكريم متواترة عن الأمة كافَّة في القرون كافة، ويقول فيها الصادق: كَذَبوا على الله أعداء الله لكن القرآن نزل على حرف واحد من عند الله الواحد.

ويروي الكافي عن الصادق: أنَّ القرآن الذي نَزَل به جبريل على محمد سبعة آلاف آية والتي بأيدينا منها ٦٢٦٣ فقط والبواقي مخزونة عند أهل البيت فيما جمعه عليّ.

يروي الكافي أنَّ القائم يخرج المصحف الذي كتبه عليٌّ، وأن المصحف غاب بغَيبة الإمام.

هذه التي تقدمت أمور لا تتحملها الأمة وعلى عقيدتي لا ترتضيها ولن ترتضيها الأئمة، ولو ثبتت هذه الأمور أو لو ثبت واحد منها لَبَطل القرآن الكريم ولبطل الدين من أصله كما لو ثبت ما أسنده الوافي ٢: ١٣٠ إلى عليّ أمير المؤمنين في التيمي أبي بكر والعدوي عُمر لَبَطل القرآن وبَطَل الإسلام من أصله.

٤ ـ كتب الشيعة في الدول الإسلامية

حكومات الدول الإسلامية وقضاتها وكلُّ علمائها طواغيت، ومَنْ تحاكم إلى الطاغوت وحَكَم له الطاغوت فإنْ

أخذَهُ فإنّما يأخذه سحتاً، وإن كان حقه في الواقع ثابتاً له، لأنه يأخذ بحكم الطاغوت، وقد أُمروا أن يكفروا به، ويحرم على الشيعة أن تتحاكم إلى الطاغوت، وكلُّ راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبُها طاغوت يُعبد من دون الله. «الوافي» (٣: ٢٨).

فكيف يكون أساس الدول الإسلامية على وجه الأرض من أول الإسلام إلى يوم القيامة إن كانت عقيدة شعوبها، وعقيدة رعاياها هذه العقيدة؟

٥ ـ كُتُب الشّيعة في الفرق الإسلامية

صرَّحت كتب الشيعة أنَّ الفرق الإسلامية كلها كافرة ملعونة خالدة في النار إلا الشيعة، والمخالف مطلقاً شرٌّ من الكفار، وصرَّحت كتب الشيعة أن دم الناصب ومالَه حلالٌ إلا امرأته لأنَّ نكاح أهل الشِّرك جائزٌ، والناصب على حسب بيان كتب الشيعة من يقدِّم الأولَ والثاني على عليٍّ، أو يعتقد إمامةَ الأوَّل والثاني.

تقول كتب الشيعة إنَّ الله قد نصب عَلياً علماً بينه وبين خلقه، من أنكره فهو كافر، ومن أشرك معه آخر فهو مشرك، وإنَّ المخالف في الإمامة لا إيمان له هو للنار وإلى النار، والمخالف في الإمامة حكمه حكم المشرك والكافر في جميع الأحكام، لكن الله أجرى عليهم زمنَ الهدنة حكم

المسلمين رحمةً للشيعة، وإذا ظَهَر القائمُ قائمُ آلِ محمد أجرى على المخالف في الأمة حكم المشرك والكافر في جميع الأحكام.

يقول الإمام الباقر والصادق: لولا أنا نخاف عليكم أن يقتل رجلٌ منكم برجلٍ منهم ـ والرجل منكم خير من مائة ألف رجل منهم ـ لأمرناكم بقتلهم كلهم.

يقول الإمام في أئمة المذاهب الأربعة من هذه الأمة: لا تأتهم ولا تسمع منهم لعنهم الله ولعن مللهم المشركة.

في التهذيب (٢:١١٦) (٢:٢٥٢) كان الصادق يقول: خذ مال الناصب حيث ما وجدته وادفع إلينا الخمس.

٦ ـ جهادُ الأمم الإسلاميّة في عقيدة الشيعة

تعتقد الشيعة أنّ جهاد الأمم الإسلامية لم يكن مشروعاً، وهو اليوم غير مشروع، حتى لو أوصى أحدٌ في سبيل الله، وسبيلُ الله في عقيدته هو الجهاد، جاز العدول عنه إلى فقراء الشيعة.

الجهاد مع غير الإمام المفتَرض طاعته حرامٌ مثل حرمة المَيْتة وحرمة الخنزير، ولا شهيد إلا الشيعة، والشيعيُّ شهيدٌ ولو ماتَ على فراشه حَتْفَ أنفه، والذين يقاتلون في سبيل الله من غير الشيعة فالويل يتعجلون. «الوافي» (٢:٤٥).

قال موسى جار الله: هذه ستٌّ من المسائل عقيدة الشيعة فيها يقين، فهل يبقى في توحيد كلمة المسلمين في عالم الإسلام من أمل؟

وهذه عقيدة الشيعة، وهل يبقى بعد هذه المسائل بعد هذه العقيدة لكلمة التوحيد في قلوب أهليها من أثر؟

وهل يمكن أن يكون للأمم الإسلامية ولهم هذه العقيدة في سبيل غلبة الإسلام في مستقبل الأيام من سعي؟

ثم ذكر موسى جار الله مسائل أخرى لهم شنيعة، منها التقيّة، فقال:

تَقِيّةُ الشيعة

للشيعة ولكُتُبِها في حيلة التقيّة غرامٌ قد شَغَفَها حباً حيلة التقيّة. فإذا روى إمامٌ حديثاً يوافق ما عليه الأمة، أو عمل إمام عملاً يشبه عملَ الأمة، فإنّ الشيعة تردُّه على أنها حيلة، على أنها تقيّة[1].

نحن نجلُّ الأئمة ونحترم أهل البيت، ومن عزّة الإمام وأعظم شرفه: أن يكون من الذين يبلّغون رسالاتِ الله ويخشَوْنَهُ ولا يخشَوْنَ أحداً إلا الله، وأن يكون من الذين يجاهدونَ في سبيل الله، ولا يخافونَ لومةَ لائم.

(٣) كذا في الأصل، والظاهر: ترده على أنها تقية.

ونحن نعلم أنَّ تقيَّةَ الله بطاعتِهِ، وتقيَّة السُّلطان بحقِّه، وتقيَّةَ الناس بالمعروف، وليس للتقيَّة في الدين من رابع، والتقيَّةُ هي خوفُ النار وخوفُ العار.

أما ترك الحق خوفاً، والاتيان بالباطل نفاقاً، فلم يكن من التقيَّة في شيءٍ، نعم إنَّ التقيَّة في سبيل حفظِ حياتِهِ وشرفِهِ، وفي حفظِ ماله، وفي حماية حقٍّ من حقوقهِ واجبةٌ على كلِّ أحدٍ إماماً كان أو غيره. أما التقيَّةُ بالعبادة بأن يعمل الإمام عملاً لم يقصِد به وجهَ الله وإنما أتاهُ وهماً خوفاً من سلطانٍ جائرٍ.

والتقيَّة بالتبليغ بأن يُسْنِدَ الإمام إلى الشارع، حكماً لم يكن من الشارع، فإنَّ مثل هذه التقيَّة لا تقع أبداً أصلاً من أحدٍ له دين، ويمتنع صدورُها من إمام له عصمةٌ.

وحمل رواية الإمام، وعبادة الإمام على التقيَّة طعنٌ على عصمته، وطعنٌ على دينه، والتقيَّة في العبادة عملٌ لم يُقصَد به وجهُ الله، وكلُّ عبادة لم يُقصَد بها وجه الله باطلةٌ، وهي شرك إن قصد بها النفاق، وكلُّ رواية يرويها عدلٌ فهي أداء أمانة، وهي تبليغ، فحملُها على التقيَّة قولٌ بأنَّ العدل قد افتراها على الله وعلى رسولِهِ، وأن العدل قد كادَ بها الأمة، وكلُّ سامع، وكلُّ أحد يعلم أنَّ خلاف الرواية السكوت، والساكتُ آمنٌ في كل حال من كل شرٍّ، ولم يقع قط أن

جائراً عاقبَ الساكت، فحمْل رواية الإمام على التقيَّة تسفيهٌ للراوي وتبليه؛ فإنَّ من لا يعلم النجاة بالسكوت أبله، ومن يتعمَّد الكذب على الرسول وفي السكوت نجاة سفيهٌ، وعليٌّ أمير المؤمنين عليه وعلى أولاده السلام، كان يحافظُ على الصلوات، ويراعي الأوقات، ويحضر الجماعات، ويصلي المكتوبات وصلاةَ الجمعة مقتدياً خلف الأول والثاني والثالث وخلف غيرهم، كان يقصد بها وجْهَ الله فقط، ولم يكن لمثله أن يتَّقي بجميع عباداتِهِ أحداً غيرِ الله، ولم يكن يصلي إلا صلاة قُرْبةٍ وتقوى لا تقيَّة، وحملها على التقيَّةِ طعنٌ في دين علّيٍ أمير المؤمنين، وطعنٌ عظيم في جليلِ فَضْلِهِ، وكل إمام بعده اقتدى بأبيه وجدِّه في الأمة، والأئمة لم يقع من أحدٍ منهم إلا تقوى، ولم يقع منهم إلا دين وإخلاص، لم يقع من أحد من الأئمة حيلة ولا تقيَّة شيعية اهـ. ثم قال:

لا حافظ ولا قارىء بين الشيعة

لم أرَ بين علماء الشيعة ولا بين أولاد الشيعة لا في العراق ولا في إيران من يحفظُ القرآن، ولا من يقيم القرآن بعض الإقامة بلسانه، ولا من يعرفُ وجوهَ القرآن الأدائية.

ما السبب في ذلك؟ هل هذا أثرٌ من آثار عقيدة الشيعة

في القرآن الكريم، أثر انتظار الشيعة مصحف عليٍّ الذي غابَ بيد قائم آل محمد؟

مصحف الأمة ومصاحف الصحابة وعلي

أخفُّ ما رأيته للشيعةِ في القرآن الكريم أنَّ جميع ما بين الدفتين في المصحف كلامُ الله، إلا أنّه بعض ما نزل، والباقي مما نزل عند المستحفظ لم يضع منه شيء. وإذا قام القائم يُقرئه الناسَ كما أنزل الله، على ما جمعه أمير المؤمنين عليّ، وأخفُّ ما في هذا الكلام من المفاسد:

١ ـ نسبة التقصير إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم في التبليغ بلغه إلى عليّ فقط، فغاب، ولو بلغه إلى الأمة لما غاب حرفٌ منه.

٢ ـ اتهام اللهِ بإخلاف وعده: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ فإنَّ الله ما استحفظ أحداً لكنه بوعده هو يحفظ.

٣ ـ الطعنُ على العَصْر الأول بأنه ردَّ بعض ما نَزَل، وهو كثير، وردُّ البعض ولو كان حرفاً كفرٌ في عقيدة الأمة.

كتب الشّيعة تطعنُ على أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم

للشيعة في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أُمّهات المؤمنين ـ خصوصاً في عائشة وحفصة وزينب ـ سوءُ أدب

عظيم لا تتحمله عِصْمة النبي صلى الله عليه وسلم وشرف أهل البيت، ولا دين الأئمة، وأقلُّ ما يقوله الكافي والوافي في عائشة وحفصة أن قول الله في سورة التحريم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠)﴾ نَزَل في عائشة وحفصة وأبي بكر وعمر، وأنَّ عائشة وَحَفْصة كافرتان منافقتان مخلَّدتان في النار.

كتبُ الشّيعة تَقْذف

رجالَ الأمّة الإسلامية وَنِسَاءَها

كتبُ الشيعة[1] عن أبي ميثم بن أبي يحيى عن جعفر بن محمد (هو الصادق ابن الباقر) قال: ما من مولود يولد إلا وإبليس من الأبالسة بحضرته، فإنْ علم الله أنَّ المولود من شيعتنا حَجَبَه من ذلك الشيطان، وإن لم يكن المولود من شيعتنا أثبت الشيطان أصبعه في دبر الغلام فكان مأبوناً، وفي فرج الجارية فكانت فاجرة. «الوافي» ١٣ : ١٧ «بحار الأنوار» عن الكافي.

(١) أي تروي.

هذا قذفٌ شنيع للأمة نساءً ورجالاً، ترويه كتب الشيعة عن الأئمة، وهو كذبٌ لا ريْب فيه، وإسنادُهُ للإمام الصادق طعنٌ على دين الصادق وأدبه، وعلى شرفِ الإمام الباقر، وأكثرُ أخبار الشيعة عليها مَسْحَة الوضْع ونتنه ودفره. اهـ ما نقلته من كلام موسى جار الله من كتابه: «الوشيعة في نقد عقائد الشيعة» في حقائق من عقائدهم مع تعليقه عليها.

وهذا نصُّ المهم من مقالة الرافضي المشار إليها في المقدمة مع نقده روايةً ودرايةً، وقد جعلت كلامه بين قوسين.

* * *

نقد مقالة الرافضي

قال: (هذا: صحيحٌ بأنا نعتقد أنَّ الدين الإسلاميَّ أكمل الشرائع وخاتم الأديان، فلهذا السبب لا بدَّ له أن يكون موجوداً إلى يوم القيامة)

أقول: هذا كلامٌ صحيح وعقيدة متَّفق عليها بين أهل الإسلام. قال: «ولكن ماذا كان سبباً لبقائه، راجعوا التواريخ بالدقة تجدوا يوماً كانت جنازة النبي صلى الله عليه وسلم الخالية من الروح مرمية على حجر وعدد قليل بمعيَّة ابن أبي طالب كانوا مشغولين في غسله وتكفينه، كم كانت نفوس المسلمين الموجودين على وَجْه الأرض، ثم بعد ما انتشر خبر موت النبي صلى الله عليه وسلم في كل الجزيرة بثلاثة أيام كم بقي منهم على الإسلام).

قوله: ولكن ماذا كان سبباً لبقائه إلى آخر المقالة حاصله: خنوع عليٍّ بن أبي طالب، وسكوتهُ عن طلب الخلافة هو السبب في بقاء الإسلام إلى يوم القيامة، وهذا الخنوع أصلٌ عظيم عند الرافضة يلجئون إليه كلما أعْوَزتهم أدلَّة النقل والعقل وقد بَهتوا به أبا الحسن حَيْدرة رضي الله عنه وجميع أولاده من السيدة فاطمة ولطَّخوهم بهذه الرزية (وهي التقيَّة). ولقد انتهى في الجهل القادح

والحماقة من اعتقد أنَّ جُبْن أبي الحسن، وذلته عن طلب الخلافة كانا سببَ عِزَّة الإسلام وبقائه إلى يوم القيامة.

وبقاءُ الإسلام وعِزَّته إنما كان بتكفُّل الله الواحد القهار بذلك ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ فالذكر هو القرآن، وحفظه: بقاؤه في الدنيا إلى قيام الساعة، ومعلومٌ عند كل عاقل أن بقاءه في الدنيا محفوظاً إنما يكون ببقاء أهله فنتيجة الآية الشريفة إذاً بقاء الإسلام محفوظاً إلى قيام الساعة، وقد قال عليه الصلاة والسلام كما في الحديث الصحيح: «**لا تَزَالُ طائِفَةٌ مِنْ أمَتِي ظَاهِرِينَ عَلىَ الحقِّ لا يَضرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتى يأتِيَ أمْرُ الله**»، ثم بجميع الصحابة والخلفاء الراشدين وعليٌّ رضي الله عنه فرد منهم، وقوله: (راجعوا التواريخ بالدقة) التواريخ كلُّها متفقة على ضد عقيدته، وقوله: (تجدوا بأنَّ يوماً كانت جنازة النبي صلى الله عليه وسلم الخالية من الروح مرميَّةً على حجر) كذبٌ صريح وتعبيرٌ قبيح في حقِّه عليه الصلاة والسلام، فلم يَقُل أحدٌ ممن ينتسب إلى الإسلام من المؤرِّخين إنَّ جسمه الشريف كان مرمياً على حَجَر، ولم يعبر من كَمُل في الوقاحة في حقه عليه الصلاة والسلام هذا التعبير.

وقوله: (وعدد قليل بمعية ابن أبي طالب كانوا مشغولين في غسله وتكفينه) كذبٌ أيضاً فإنه لم يُشْرع في

غسله وتكفينه عليه الصلاة والسلام إلا بعد الفراغ من بَيْعة الصِّديق الأولى الخاصة في السقيفة والثانية العامة أيضاً في ثاني يوم. وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام توفي في ضحى يوم الاثنين، وكانت بَيْعة الصديق بالسقيفة يومه وفي يوم الثلاثاء بايَعَه جميعُ من بقي من الصحابة بالمسجد، ومنهم عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وغَسَّلَهُ وكفَّنه عليه الصلاة والسلام أهلُ بيته يومها، وصلى عليه جميع المسلمين رجالاً ونساءً فُرادى متعاقبين بقيةَ يومها، وفي ليلة الأربعاء دُفِنَ عليه الصلاة والسلام، هذا هو التاريخ الصحيح الذي رواه ونقله الثقات.

وقوله: (كم كانت نفوس المسلمين الموجودين على وجه الأرض) يريد أرض العرب فقد دخلوا كلهم الإسلام إلا أهل اليمامة أتباع مسيلمة الكذاب، وإلا أكثر أهل صَنْعاء أتباع الكذاب الأسود العنسي.

وقوله: (ثم بعد ما انتشر خبرُ موت النبيِّ صلى الله عليه وسلم في كل الجزيرة بثلاث أيام كم بقيَ منهم على الإسلام) يريد به ارتداد أكثرهم عن الإسلام بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، وقوله: (بثلاثة أيام) قولٌ منه بلا دليل.

* * *

غَلَطُهُ وتخليطُهُ في المرتدين

وفي مدَّعي النبوَّة وفي نَسَبِهِم

قال: (نعم ارتدَّ أكثر الأعراب وسكَّان حوالي مكة والمدينة ومدعو النبوة، كلُّ واحد منهم رَفَعَ رأسه في ناحية: أبو مُسَيلمة الكذاب، وسجَاح بنت الحارث، وأبو طَلحة العنسي وغيرهم، كلُّ واحد يسعى لاستئصال هذه الشَّجرة الجديدة الإسلامية) اهـ.

اشتمل كلامه هذا على تكرار وعلى غلطٍ كثير فقوله: (نعم ارتدَّ) صحيح وقوله: (وسكان حوالي مكة والمدينة) تكرار على أنَّ بعض الأعراب ممَّن كان حول المدينة كبني أسلم وغفَار ثبتوا على الإسلام ولم يرتدُّوا، كما ثَبَت على الإسلام من قرى العرب غير مكة والمدينة الطائف وقرية جوائي بالبحرين، وظاهر قوله: (ومدّعو النبوة) كل واحد منهم رفع رأسه في ناحيةٍ أنَّ المتنبئين لم يدعوا النبوة إلا بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، وهو صحيحٌ في سَجَاحَ فقط، غير صحيح في مسيلمة والأسود العَنسي وطليحة، ولفظة «أبو» في قوله: «أبو مسيلمة الكذاب» زائدةٌ غلطاً، وإنما اسمهُ مُسَيلمة لا أبو مسيلمة بالكنية، فكنيته أبو ثُمامة، وكان مُسيلمة أبو ثُمامة هذا من جملةِ وفدِ بني حنيفة الذين وَفَدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فلمَّا رجع إلى اليمامة ادَّعى النبوَّة، وكتب إلى النبيِّ ﷺ يقول: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله. أما بعد: فإني قد شُرِكتُ معك في النبوة، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريشاً قوم يظلمون.

فكتب إليه النبيُّ ﷺ: من محمدٍ رسول الله إلى مسيلمة الكذاب. أما بعد: فإنَّ الأرض للّهِ يورِثُها من يشاءُ من عباده، والعاقبةُ للمتقين.

فظهر بهذا أنَّ مُسَيلمة قد ادَّعى النبوَّة في حياته عليه الصلاة والسلام، واتَّبعه أكثر قومه بني حنيفة، وصارت له شوكة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام. فأرسل إليه الصديق رضي الله عنه خالدَ بن الوليد بعد فراغه من طُليحة والأعراب في المهاجرين والأنصار والأعراب الذين رجعوا إلى الإسلام مرغمين بسيوف الصحابة رضي الله عنهم فقَتَلوا الكذاب وجُلَّ قومه بعد معركةٍ هائلةٍ.

وأما سَجاح بنت الحارث التميمية، فقد ادَّعت النبوة بعد وفاته عليه الصَّلاة والسلام، وأقْبَلَت من ناحيةِ العراق في جيشٍ عظيم منْ أخوالها بني تَغْلِب وغيرهم من قبائل ربيعة، تريد غزو أبي بكر فاتَّبعها أيضاً بعض قومها، وسالمها بعضهم، فعدلت إلى غزو مسيلمة بعد صدمةٍ شديدة لَقِيَها جيشُها من قبائل الربابِ، ثم من أوس بن خزيمة الهُجَيمي

رئيس بني عمرو بن تميم (بالنباج) أسر قوّاد جيشها فخافها مسيلمة فتحيَّل عليها حتى تزوَّجها وصالحها، ثم تابت بعد قتل مسيلمة، ورجعت إلى الإسلام، وتوفيت في زمان معاوية.

وقوله: (وأبو طلحة العنسي) غلطٌ فاحش دلَّ على جهله بالأنساب كما هو جاهلٌ بالتاريخ والدين والعقل، فقد جمع متنبِّئين في مُتَنبِّىءٍ واحد، وَمَزَجَ رجلين كاهنين دجّالين متباعدة أنسابهما ودارهما؛ أحدهما: عدناني وهو طُلَيْحة بن خويلد، والثاني: قحطاني وهو الأسْود العَنْسِيُّ.

فأما طُلَيحة بن خُوَيلد الأَسَدي، وبنو أسد بن خزيمة كانوا يسكنون شرقي المدينة، فقد ادَّعى النبوة قبيل وفاته عليه الصلاة والسلام، وكان يتكهَّنُ، ويَسْجَعُ الأسْجَاع، فاتَّبعه قومُه وطوائف من الأعراب، وأرسلوا وفداً إلى الصدِّيق يطلبونَ منه إسقاط الزكاة عنهم، والاكتفاء بالصَّلاة ظاهراً، وباطناً يتجسَّسون على المسلمين، ويَسْبرون حالة المدينة من ناحيةِ القوة الحربية.

وصَادفَ مجيئُهم غَيْبة أكثر المهاجرين والأنصار مع أميرهم أسامة بن زيد في غزو الشام الذي جَهَّزه النبيُّ ﷺ، ونفَّذه أبو بكر بعد، فرجعوا إلى رؤسائهم وأخبروهم بأنَّ المدينة غنيمةٌ باردة، وأنَّهم ما بينهم وبين أخذها إلا الوصول إليها.

وكان الصِّديق رضيَ الله عنه قد أجابهم بالشدَّة بأنه لا يُسْقِط عنهم عَقَالاً واحداً كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله ﷺ من الزكاة، فكيفَ بغيره، وأنه لا يفرِّق بين الصلاة والزكاة وقد قرنهما الله في كتابه العزيز، وكان بقيةُ الصحابة رأوا مسالمة الأعراب ومداراتِهم حتى يرجعَ أسامة وجيشه، ومن أشدِّهم محاورةً له في مسالمتهم الفاروق رضي الله عنه فصمَّم أبو بكر رضي الله عنه على مناجزتهم الحرب، ولو كان وحده، وعدم قبول شروطهم، وأقنع الفاروق بالحجة القاطعة في ذلك وقال له: أجبَّاراً في الجاهلية وخوَّاراً في الإسلام.

وأخذ بالحزم والاحتياط بعد خروج وَفْد الأعراب، فجعل كبار الصحابة علياً وعبد الرحمٰن وطَلْحة والزبير على أطراف المدينة حرساً، وقال لهم: إنْ طرقكم أمرٌ مكروه فأخبروني حالاً، وألزم بقية الصحابة بالاجتماع والمبيت بالمسجد بسلاحهم حتى إذا طَرَقَهم الأعراب ليلاً كانوا على استعداد تامّ فَبَرْهَنَ الصدِّيق رضي الله عنه بهذا المقام على أنه أشجعُ الخلق وأحزمُهم وأعلمُهم بالله بعد الأنبياء عليهم الصلاه والسلام، كما برهن على أنَّه أثبت الصحابة جأشاً، وأقواهم إيماناً عند وفاة النبي ﷺ حين ذهلت عقولُهم وأقعد كثير منهم.

* * *

مهاجمة الأعراب للمدينة ليلاً

ودَحْر الصدِّيق لهم بذي حسا وبذي القصة والأبرق

هَجَم الأعراب ليلاً على المدينة طامعين فيما قاله لهم وفدهم، فخرج إليهم الصدِّيق في شيوخ الصحابة فدحروهم إلى ذي حَسا، ورجع فبات يعبِّىءُ أصحابه، وخرج إليهم آخر الليل على تعبئةٍ فهجم عليهم عند طلوع الفجر، فما ذرَّ قرنُ الشمس حتى انهزم الأعراب شرَّ هزيمةٍ، وقُتِلَ منهم كثيرون، وغَلَبهم الصحابة على عامَّة ظهرهم، واتَّبعهم الصدِّيق حتى نزل بذي القصة، ثم سار الصديق أيضاً بمن معه إلى الأبرق، وقد اجتمع به أعرابٌ كثيرون أتباع طليحة وغيرهم من قبائل شتى، فقاتلهم فهُزموا شرَّ هزيمةٍ أيضاً، وشتَّتَ الله شملهم.

وكان جيشُ أسامة بن زيد قد رَجَع من الشام قبل خروجه إلى الأبرق، فتركهم بالمدينة ليستريحوا، ثم عقد رضي الله عنه أحدَ عشر لواء لجهاد المرتدين: منها لواء خالد بن الوليد أرسله إلى طليحة المتنبي، فقضى عليه في برهة وجيزةٍ، وتمزَّق جيشه، وقُتِلَ كثيرٌ منه، والباقون رجعوا إلى الإسلام، وفرَّ طليحة إلى الشام، ثم تاب، ورَجَع إلى الإسلام في خلافة الفاروق.

* * *

القضاء على الأسود العنسي وعلى أتباعه

وأما الأسود العنسي، وعنس بطن من مذحج، واسمه عبهلة بن كعب بن عوف، ويلقَّب بذي الخمار لأنه كان دائماً مُعْتماً متخمِّراً، فقد ادَّعى النبوَّة قبيل وفاته عليه الصلاة والسلام أيضاً، وفي نحو شهر استولى على اليمن كله، وأخرج منه عمَّال النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فكتب عليه الصلاة والسلام إلى رؤساء اليمن بأن يقتلوهُ مصادمةً أو غيلة، فَقَتَله فَيْروز الديْلمي في قصره، وقَضَتْ جيوشُ الصدِّيق على جميع أتْباعه، وأول فتح وبشارة وَصَل إلى الصدِّيق قتلُ هذا الشقي.

وفي صحيح البخاري عنه عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «**رَأيْتُ في يَدِي سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فَكَرِهْتُهُمَا فأوحِيَ إليَّ: أنْ أنفُخْهُما فَنَفَخْتُهُمَا فَطارَا فأوَّلتُهُمَا بهذَيْنِ الكَذَّابيْنِ اللذَيْنِ أنا بينَهُما الأسْوَدِ وَمُسَيْلمَةَ**».

ولم يدّعِ النبوة في زمنه وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام ويشتهر بها في جزيرة العرب غير هؤلاء المذكورين، ولقيط بن مالك الأزدي الملقَّب بذي التاج بعمان، وكان في الجاهلية يسمى الجلندي، فقاتله أمراء الصدِّيق: حذيفة بن محصن الغلفائي وعرفجة البارقي، وعكرمة بن أبي جهل - (بدبا) فقتلوه مع آلاف من أتباعه.

وقوله: (كل واحدٍ يسعى لاستئصال هذه الشجرة الجديدة الإسلامية) يعني بالشجرة الجديدة الإسلامية علياً رضي الله عنه، ولم يكن له كرم الله وجهه إسلامٌ جديد. حتى يسعى المتنبّئون والمرتدون لاستئصاله، ومرادُهُ بهذا الكلام: الخلافة التي انتخبه الله والرسول لها كما سيقول بعد هذا، وحيث تحقَّق وتقرَّر أن المتنبئين في حياته وبعد وفاته والمرتدين عن الإسلام لا غَرَض لأيِّ واحدٍ منهم سوى التسوُّر على هذه المنحة الإلهية (النبوة) بالشَّعْوَذة والمخاريق ونبذ النظم السماوية الصالحة لكلِّ زمانٍ، القامعة لأهلِ الشرِّ والعدوان، والتسلُّط على عباد الله بالجبروتية ظَهَرَ بطلان قوله: (كل واحد يسعى لاستئصال هذه الشجرة الجديدة الإسلامية). يعني كل واحد من المتنبئين والمرتدين يسعى لإبادة عليٍّ كرَّم الله وجهه من الوجود، لأنه وحده الإسلام، والإسلام تمثّل في شخصه الكريم، ولو فُرض صحة هذا الهذيان لكان غرض كلِّ واحد منهم إزالة نبوَّة سيِّد الأنام بمحوِ أصحابه كلهم: أي محو الإسلام كله من الوجود، والاستبداد بذلك كما فاه به مسيلمة، لما تحقق عجزه عن معارضة رسول الله ﷺ ادَّعى أنه شريكٌ معه في النبوة.

وأما عليٌّ رضي الله عنه فهو عبدٌ من عباد الله ليس بنبيٍّ، ولا هو وحده شجرة الإسلام، بل جميع الصحابة

أشجاره، وهو واحد من تلك الأشجار، أو النبوّة والإسلام شجرة واحدة، أغصانها جميع الصحابة وهو غصن من تلك الأغصان، والمتنبئون والمرتدون ما كانوا يعرفون علياً وحده حتى يحسبوا له حساباً فَضْلاً عن كون كلٍّ واحد منهم يسعى لإبادته من الوجود، وإنما كانوا يعرفون ويحسبون الحساب لسيِّد الأنام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ولجميع أصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

* * *

طعنُه في الصحابة

وقصةُ مبايعة الصدِّيق في السقيفة

قال: (وفي هذه الأيام كان الشيطان يسوق الذين يفتخرون جزافاً بمصاحبة الرسول على غيرهم على خوان الخلافة في طرف سقيفة بني ساعدة).

اشتمل هذا الكلام على جهالاتٍ كثيرةٍ، نتيجة جميعها تكفير جميع الصحابة وعدم اعتبار بيعتهم للصديق.

الأولى: قوله: (وفي هذه الأيام) يقتضي أنَّ بيعة الصديق لم تقع إلا بعد وفاته عليه الصلاة والسلام بأيام وهو غيرُ صحيح، فقد تقدَّم أنه عليه الصلاة والسلام توفي ضحى

يوم الاثنين، وفيه وقعت بيعة الصديق بالسقيفة، وفي اليوم الثاني، الثلاثاء بويع بالمسجد البيعةَ العامة.

الثانية: قوله: (كان الشيطان يسوق الذين . .) إلخ.

يعني بالذين يسوقهم الشيطان أبا بكر وعمر وأبا عبيدة، وهذا يقتضي أنَّ للشيطان قدرة تسلَّط بها على سَوْق الشيخين وأبي عبيدة للسقيفة قَسَرهم بها على الذهاب للبيعة بدون اختيارهم وبدون قدرة الله، وسَوْقُه لهم وهذا بلا ريب مذهب القدرية، فحضرة الكاتب أشدُّ غباوة من زميله القدري الذي ناظر المجوسي، والمجوسيُّ أحذق وأعقل منهما.

قالوا: اجتمع معتزليٌّ ومجوسيٌّ، فدعا المعتزليُّ المجوسيَّ إلى الدخول في الإسلام بعد أن حاوره فوجده لبيباً أديباً، فقال له: لم لا تسلم وأنت في عقلك هذا قد تحققت محاسن الدين الإسلامي؟ فقال المجوسي: قد علمت ذلك ولكن لم يرد الله إسلامي. فقال له المعتزلي: كذبت أراد الله ذلك، ولكن الشيطان صدَّك، فقال المجوسي: وماذا أصنع أنا إذا كان الله أراد إسلامي والشيطان منعني!! فأنا إذاً تابع للأقوى، فَبُهِتَ القدري.

فهذا الكاتب يعتقد في الشيطان ضدَّ ما صرَّح به القرآن في حَقِّه، وضدَّ ما اعترف به الشيطان نفسه فيما ذكره القرآن أيضاً عنه، يعتقد أن له قدرةً وتسلُّطاً ساقَ بهما شيوخ

المهاجرين إلى السقيفة، والله سبحانه يقول في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ وقال تعالى عن الشيطان: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾.

فإن قيل: مراد الكاتب بسوق الشيطان للصحابة مجرَّدَ الوسوسة لهم، فعبرَّ عنها بالسَّوْق على المجاز والاتّساع.

فالجواب: أنَّ هذا مدفوع بمذهبه، وهو إثبات القدرة للشيطان، ولكلِّ إنسان عاقل، وبأنَّ السَّوْق لغةً وعادةً وعقلاً يفهم منه تسلُّط السائق على المسوق بما هو على خلاف مراده.

وعليه فيقال لهم على فرض صحة هذا السَّوْق الشيطاني للصحابة: إذا كان الله أرادَ الخلافة لعلّي وانتخبه لها، والرسول كذلك كما تقولون، والشيطان ضادَّهما، فَسَاق المهاجرين إلى السقيفة، فنفَّذ مراده دون مرادهما، فما ذنب جميع الصحابة إذاً؟ وأيُّ عاقل يلوم مسوقاً مقهوراً؟

فالمسألة إذاً على مقتضى هذا الهذيان بين الله ورسوله وبين الشيطان، نعوذ بالله من فلتات اللسان، وفساد الجنان.

الثالثة والرابعة: قوله: (الذين يفتخرون جزافاً بمصاحبة الرسول قبل غيرهم على خِوان الخلافة) الخلافة رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا نيابة عن النبيِّ ﷺ في أحكام الفروع لا

ينتظم أمر المسلمين إلا بحصولها، يقصد الشارع تحصيلها في الجملة من غير أن يقصد حصولها من كلِّ مسلم، فهي فرض كفاية، ومن الأحكام العملية دون الاعتقادية، فلا بد للأمة الإسلامية من إمام يحيي الدين، ويقيم السنة وينتصف للمظلومين، ويستوفي الحقوق، ويضعها موضعها، والعقل يسوِّغ استحقاق الخلافة لكلِّ من اجتمعت فيه شروطها لولا قَصْرها على قريشٍ بالسنة الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام: «الأئمةُ مِنْ قُرَيْشٍ».

الناس من جهة التمثيل أكفاء	أبوهُمُ آدمٌ والأم حواء

ولأجل ذلك قالوا: من جملة شروط الإمام أن يكون قرشياً، فإن لم يوجد من قريش من اجتمعت فيه الصفات المعتبرة وُلِّي كنانيٌّ، فإن لم يوجد فرجلٌ من ولد إسماعيل، فإن لم يوجد فرجلٌ من العجم ولانتظام منصب الخلافة مصالحَ المسلمين الدينية والدنيوية صار الحق في توليةِ من يصلح لها لجميع الأمة واجباً عليهم وجوباً شرعياً لا عقلياً، إذا قام بهذا الواجب من يعتدُّ به ـ ممّن هو من أهل الحل والعقد ـ من تيسَّر حضوره من غير اشتراط عدد ولا اتفاق من سائر البلدان، سقط عن الباقين، بل لو تعلَّق الحل والعقد بواحدٍ مُطاع كفت بيعته، فالمطالبة بهذا المنصب

الشرعي العظيم لمن وُجِدَت فيه مؤهِّلاته والتدليلُ عليه بها ليس من الفخر الذي معناه التطاول على الناس في شيء، ومطلق الصحبة للرسول لا يكون وحده برهاناً كافياً في استحقاق الخلافة، ولو كان كذلك لصحَّ الاحتجاج به لكلِّ صحابي، والصِّدِّيق رضي الله عنه لم يحتج على الأنصار بها لنفسه ولا لغيره من المهاجرين، بل احتج عليهم بقوله: إنكم يا معشر الأنصار لا تذكرون فضلاً إلا وأنتم له أهل، وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لقريش هم أوسط العرب داراً ونسباً، وببعض الآيات القرآنية وقد تقدَّم تقريرها، وبالحديث الصحيح: «الأئمة من قريش»، ثم قال لهم: «رضيت لكم أحد هذين الرجلين» يعني عمر وأبا عبيدة بن الجراح.

وأما احتجاج عمر على فضل الصديق على ما ذكره بعض المؤرخين بقوله: أيُّكم له هذه المنزلة: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ فهو انتزاعٌ خاص بحجةٍ بديعة، واحتجاجٌ بصحبة مقيَّدة، ومن أجله كفَّر أهلُ العلم من أنكر صحبة الصديق رضي الله عنه، والإنسان يجوز له أن يثني على نفسه فضلاً عن غيره مما هو متَّصف به من الحق إذا جهله الناس منه اقتداءً بصدِّيق الله يوسف بن يعقوب عليهما السلام، بل قال العقلاء ربما يجب عليه ذلك كمن تعيَّن عليه ولايةُ منصب

القضاء في بلدٍ لا يوجد فيه أعلم منه به، فإنْ كان الفاروق قَصَد باحتجاجه هذا على أحقيَّة الصديق بالخلافة الفخر على الأنصار رضي الله عنهم فيا حبَّذا هذا الفخر الحق المخلَّد في كتابِ الله يحقُّ لكل مؤمنٍ بالقرآن أن يحتجَّ به ويفتخر به، فأيُّ شرفٍ أعلى لمن كان الله جلَّ جلاله معهما، وأيُّ فخرٍ لمفتخر أعظم من هذا الجزاف؟

فهذا الكتاب لم يطعن في الصحابة فقط، بل طعن في رسول الله يوسف عليه السلام إذ قال لملك مصر: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾.

بل طعن في الله عز وجل إذ أثنى عليهم في كتابه العزيز في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾.

وأيُّ عاقل يطعن في الذين أثنى الله عليهم بهذا الثناء العظيم وهم مع الرسول والله معهم؟

فالأنصار رضي الله عنهم رأوا أنهم أحق بهذا المنصب (الخلافة)، لأن الدار دارهم، والرسول والمسلمون هاجروا

إليهم، وهم الجندُ الخاصُ للرسول عليه الصلاة والسلام، آووه وجاهدوا معه في جميع مغازيه وأصيبوا في الله، هذه حججهم ولم ينازعوا قريشاً في فَضْلهم واستحقاقهم لها، كما لم يدفعوا فضلَ الصدِّيق عليهم وعلى المهاجرين، وبنو هاشم رأوا أنهم قرابة الرسول فهم أحقُّ بالخلافة بعدَهُ عليه الصلاة والسلام، وظنُّوا في مبادرة الصدِّيق وأبي عبيدة والفاروق إلى السقيفة، ووقوع البيعة عَقِبَ ذلك بسرعةِ حرصُهم عليها، ولم يدفعوا منزلة الصدِّيق في الإسلام، وعند الرسول، ولا فضله واستحقاقه للخلافة.

فخلاصة محاورة الأنصار والمهاجرين في الخلافة بسيطة لأنَّ نتيجتها دائرةٌ بين فاضلٍ وأفضل منه، ومستحقٍ لشيء وأحق وأوْلى منه.

وكون شخص أو جماعة يرون أنهم أحق بكذا من غيرهم لا ينفي استحقاق غيرهم لذلك الشيء كما هو قاعدة اسم التفضيل في لغة العرب، يقْتضي المشاركة في شيئين أو أشياء مثلاً، وزاد أحدهم في تلك الأشياء على الآخرين.

وليسَ في كتاب الله نصّ بتعيين شخصٍ مخصوص خليفة ولا بقومٍ مخصوصين، وحديث: «الأئمة من قريش» نصّ عامٌ في جميعهم، وهم اثنا عشر بطناً فَحَصْرُها في بَطْنٍ منهم دون سائر البطون أو فصيلةٍ مخصوصة دونَ سائرِ فصائلهم تحكُّمٌ لا

دليلَ عليه، ولو صحَّ التمسُّك بسنته عليه الصلاة والسلام على خلافةِ شخصٍ معيَّن منهم بعدَه عليه الصلاة والسلام لكان أبو بكر رضي الله عنه أحق بذلك من كلِّ أحد، لأنه عليه الصلاة والسلام استخلَفه في مرضِ موته على الصلاة بالمسلمين التي هي أعظمُ أركان الدين بعد الشهادتين، فقال عليه الصلاة والسلام بصيغة الأمر: «مروا أبا بكر فَلْيُصلِّ بالناس» فهذا إن لم يكن نصاً صريحاً في استخلافه فهو كالنصِّ، وقد فهم الصحابة منه ذلك فقالوا: ألا نرضى لدنيانا من رضيَهُ رسول الله ﷺ لديننا؟! وأجمعوا على بيعته، ولا معنى لقوله: (على خِوان الخلافة) إلا المبالغة في الطعن في الصحابة بهذه الاستعارة الركيكة، والإشارة إلى أنَّ هذه المائدة مخصوصة بعلي وأولاده ليست للمهاجرين ولا للأنصار.

وقوله: (في طرف سقيفة بني ساعدة) إشارة إلى أنَّ الذين بايعوا الصدِّيق في السقيفة كانوا قليلين جداً بحيث كفاهم ناحية من نواحي السقيفة وأكثرها أو جلها فارغٌ من الناس، وهو افتراءٌ مَحْضٌ مخالِفٌ للواقع والتاريخ، ومن أعظم نعمه تعالى على المسلمين (الصحابة) بيعتهم للصديق الأكبر، ومن عنايته تعالى به وبهم سَوْقُهُ مع عمر وأبي عبيدة رضي الله عنهم إلى السقيفة بعد أن كانوا غافلين مهتمِّين بوفاته عليه الصلاة السلام، ولولا ذلك لانشقت عَصَا

المسلمين، وانقطع حبل الدين، فالحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ولقد قام أبو بكر مقاماً يعجز عنه جميع الخلق ما عدا رسل الله، فأرجع بقوةِ إيمانه وعزمِهِ جميعَ العرب إلى الإسلام صاغرين في مدَّةٍ وجيزةٍ بعددٍ ضئيل من أهل الإيمان والسابقة، وهَزَمت جيوشه القليلة العَدَد والعُدَد جيوشَ الفرس والعرب المتنَصِّرة الكثيرة العَدد والعُدد في أطْراف العراق، وَدَحرت جَحَافلَ الروم بالشام، فإن افتخَرَ هو وجميع الصحابة بصحبة النبي ﷺ - وليس الفخر من شمائلهم - ففخرهم حقٌّ وصدقٌ قد بَرْهَنَت عليه أفعالهم قَبْل أقوالهم، وَبَرْهَنَ عليها الواقع والتاريخ إلى قيام الساعة رضي من رضيَ وكَرِهَ مَن كَرِهَ، وقد سمَّاه الله صاحباً قبل قول الخلق، فليغضب من شاء على ربِّه المتفضِّل على مخلوقاته بما شاء، ونعوذُ بالله من الهَوَس فقد نفَّذ وعده ونصر عبده وأعزَّ جنده ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

قال: (وكان أبو سفيان أكبر وأخطر أعداء الإسلام يطرح نفسه للانتقام، وما كان ليضيع هذه الفرصة، وكان يتشبَّث بكل حيلة ويترنَّم بهذه العبارة: إن شئت لأملأنَّها. ففي ذلك اليوم الذي كان جميع الوسائل موجودة لانقراض الإسلام إلى الأبد كان عليّ الذي أدرك هذا الخطر وتوجَّه

بقوة إيمانه وفتوّته لِسدِّ هذه النكبات بأشد سرعة. وتأهّب لمنع سقوط الإسلام) اهـ.

قوله: (وكان أبو سفيان أكبر وأخطر أعداء الإسلام) إلى قوله: (إن شئت لأملأنها) افتراء محضٌ، لأنَّ أبا سفيان أسلم يوم فتح مكة وَحَسُنَ إسلامه، وأرسله عليه الصلاة والسلام مع المغيرة بن شعبة لهدم صنم ثقيف، وكان في وقعة اليرموك تحت راية ابنه يزيد يجاهد في سبيل الله، وَفُقئت عينه يومئذٍ.

وأما قوله لعلي رضي الله عنه حين بويع أبو بكر (فوالله لئن شئت لأملأنّها خيلاً ورَجلاً، فأبى عليه عليّ ذلك فتمثل أبو سفيان بقول المتلمس:

ولن يقيم على خسف يراد به
إلا الأذلان عيرُ الحي والوتدُ
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج فلا يبكي له أحدُ

فَزَجَره عليٌ وقال له: إنك واللّهِ ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنَّك والله طالما بَغَيت للإسلام شرًّا لا حاجة لنا في نصيحتك) فقد نقله المؤرخون ولعله لو وضع في معيار الرواية المعتَبَرِ عند أهلها لم تثبت صحته، وعلى تقدير

صحته يُقال عليه: لا يلزم منه استمرار عداوةِ أبي سفيان للإسلام، وأنه وجد لها عند وفاة الرسول فرصة فأظهرها، ولا التأثير في إمامة الصِّديق بانضمامه إلى علي.

ويقال عليه أيضاً: لو كان أبو سفيان أكبر وأخطر أعداء الإسلام لَقَضَى على الإسلام في أسرع وقت بقوة عصبيته في بني عبد مناف ومنزلته عند قريش، وعند سائر العرب وأصبح رأساً لا ذنباً.

ويُقالُ عليه أيضاً: لو كان أكبر وأخطر أعداء الإسلام ولم يمكنه القضاء عليه والاستقلال بالرياسة واحتاج ولا بد أن ينضم إلى طائفة من أعداء الإسلام ليقضي عليه لسرَّه تولية أبي بكر، وشمت في علّي لأنه قتل كثيراً من قراباته بني عبد شمس بن عبد مناف في بدرٍ وفي غيرها، وبادر حالاً إلى مُعَاضدة أبي بكر لأنه شريكه في القرشية وفي عداوة الإسلام، على زعم الرافضة.

ويقال عليه أيضاً: لو كان أكبر أعداء الإسلام ومع ذلك احتاجَ إلى مداراة أهله من بني عبد مناف لكان العباس بن عبد المطلب أحق بطرح نفسه عليه من عليٍّ عدوه، للروابط والمناسبات التي بينهما، وهي الصداقة والقرابة وأيادي العباس التي له عليه، وكونه قريب عهد في الدخول في الإسلام مثله، والرياسة في قومهما قبل إسلامهما.

ويقال عليه أيضاً: لو كان أكبر وأخطر أعداء الإسلام ولم يمكنه القضاء عليه استقلالاً واحتاج ولا بد إلى من يعاضده على القضاء على الإسلام ولم تنهض نفسه إلى مساندة أبي بكر على ذلك لكونه ضعيف الشوكة في قريش، لكان من السهل عليه الانضمام إلى جماهير العرب المرتدين فيحارب معهم المسلمين حتى يقضي عليهم في بَرهةٍ يسيرة، ولا يحتاج إلى طرح نفسه على العباس وابن أخيه علي والتملُّق لهما.

ويقال أيضاً: نحن نعترف بصحة صدور هذا الكلام من أبي سفيان، وهو قوله لعليّ: (إن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً) أي قصده مبايعة عليٍّ بالخلافة ونَزْعها من أبي بكر بالقوة، ولكنه حجة ودليل على اعتراف عليٍّ رضي الله عنه بفضل الصديق ورضاه بخلافته من وجهين:

الأول: لو كان حَيْدرة غير راضٍ بخلافة أبي بكر لبادَرَ إلى محاربته لما وجد أكبر معضد له وناصر، وهو أبو سفيان بن حرب الذي هو من عشيرته بني عبد مناف أصحاب الشَّوكة القوية في قريش.

الثاني: زجره لأبي سفيان لما قال له: (إن شئت لأملأنها. . .) وقد حذف كاتب المقالة جواب عليٍّ لأبي سفيان، وهو زَجْره له بقوله: والله إنّك ما أردتَ بهذا إلا

الفتنة، وإنَّك واللهِ طالما بغيتَ، للإسلام شراً، لا حاجة لنا في نصيحتك، لأنَّه لا يوافق هواه كما أنه حجَّةٌ ودليل أيضاً على صحة إسلام أبي سفيان من وجهين أيضاً:

الأول: لو كان كما زعم أكبر وأخطر أعداء الإسلام لما بالى بعليٍّ الذي هو الإسلام وحده في عقيدة الرافضة بعد وفاة الرسول، ولا سِيَّما وهو بالخصوص عدوه الألد، لأنه قَتَل من عشيرته بني عبد شمس عِدَّة رجال في جهاده مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فخضوعُهُ له وطرحُهُ نفسه عليه ـ والحالة هذه ـ مستحيلٌ ولا بغيره من الصحابة، ولكان من السهل عليه محاربة المسلمين جميعاً مع مَنْ أطاعه أو بالانضمام إلى جماهير المرتدين.

الثاني: تركُهُ للعباس الذي هو عمُّ الرسول وكبير بني هاشم، وبينه وبينه روابط متينة كما تقدَّم، وإتيانه لعليّ دليلٌ على ذلك، وإنما وقعت له شبهة وهي ظنُّه أنَّ الخلافة في الأرضُ ملك تورث ممَّن كانت بيده بقوَّة العصبية والشوكة، وعصبية بني عبد مناف في قريش أقْوى من عصبية بني تيم رهط أبي بكر فيهم، وبنو عبد مناف أربع فَصَائل: بنو هاشم وبنو عبد شمس رهط أبي سفيان، وبنو نوفل، وبنو المطلب، فظنَّ أن بني هاشم رَهْط النبي صلى الله عليه وسلم الأدنين هم وَرَثَةُ هذا الملك خاصَّة دونَ غيرهم، وظنَّ أنَّ بَيْعَة الصدِّيق رضي الله

عنه وَقَعت اغتصاباً واختطافاً لهذا الملك، وأنَّ بني عبد مناف بشوكتهم يستطيعون نَزْعَهُ من أبي بكر بالقوَّة، وحيثُ إنه لا تكفي العصبية في إقامة هذا المُلك في نظرِهِ، بل لا بدَّ من ضمّ وصفين آخرين إليها، وهما: القَرابة من الرسول والسابقة في الإسلام والعباس صَديقه وَجَد فيه أحدهما وهو القرابة فلا شكَّ أنه أقرب إلى الرسول من عليٍّ، فهو أرجح من هذه الناحية منه، ولكن عليٌّ امتاز عنه بالسبْق إلى الإسلام والجهاد الكثير مع الرسول، لأجل ذلك قَصَدَه أبو سفيان دونَ خليله العباس، فقال له: من جملة الكلام: أبسط يَدك أبايعك فواللّهِ لئن شئت لأملأنّها عليه إلخ الكلام الذي حكيناه عنه.

وبهذا تحقَّق بطلان قوله: وكان أبو سفيان أكبر وأخطر أعداء الإسلام، وأنه كان مسلماً حقيقة ظاهراً وباطناً، وإنما عَلَق بقلبه شبهةُ القومية كما قررنا.

وقد وقعت هذه الشبهة بعينها لخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان من السابقين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين لقى عليَّ بن أبي طالب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعاً بعد بيعة أبي بكر، فقال: يا أبا الحسن يا بني عبد مناف أغُلِبتُم عليها - يعني الخلافة - فقال له عليّ: أمغالبة ترى أم خلافة؟!

فهذا خالد وقعت له الشبهة التي وقعت لابن عمّه أبي

سفيان بن حرب في شأن الخلافة، وهي دليلٌ أيضاً على براءة أبي سفيان من الكفر وعداوة الإسلام.

وجواب عليّ لخالدِ دليلٌ أيضاً على اغتباطه بخلافة الصدِّيق وَرِضَاه بها.

وقوله: (ففي ذلك اليوم الذي كان جميع الوسائل موجوداً لانقراض الإسلام إلى الأبد) باطل، بل جميع الوسائل مهيَّأة لإعزازه والذبِّ عن كيانه، واللواء الذي عقده عليه الصلاة والسلام لمولاه أسامة بن زيد، وأراد إرساله إلى مُؤتة بالشام للأخذ بثأر أبيه، وتحته كهول المهاجرين والأنصار وَشُبَّانهم، وتأخَّر عن الخروج حتى ينظر ماذا تصيرُ إليه حالةُ الرسول من المرض، فلما تُوفي عليه الصلاة والسلام، وارتدت العَرَب عن الإسلام، عَزَم الصَّديق على إنْفاذِ ذلك الجيش لمهمته، فعارضَهُ الصحابة رضي الله عنهم، وقالوا له: أخِّر هذا البعث حتى نتقوّى فإنا نخافُ عَادِيةَ الأعراب المرتدين على المدينة. فقال رضي الله عنه: لو خطفتني الكلاب والذئاب لأنفذته كما أمر به رسول الله ﷺ، ولا أردُّ قضاءً قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته أكبرُ برهان على عزَّة الإسلام، وقوة أهله المعنوية مع قلتهم في العدد والعُدد.

وقوله: (كان علي الذي أدرك هذا الخطر وتوجَّه بقوة إيمانه وفتوته لسدِّ هذه النكبات بأشد سرعة، وتأهَّب لمنع سقوط الإسلام) باطلٌ أيضاً، مخالفٌ للواقع، مشتملٌ على تناقضات، فلا خَطَر على الإسلام، ولا خشية عليه من السقوط، لأنَّ الله سبحانه وتعالى قد تكفَّل بنشر لواء عِزِّه على المعمورة كما في آية سورة النور وغيرها: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فلو لم يوجد بعد الرسول مُسلمٌ يذبُّ عن الإسلام إلا أمة واحدة لأنجز الله بها وعده، ونشر على الأرض بها عزَّه ومجده على أنه إن كان هناك خطر على الإسلام وخوفٌ عليه من السقوط، فالذي تأهَّب لمنع سقوطه، ودفع الخطر عنه، هو الخليفة الأكبر أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وعليٌّ رضي الله عنه كان سهماً من سهامه، وسيفاً من سيوفه، وقد خَرَج تحت لواء أبي بكر إلى ذي حسا وذي القصة والأبرق.

فأين أثر التوجُّه بقوة الإيمان وبالفتوة اللتين سدَّ بهما النكبات؟ بل أين أثر السرعة الشديدة لسدِّ ذلك؟ وأين أثر التأهُّب لمنع سقوط الإسلام؟

إنَّ هؤلاء يجمعون في عقيدتهم في حَيْدَرة كرَّم الله وَجْهه بين المتناقضات: قوة إيمانٍ إلى أقصى درجةٍ أمام

أعدائه، وضعفاً فيه كذلك وفتوةً، أي: شجاعة فائقة بزَّ بها الناس جميعاً، وجبناً خالعاً، وتوجُّه وما توجه، وتأهُّب وما تأهَّب، وسرعة شديدة في ذلك التوجُّه وبطءٌ لا نهاية له.

* * *

التناقض الكبير والجهل الخطير

قال: (ولكن ما وجد أمامه إلا طريقين: أحدهما وهو الأخطر إما أن يختار الخلافة على حسب لياقته وانتخاب الله ورسوله إيَّاه، ولكن تعلمون مقدار المشكلات التي كانت تُصادمه في اختياره للخلافة لأنه كان يعلم أنه يتصادم مع أشخاص مدَّعين عنيدين لجوجين طاعنين تنجرُّ معهم المسألة إلى حروبٍ داخلية وخارجية، وإلى تحريك حسن الانتقام والأحقاد والضغائن الجاهلية وارتداد العرب يزيد هذه النار إيقاداً، وأعداء الإسلام أمثال اليهود والنصارى المنتهزو الفرصة كان في إمكانهم أن يتفقوا مع الذين كانوا متظاهرين بالدين، ويبدلوا دنيا الإسلام بكانون من نار ينحرق فيها العرض والعار، وأن يدفن هذا المولود الجديد «الإسلام» في مهده «المدينة ومكة» (هذا أحد الطريقين) اهـ.

أقول: اشتمل هذا الكلام على تناقضاتٍ كثيرةٍ وجهالاتٍ خطيرةٍ، ولولا أني طُلب مني الرد على هذه المقالة

ما ضيَّعت الوقت في إبطالها، لما زعم أنَّ علياً توجَّه بقوة إيمانه وفتوته لسدِّ النكبات بأشدِّ سرعة، وَتَأَهَّبَ لمنع سقوط الإسلام استدرك على التوجهُ والتأهُّب بقوله: (ولكن ما وجد أمامه إلا طريقين) إلخ، ولا فائدة ولا معنى لهذا الاستدراك حيث آلت نتيجة التأهُّب إلى الخنوع والذلة تحت سيطرة أشخاص مدَّعين عنيدين لجوجين طاعنين، وقوله: (ولكن ما وَجَد أمامه إلا طريقين) فاسد، فكلا الطريقين باطلٌ، وكذا ما بُنِيَتا عليه وهو تأهُّبه لمنع سقوط الإسلام، وقوله: (أحدهما وهو الأخطر) أي: أشدُّهما خطراً على عليٍّ كرَّم الله وجهه: أي كلا الطريقين خَطَر وشرٌّ عليه، والأولى: وهي اختياره للخلافة أشدُّهما خطراً وشراً ولا خِيَار في الشر، والعاقل لا يختار ما هو شرٌّ له لا سيما إن كان يعلم أنه شرٌّ، فإنْ كان عليٌّ رضي الله عنه يعلم الغيبَ كما يزعمون فقد تحقَّقَ حينئذ من علم الله وقدره عليه أنه لا مناص له من الرضوخ لسيطرة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فأيُّ اختيار يبقى بعد قضاء الله المبرم عليه؟.

وكيف يقال حينئذ وجد أمامه طريقين؟ فقد ظهر وتحقق فساد وتناقض هذا الكلام.

وإن كان لا يعلم الغيب كما هو مذهب أهل الحق ففساده وتناقضه أيضاً ظاهر ويقال على قوله: (أما أن يختار

الخلافة) لا بد له من مُخيِّر خَيَّره بين إحدى الطريقين، والمخير له: إما نفسه، أو الله سبحانه وتعالى بوحي إليه، أو إلى النبيِّ ﷺ بذلك.

أما كون المخيِّر له نفسه فهو باطلٌ لأنه لا يعقل كون المخيِّر والمخيَّر واحداً، وأما كونه بوحي من الله إليه فهو باطلٌ أيضاً، وكفرٌ صريح لأنَّ علياً ليس بنبيٍّ حتى يُوحىٰ إليه، وأما كونه بوحي من الله إلى النبي ﷺ بذلك فهو باطلٌ أيضاً وتقوُّلٌ على الله، فهذا القرآن وحيُ الله المنزل على محمد ﷺ المتلوُّ بالألسنة، المحفوظُ في الصُّدور، المكتوبُ بين الدفتين ليس فيه تعيين عليٍّ خليفة على المسلمين، فضلاً عن كونه تعالى خيَّره بين أحد الطريقين.

وأما قوله: (وانتخاب الله ورسوله إياه). فهو مشتملٌ على مصائب كثيرةٍ من الجهل الفادح:

الأولى: كون الله مُنتَخِباً والمنتَخِبُ في لغة العرب: المختار، يقال: انتخبه بمعنى اختاره، فقد جعل صاحب المقالة ربه منتخباً مثل المخلوقين، فقد شبَّه فاطرَ السموات والأرض القادر على كلِّ شيء بجهله بالمخلوقات، تعالى الله وتقدَّس عن ذلك.

الثانية: يفهم عقلاً من قوله: انتخبه الله، أنَّ غيره

تعالى من المخلوقين انتخبَ غير عليّ للخلافة وهو كذلك، فقد انتخب جميع الصحابة أبا بكر رضي الله عنه لها وأصابوا ونجحوا في انتخابهم.

وربما يقال: مراده بانتخاب الله إيّاه تعيينه خليفة على المسلمين.

قلنا: وهي المصيبة الثالثة: وقد تقدم الجواب عنها، ومع ذلك لا يخلصه كلا الأمرين من ورطة نسبة العَجْز إلى ربه لا محالة والقدرة والغَلَبة، والعياذ بالله للمخلوقين «الصحابة» الذين بايعوا أبا بكر وتركوا علياً، سواء قال انتخب الله علياً للخلافة، أو قال عيَّنه لها، فقد نَفَذ انتخاب وتعيين الصحابة لأبي بكر، ولم ينفذ انتخاب وتعيين الله والرسول لعلي رضي الله عنه على مقتضى كلامه وعقيدته، فنتيجة هذه العقيدة إذاً: الصحابة قادرون على تنفيذ مرادهم والله سبحانه . . . . ، ونعوذُ باللهِ من هذا الضلال ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾.

الرابعة: ثبت بكلامه هذا أنَّ هؤلاء القوم لا يؤمنون بكلام الله المنزَّل على نبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم، الموجود بين دفتي المصحف، المحفوظ في الصدور، المتلو بالألسنة، المحفوظ بحفظ الله من التبديل والتغيير، معجزةُ الله الخالدة إلى الأبد الذي لا تَنقضي عجائبه، فإنَّ

هذا القرآن الذي آمنَ به جميعُ من كُتِبَت له السعادة ليس فيه تعيين عليٍّ بعينه خليفةً على المسلمين، بل يؤمنون بقرآن غير هذا قام في مُخيّلاتهم، وما ثَبَت في مُخيِّلاتهم لم يحفظه الله، وما لم يحفظه الله ليس بقرآن ولا وحي إلهي، واعتقاد ما ليس بوحي وحياً فاسدٌ، فاعتقاد هؤلاء تعيين خلافة عليّ بوحي اللهِ فاسدٌ.

الخامسة: يقال على فرض صحة هذا الهَذَيان: انتخاب الله سبحانه وتعالى لعليٍّ خليفة على المسلمين لا يخلو من أمرين:

إما أن يكون تعالى عالماً بأنَّ مراده في انتخاب عليّ لا يتم، أو غير عالم بذلك.

فإن كان عالماً بأن مراده في تعيينه لا يتم، ومع ذلك عيَّنه وانتخبه لها، فيلزم من هذا العبث والعجز في تعيين من لا يتمُّ له أمر لا مَحَالة، وكلاهما محال في حقه تعالى.

وإن كان غير عالم بذلك فهو جهل، والجهل في حقِّه تعالى محال أيضاً، نعوذ بالله من شرِّ هذه المصائب كلِّها.

ويقال لهم أيضاً: انتخاب رسول الله ﷺ له تابعٌ ومبنيٌّ على انتخاب الله له، وانتخاب الله له لم يثبت، فانتخاب الرسول له لم يثبت.

ويقال لهم أيضاً: كيف انتخبه الله وانتخبه الرسول أيضاً على زعمكم، وانتخب الصحابة أبا بكر فتمَّ ونَفَذَ انتخاب الصحابة، ولم يَنْفُذ انتخابُ الله والرسول؟ وكفى بسماع هذه العقيدة الهوجاء شراً.

ويقال لهم أيضاً: كيف انتخبه الله وانتخبه الرسول أيضاً، وهو البطل الذي لا يفرَق من الموت، وانتخبه وأيّده أيضاً أكبر وأخطر أعداء الإسلام كما تزعمون أبو سفيان بن حرب، وهو ذو شوكةٍ في قومه، ومع هذا خَضَع وَرَضيَ بالإهانة في نفسه وفي أهله كما زعمتم، وأيُّ شخص أجْبَنُ ممَّن يكون الله ورسوله معه، وأبو سفيان ذو الشوكة العظيمة ومع هذا كله تَرَكَ واجبَهُ ورضيَ بالإهانة، وهو بطلُ الأبطال فإنَّا لله وإنا إليه راجعون من هذا التناقض السخيف.

وقوله: (ولكن تعلمون مقدار المشكلات التي كانت تصادمه في اختياره للخلافة، لأنه كان يعلم أنه يتصادم مع أشخاص عنيدين) إلى قوله: (وارتداد العرب يَزيدُ هذه النار إيقاداً) يناقض اختيارَه لطريق الخلافة، لأنه إذا كان يخشى من مُصادَمة المدَّعين العنيدين، وهم وحدهم قليلون بالنسبة لشوكته وعصبيته وشجاعتِهِ الفائقة، فهو إذا خائفٌ، والخائفُ مسلوبُ الاختيار، ليس أمامَه طريقان يختار أحدهما، فكيف بهم إذا انضمَّ إليهم المرتدون؟ فلا مشيئة ولا اختيارَ لمن

خَضَعَ لسلطة أعدائه القليلين مع شجاعتِهِ وقوةِ شوكتِهِ ووجود مَنْ ينصُرُه، ولا مشيئة أيضاً ولا اختيار لمن يحسب الحساب لمرتدةِ العرب مع أنه يعلم أنَّ الله وَعَدَ المؤمنين المتَّقين العزَّة والنَّصر على جميع الكفار والاستخلاف في الأرض وهو من أكابر المتقين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾.

وأما قوله: (وأعداء الإسلام أمثال اليهود والنصارى المنتهزو الفرصة كان في إمكانهم أن يتفقوا مع الذين كانوا متظاهرين بالدين ويبدلوا دنيا الإسلام بكانون من نار، ينحرق فيها العرض والعار، وأن يدفنوا هذا المولود الجديد ـ الإسلام في مهده ـ المدينة ومكة ـ فمن المضحك المبكى، لأنَّ أعداء الإسلام لا يمكن أن يتفقوا مع الذين (كانوا متظاهرين بالدين)، ومقصوده بالمتظاهرين بالدين: جميع الصحابة رضوان الله عليهم، أما اليهود فإنَّ النبي ﷺ أجلى يهود بني قينقاع إلى الشام، وبني النضير إليها وإلى خيبر، وقتل رجال بني قريظة وأبقى يهود خيبر بعد فتحها عمالاً في البساتين بطلبٍ منهم، وقال لهم: «نُقِرُّكم ما أقَرَّكم الله»، وأجلاهم بعد ذلك الفاروق منها كما أجْلَى النصارى من نَجْران، واليهودُ أشدُّ الأعداء للإسلام والمسلمين كما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ

﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، فلا يمكن أن يتفقوا معهم بحالٍ من الأحوال، وكانوا مع شدّة عداوتهم للفريقين المسلمين والنصارى إذ ذاك ذليلين مَقْهورين تحت سَيْطرة العرب بالجزيرة في زمن الجاهلية، وفي زمن الإسلام أيضاً، وتحت سيطرة نصارى الروم والعرب بالشام وهذا في التاريخ أوْضَح من الشمس.

وأما النصارى فقد بَرهنَ التاريخ كيف طحنت جيوش الصِّديق الأكبر نصارى الروم والعرب من غسان وجذام وعاملة وغيرهم بالشام، وبالعراق نصارى بني تغلب وإياد وتنوخ والنمر بن قاسط وقضاعة وغيرهم، وقَضَت جيوش الفاروق على بقية نصارى الروم بالشام حتى أجْحَروهم إلى داخل بلادِهم الأصليّة الأناضول والأستانة، فإذا كابر في هذا إنسان:

فليسَ يصحُّ في الأذهان شيءٌ
إذا احتاجَ النهارُ إلى دليل

وبهذا تحقّق بطلانُ باقي كلامه المبني على قوله: (وأعداء الإسلام أمثال اليهود والنصارى)، غير أن قوله: (وأن يدفن هذا المولود الجديد - الإسلام - في مهده - المدينة ومكة -) محتملٌ لوجهين، مشتملٌ على تناقض عظيم.

الوجه الأول: يقال مراده بالمولود الجديد (الإسلام) علي رضي الله عنه والأربعة أو الخمسة المؤيِّدون له فقط، وجميع الصحابة قد فارقوا الإسلام - والعياذ بالله -، وهذا الوجه هو الذي ينطبق على مذهبه، ويؤيِّده بعض كلامه السابق على هذا.

قال فيما سبق:

أولاً: (وفي هذه الأيام كان الشيطان يسوق الذين يفتخرون جزافاً بمصاحبة الرسول)، فلا شك أنَّ الذين يسوقهم الشيطان فيفتخرون جزافاً بمصاحبة الرسول ليسوا بمسلمين عنده.

وقال أيضاً:

وثانياً: كان أبو سفيان أكبر وأخطر أعداء الإسلام يطرح نفسه للانتقام).

وقال أيضاً:

ثالثاً: ففي ذلك اليوم الذي كان جميع الوسائل موجوداً لانقراض الإسلام إلى الأبد كان عليّ الذي أدرك هذا الخطر) إلى قوله: (وتأهَّب لمنع سقوط الإسلام).

وقال أيضاً:

رابعاً: لأنه كان يعلم أنه يتصادم مع أشخاص عنيدين لجوجين طاعنين) إلى قوله: (وارتداد العرب يزيد هذا النار إيقاداً).

وقال أيضاً:

(**وخامساً**: أعداء الإسلام أمثال اليهود والنصارى والمتهزو الفرصة كان في إمكانهم أن يتفقوا مع الذين كانوا متظاهرين بالدين) والمتظاهر بالدين ليس بمسلم، بل هو منافق، فهذه خمس حجج من كلامه السابق تؤيّد مذهبه في أنَّ الإسلام انقطع بعد وفاة الرسول، ولم يبق متمثلاً إلا في شخص عليٍّ رضي الله عنه والأشخاص الذين كانوا معه إنما هم جزءٌ منه وسيأتي في كلامه اللاحق الذي سنوضّحه حُجَجٌ أخرى أيضاً تؤيّده.

ويقال له: أيُّ شيء يعوز الصحابة للتظاهر بالدين والنفاق لعليٍّ وهم قد بزّوه على خلافته وأهانوه بتكتيفه، وإحراق بابه، وضرب قرينته الطاهرة البتول، وإسقاط جنينها كما سيقول بعد هذا، ولا ذلة للإسلام، ولمن تمثّل فيه الإسلام أعظم من هذه الذلة.

وإذا كان البطل الهاشمي ابن عم الرسول، وسيّد المسلمين، أُهين أعظمَ إهانة فهل يُنتظر عزٌّ للإسلام على هذا

الرأي السخيف يوماً من الدهر؟

كلا إنَّ كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه صَرَّحَ في آيات كثيرة بعزَّة الإسلام وأهله، وأنهم لا تأخذهم في اللّهِ لومةُ لإئم، وأنهم يُسْتَخلفون في الأرض، ويُمكَّنون من نشر دينهم فيها، وأنهم يُبَدَّلون بعدَ الخوف أمناً، وقد حَصَل ذلك كله، ولله الحمد والمنَّة.

وهؤلاء القوم صرحوا بما يكذب القرآن والمعقول والتاريخ والواقع، إنهم صرَّحوا واعتقدوا ضدَّ هذه البراهين الناصعة والحقائق الملموسة. فليتَ شعري، لم يُعجب العقلاء من السوفسطائية، وليس هؤلاء دونهم؟

ليت شعري، كيف جمعت عقولهم العقائد المتضاربة المتناقضة؟

فإن كان الإسلام في عقيدتهم مهاناً ذليلاً في عصر شبابه (الصحابة)، ثم استمرَّ مُهاناً في جميع العصور بعده إلى يومنا هذا فمتى حصلت له العزّة؟ ولعلها تحصل له في عالم الخيال عندهم.

وإن كان جميع الصحابة منافقين فأين الإسلام العزيز المنيع الجانب الذي أَحْوَجَهم إلى مداراتِهِ والنفاق له؟

فهل يعتقد ويقول من له أدنى مَسْكة من عقل: إن

المتظاهرين بالدين (المنافقين) أهانوا الإسلام، وسلبوه خلافته، وقهروه فغضّ الطرف وقاومهم بالتقيّة.

وهل يجعل عاقل عزّةً وقوةً للمنافقين الذين لم يرفع اللهُ لهم رأساً ولم يجعل لهم بأساً بمقتضى نصوص كلامه العزيز، بل كانوا أذناباً للفريقين مُذَبْذَبين بين الطائفتين، قال تعالى: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وقد أنزل الله فيهم سورةً مخصوصةً، وفضح أمرهم في آيات كثيرة من سورة التوبة ومنهم وَمِنهُم. ولذلك تسمَّى الفاضحة والمدمدمة لأنها فضحتهم ودَمْدَمَتْ عليهم، وهَتَكَ سِتْرهم في آيات كثيرة من سورة الأحزاب، فلو لم يصفهم تعالى فيها إلا بقوله: ﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾.

وبقوله تعالى: ﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ لكفى في خزيهم ومهانتهم فليسموا أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أملته عليهم أهواؤهم، وليعتقدوا فيهم من المحالات ما شاءوا فقد رفعوا صرح مَجْدِ الإسلام على المعمورة، فالمسلمون الآن ومن قبل إنما يستظلُّون تحت ذاكَ الصَّرح.

الوجه الثاني: يقال المراد بقوله: (المولود الجديد الإسلام - في مهده - المدينة ومكة -): جميع الصحابة الموجودون بالمدينة ومكة، وهذا وإن كان مرجوحاً مخالفاً لمذهبه قطعاً غير مراد له، يؤيِّدُه ظاهر لفظه وهو: (وأن يدفن هذا المولود الجديد - الإسلام - في مهده - المدينة ومكة) لأنَّ علياً رضي الله عنه لم يكن وحده حين وفاة الرسول في المدينة ومكة معاً، فلا يمكن حمل لفظة المدينة ومكة عليه فقط إلا بتحمُّل بعيد من لغة العرب، يؤيِّد حمله على عموم المسلمين بالمدينة ومكة ما تقدَّم في أول المقالة قال هناك: (نعم ارتد أكثر الأعراب وسكان حوالي مكة والمدينة).

فقوله: ارتد أكثر الأعراب وسكان حوالي مكة والمدينة، يُفهم منه جزماً أن أقليَّة الأعراب المقابلين للأكثرية لم يرتدُّوا، بل ثبتوا على الإسلام، وأنَّ السكان الموجودين بداخل البلدتين المقابلتين لمن حولهما كذلك لم يرتدوا.

ويؤيده أيضاً كلام أبي سفيان حين أراد نصْرَ عليٍّ

وتأييده، وقد ذكر بعضه كاتب المقالة وسُقناه كله، وأبو سفيان إذ ذاك من سكان مكة، فدخل تحت عموم لفظة سكان المدينة ومكة: على أنَّ القرى التي ثبت أهلها على الإسلام أربع: مكة والمدينة والطائف وجواثي بالبحرين كما تقدم.

* * *

الأباطيلُ والبُهتان

قال: (هذا أحد الطريقين، وأما الطريق الثاني، وهو أن ينضَّ الطرف عن حقِّه مع أنه يعلم أن المتصدِّين للخلافة والأمر الغير اللائقين ليست عندهم بصيرة بأن يحملوا إعراضه عن هذا على مصالح الإسلام، وبالأخص منتظرو الخلافة الذين كانوا يعدونه رقيباً لهم ومزاحماً لا يقعدون ولا يتركونه ويتوسَّلون بتكتيفه وإحراق الباب، وإسقاط الجنين، وضرب قرينته الطاهرة إرعاباً له) اهـ.

أقول: قد تحقَّق مما قررناه فيما سبق بطلان الطريقين معاً، وبطلان اختيار أحدهما أيضاً، وأنَّ علياً كرم الله وجهه لم يكن له إلا طريق واحدٌ عند جميع الفرق الإسلامية.

أما عند أهل السنة والجماعة فهي مبايعته الصديق في اليوم الثاني لبيعة السقيفة بالمسجد طائِعَاً راضياً مغتبطاً

مبجَّلاً معروفةً منزلته في الإسلام عند جميع الصحابة، وكان عند الشيخين وذي النورين بمنزلةِ الوزير والمُستشار لا تحلُّ مشكلة ولا مصلحة عامة للمسلمين إلا بحضوره غالباً.

وأما عند الشيعة الرافضة فقد غضَّ النظر عن حقِّه وسكتَ على القَذَى كما قال كاتبُ المقالة تحتَ القاعدة المشهورة عندهم: (التقيَّة) التي لطَّخوا بها أهل بيت النبوة مظلوماً مغبوناً.

وقوله: (مع أنه كان يعلم أن المتصدِّين للخلافة) إلى قوله: (لا يقعدون ولا يتركونه) كلامٌ ركيكٌ مكرَّر قد تقدَّم إبطاله تفصيلاً وتقدَّم أيضاً إبطال علم عليٍّ وأهل بيته الغيبَ بنصوص القرآن القطعية.

وقوله: (ويتوسلون بتكتيفه وإحراق الباب، وإسقاط الجنين، وضرب قرينته الطاهرة إرعاباً له) كله بهتان وأباطيل لا أصْلَ لها، وكيف يُهان بطلُ الإسلام الذي لا يفرَق من الموت هذه الإهانة العظيمة في دارِهِ ونفسه وأهله البتول الطاهرة، ويستسلم مع هذا كله استسلام الأمة الذليلة؟

وكيف سَلَبت منه الغيرة البشرية والصَّوْلة الهاشمية فلم يَنْبس عضوٌ من أعضائه لدفع هذا العار والمحاماة عن الذمار.

وتالله لو فرض أنه رضي الله عنه من أجْبن العرب، وفُرض وقوع هذه المصائب لدافعها بِقَدْر استطاعته حتى يموت ولا يختار حياةَ الذلّةِ له ولأولاده وأحفاده، وقد كان عامّة العرب إلا مَن ندر - والنادر لا حكم له - يموتونَ في المدافعة عن الجار فضلاً عن الإهانة في النفس والأقارب وفي العار، والمحاماةُ عن ذلك عندهم من أعظم خصال الشرف، والخالي منها مُهَانٌ لا قيمة له عندهم، وقد تغالَوْا فيها حتى دافعوا عن الحيوان الوَحشي لدخوله بيت أحدهم فاراً من الصائد (وهو الضبع أم عامر) وحكاياتهم في الوفاء للجار المحتمي بهم والذب عنه لا تُحصى، مُسطَّرة في كتب التاريخ والأدب.

ولقد انتهى إلى أقصى درجة في الجبن من أغلق على نفسه وعلى أهله باب داره وقبع فيها، وترك واجبه الذي انتخبه الله ورسوله له، وأيَّده على أخذه أبو سفيان ذو الشَّوكة الكبيرة، وهو مع هذه كلِّها ذو الشجاعة الفائقة، فيأتي من هو دونه في ذلك كله في زعمهم فيحرق عليه باب بيته، ويهينه في نفسه، وفي أهله إهانةً فظيعة، ولا يتكلم بنت شفة.

وقد زعموا أنَّ الذي فعل هذه المختلقات بحيدره كرم الله وجهه هو الفاروقُ عمر بن الخطاب رضيَ الله عنه،

فيقال لهم: إنْ صحَّ هذا عندكم فكيف زوَّجه بعد هذا بنته وبنت البتول أم كلثوم مع إهانته له الإهانة العُظمى؟

كيف يعطي مهجة قلبه بنت بنت الرسول لعدُوه في الدين والدنيا عندكم!

ولعلهم يكابرون فينكرون هذا التزويج فيضيفونه بذلك إلى جميع ما كذبوا به الواقع والمعقول من الحقائق، أو يقولون: إنما زوَّجة تقيَّةً.

فيقال لهم: هذا رزية لا تقية فلا رزية لمن أسلم بنته لعدوه ليفترشها راضياً أعظم من هذه، أو يقولون إنَّما زوجه جنيَّة على صورة ابنته فيضيفون خيال هذه السَّفْسَطة إلى ما عندهم من أمثالها.

* * *

مرتين أو ثلاثاً، وقال: وأنا ألعن قَتَلَة عثمان لعنهم الله في السهل والجبل قال: فصدّقه ابن عباس، ثم أقبل علينا فقال: فيَّ وفي هذا لكم شاهدا عدل.

وعن مروان بن الحكم أنه قال: ما كان أحدٌ أدفع عن عثمان من عليٍّ، فقيل له: ما لكم تسبُّونه على المنابر؟ قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك.

وعن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر أنَّ رجلاً جاء إلى أبيه زين العابدين علي بن الحسين فقال: أخبرني عن أبي بكر؟ فقال: عن الصدِّيق، فقال: وتسمِّيه الصديق؟ فقال: ثكلتك أمك قد سمَّاه صديقاً رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار، ومن لم يسمِّه صديقاً فلا صَدَّق الله عز وجل قوله في الدنيا والآخرة، اذهب فأحب أبا بكر وعمر.

وسُئل ابنه الباقر عن حِلية السيف فقال: لا بأس به قد حلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه، قال: وتقول الصدِّيق، قال: نعم الصدِّيق، نعم الصدِّيق، نعم الصدِّيق، فمن لم يقل الصديق فلا صدَّق الله قوله في الدنيا والآخرة.

وعن محمد الباقر أنه قال: أجمع بنو فاطمة رضي الله عنهم على أن يقولوا في الشيخين أحسن ما يكون من القول.

وعن سالم بن أبي حفصة وهو شيعي ثقة قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي وابنه جعفر عن الشيخين فقالا: يا سالم تولَّهما وابرأ من عدوِّهما فإنهما كانا إمامَيْ هدى.

وعنه أيضاً قال: قال لي جعفر: يا سالم أيسبُّ الرجل جدّهَ! أبو بكر جدي لا نالتني شفاعةُ محمدٍ ﷺ إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما.

وعن عبد الجبار الهمداني أنَّ جعفراً الصادق أتاهم، وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة، فقال: إنكم إن شاء الله من صالحي أهل مِصْركم فأبلغوهم عني، من زعم أني إمام مُفْتَرَض الطاعة فأنا منه بريءٌ، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر فأنا منه بريءٌ.

وعن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السِّبْط أنه سُئِلَ: أتمسح على الخفين؟ فقال: أمسح فقد مَسَحَ عمر، فقال له السائل: إنما أسألك أنت تمسح، قال: ذلك أعجز لك، أخبِرك عن عمر وتسألني عن رأيي فعمر خيرٌ مني وملءُ الأرض مثلي، فقيل له: هذا تقيَّة، فقال: نحن بين القبر والمنبر، اللهم هذا قولي في السرِّ والعلانية فلا تسمع قول أحد بعدي، ثم قال: من هذا الذي يزعم أن علياً كان مقهوراً وأنَّ النبي ﷺ أمره فلم ينفذه فكفى بهذا إزراء ومنقصة له.

وعن ولده محمد الملقب بالنفس الزكية أنه قالَ لما سئل عن الشيخين: لهما عندي أفضل من علي.

* * *

المصائب المستمرة والذلة المُسَرمَدة

على عليٍّ وأهل بيته في مذهب كاتب المقالة

قال: (بل كان يرى أنَّ إعراضه عن حقّه يتسبَّب لتأخُّره الدائم هو وأولاده وتسلُّط بني أمية وبني العباس وذريته من مسمومية الحسن، ومقتولية الحسين، وأسْر أولاده وأحفاده، ومسجونية الأئمة الهادية، نعم كان علي يرى كل هذا حتى انحطاط المسلمين وذلتهم في هذا اليوم، ولكن ماذا يفعل في مقابل خطر محو الإسلام، فاختار الطريق الثاني، لأن جميع هذه المصائب والمتاعب كان يحسبه سهلاً في قبال بقاء الإسلام).

قوله: (بل كان يرى) أي يعلم كما هو عقيدتهم في علي أنه هو وأولاده يعلمون الغيب، وقد أبْطلناه، وقَد يقال: ما هي الفائدة التي حصلها عليّ من هذا العلم المزعوم له إذ كانت حياته كلها نكداً حتى قتل، وكذلك حياة أولاده وجميع ذريته كلهم أهينوا وعذِّبوا بأقصى أنواع العذاب والإهانة ما بين مسموم ومقتولٍ ومأسورٍ ومسجون. أيُّ فائدةِ

وأيُّ اختيار لمن يرى قضاءَ الله عليه وعلى جميع ذريته وأتباعه نافذاً فيهم بالعذاب والتنكيل المُسَرْمَدَين.

وجواب هذا السؤال: ذكره في آخر هذا الكلام بقوله: (لأن جميع هذه المصاعب والمتاعب كان يحسبه سهلاً في قُبال بقاء الإسلام).

وخلاصة هذا الجواب من هذا الكلام: أنَّ علياً كرَّم الله وجهه اختار بمقتضى علمه المزعوم بقاء الإسلام ذليلاً مهاناً من ابتدائه إلى قيام الساعة على محوِهِ كلِّه من الوجود، وأنَّ جميع المصائب والمتاعب التي تصبُّ وتُسَرمد على أهله من بني أمية وبني العباس وهلمَّ جراً كلها سهلة هينة بالنسبة لبقائه، فنتيجته الإسلام لم تحصل له عزَّةٌ ولن تحصل في جميع دهره وإنما عزَّتُهُ في ضدِّها: أي بقاؤه ذليلاً.

إلا أنَّ قوله: (نعم كان عليٌّ يَرَى كل هذا حتى انحطاط المسلمين وذلتهم في هذا اليوم) يناقض هذه النتيجة، بل يناقض جميع ما بُنيت عليهِ هذه المقالة، وهو الخنوع والتقيَّة، لأنه يدلُّ على أنَّ المسلمين كانت لهم عِزَّةٌ قبل هذا اليوم، وهو مناقض لما ذكره إلا أن يفسّر بأن المسلمين لا زالوا في انحطاط وتدهورٍ من زمن حيْدرة كرَّم الله وجهه إلى اليوم، وفي هذا اليوم هم أشدُّ انحطاطاً من سائر الأزمان الماضية، وهو بعيدٌ.

كذلك قوله: (يحسبه سهلاً في قبال بقاء الإسلام) أي: يظنه، فالظنُّ مخالفٌ للعلم الجازم غالباً، والحُسْبان لغة: الظنُّ، والظنُّ ليس بعلم؛ فالمعنى: يظن على وقوع تلك الصائب لأهل الإسلام وهو مناقض لكونه يعلم الغيب، وتأويل الحسبان بالعلم الجازم بعيدٌ من لغة العرب:

* * *

المُخْتلقات والتناقُضات أيضاً

قال: (ذكروا بأنه لما رجعت الزهراء من مجلس محاجَّةِ أبي بكر بعد أخذ صكُّ الفدك عنها وضربها خاطبت علياً، وقالت له: اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، إلى أن أغضبت علياً وأخذ سيفه وقصد الخروج وأخذ الثار، ففي تلك الحالة ارتفع صوت المؤذن بالتكبير والتهليل، فقال لفاطمة: أتحبين أن أنتقم من أعدائك، ويترك هذا الصوت، قالت فاطمة: اللهم لا، فقال: إذا فاصْبري):

أقول: هذا الكلام كله مُخْتَلَقٌ باطل. وقد اشتمل على تناقضاتٍ كثيرة وعيوب وَصَمُوا بها من يتشيَّعون له سيدةَ نساء أهل الجنة البتول وبعلها حَيْدرة رضي الله عنهما وصمةً كبيرة، والنواصب على شدَّة بغضهم لعلي رضي الله عنه ولأهل بيته أعقل من هؤلاء الشيعة وأحفظ لكَرامة البتول وبعلها منهم، لأنهم يعترفون بصرامةِ عليٍّ وشجاعتِهِ الفائقة، وبشرف السيدة

فاطمة وبعفتها وبخفرها، ويربئون بأنفسهم عن أن يلصقوا بها هذا الشنار، وقد صَدَق من قال: عدوٌ عاقلٌ خيرٌ من صديقٍ جاهل ومن قال: مَنْ ألَّف فقد عَرَضَ عقله على جميع الناس، فلينظر كيف يعرض عقله عليه.

وقد وصف في هذا الكلام الزهراء البتول بنت الرسول ﷺ بعدم الخَفَر وقلَّة العقل، وشدَّة الطمع والحرص على متاع الدنيا الفاني، وامتهان النفس في ذلك، برّأها الله من ذلك كله.

كما وصف بعلها حَيْدرة رضي الله عنه بأوصاف مُتَضاربة، وصفه بالغيرة وضدها، والشجاعة المؤقته والخور الدائم، والاحترام للصحابة والاعتراف بإسلامهم، فيقال له: في أي الكتب السماوية ذكرت هذه الأسطورة؟ وجميع ما ذكرته في مقالتك هذه من الهَذَيان، فإنكم لا تصدقون إلا بالوحي المنزَّل من عند الله على مُقْتضى أهوائكم، وهذا نقلٌ خطير فمجرَّد قولك (ذكروا بأنه) لا يكفي عند العِميان والصبيان فكيف به عند البصراء والفتيان؟

فإن كان جميع ما سطرته فيها مذكوراً في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي هو الحكم المرجع والمقطوع به بيننا وبينكم، فأين هو كتاب الله إن كنتم تؤمنون به أنه من عند الله.

وإن كان قولك: ذكروا إلخ من جملة الهراء الذي تسمونه نقلاً فليس هو من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو إذاً باطلٌ لا قيمة له ولا كرامة عند أهل الحق.

ويقال له أيضاً: كيف استباحت السيدة فاطمة البروز لمحافل الرجال أعدائها وأعداء بعلها في عقيدتك لمحاجتهم، وهي الخفرة المصُونة سيدة نساء أهل الجنة، أما وَجَدَتْ من بني هاشم ومواليهم على كثرتهم من ينوبُ عنها في طَلَب حقّها حتى تعرِّض شَخْصَها الكريم للإهانة بالضرب فيما هي مستغنيةٌ عنه ببعلها وقومها.

وكيف تركها عليٌّ تخرج لمجالس المُحَاجَّة، وتعرضُ نفسها للذلة والمهانة ولم يقم هو بذلك عنها ويحقّق قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾.

وإذا فُرِضَ أنه ضَعُفَ عن ذلك فأين عمُّ أبيها (جدها) العباس بن عبد المطلب سيد بني هاشم وكبيرهم إذ ذاك، وأين أبناء أعمام أبيها وأين بقية بني عبد مناف: بني عبد شمس، وبني عبد المطلب، وبني نوفل؟

أما وجد فيهم رجلٌ له شهامة ومروءةٌ وغَيْرة يصون ابنة نبيّه وابن عمه سيّد الخلق عن الابتِذال والخروج إلى مَحَافل الرجال، فيقوم في طلب حقّها بالوكالة عنها.

ويقال له أيضاً: كيف تخرج وتبرز لمحاجة الرجال في قطعة من الأرض، وهي العاقلة العالمة بأنهم أخذوا خلافة بعلها قسراً، والخلافة أعظم شأناً من قطعة أرض عند جميع العقلاء؟

ويقال له أيضاً: هذا الضَّرب والإهانة التي وَقَعت لها في مجلس المحاجة إما أن يكون قبل الضرب والإهانة التي وقعت لها من عمر في بيتها على زعمكم أو بعده، فإن كانت قبله فلا يصحُّ من مثلها - وهي مَنْ هي في رزانتها وكمال عقلها - البروز لمجالس الرجال الذين تحقَّقت قوَّتهم التي سلبوا بها خلافة بعلها، فمحاجتها إذاً عبثٌ لا يليقُ بها، وإن كانت بعده فهي محالٌ لا تصدر ممَّن لها أدنى عَقل من نساء عامة الناس، فكيف بنساء الخاصة. فكيف ببنت سيد الأنام سيدة نساء أهل الجنة.

فهل يمكن لامرأة عاقلة الخروج إلى مجلس أعدائها، وأعداء بعلها الذين قد أحرقوا باب دارها، وهَجَموا على بعلها فكتَّفوه وضربوها هي حتى أسقطوا جنينها، هل تنتظر من الذين أهانوها هذه الإهانة العظمى بعدها إعطاءها حقها؟

هل تخرج عاقلة إليهم في مجالسهم ليهينوها مرة أخرى: «وَلا يُلْدَغُ المؤمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَين».

ويقال له أيضاً: هذا الصكُّ الذي حاجَّت به، إما أن يكون الذي أعطاه لها النبي ﷺ أو عليٌّ أو غيرهما، لا جائز أن يكون غيرهما، ولا جائز أيضاً أن يكون أبوها هو الذي أعطاه لها، لأنه لا يخلو من أن يكون عالماً بأنهم يمنعونها من ذلك أو شاكاً أو جاهلاً له؛ فإن كان عالماً بأنهم سيمنعونها من حقِّها، ويهينونها بالضَّرب، وأخذ ذلك الصك الذي منحه لها، ومع ذلك أعطاه لها فهو عَبَثٌ لا يليق بمقام النبوة، ومستحيل أيضاً.

وإن كان شاكاً في تنفيذ ذلك لها أو جاهلاً له فإعطاؤه لها في هاتين الحالتين عبثٌ أيضاً لا يصحُّ لمقامه عليه الصلاة والسلام أن يعطي ابنته شيئاً يشكُّ هل ينفِّذه لها أصحابه من بعده أو يجهل عاقبته لها.

وإن كان الذي أعطاه لها هو بعلها حَيْدرة ـ وقد زعموا أنه يعلم الغيب ـ فإعطاؤه لها مع علمه بما سيقع لها عَبَثٌ أيضاً ورضىً وتلذُّذ بالمهانة في نفسه وفي أهله.

وإن كان شاكاً أو جاهلاً فأيُّ فائدة تحصل له ولها من هذا الصك الذي لا تدري عاقبته.

وإذا تحقَّق بطلان خروج السيدة فاطمة لمحاجة أبي بكر فضلاً عن إهانتها ووجود صك لفدك على هذه الوجوه

المفروضة. فالنقل اللائق بمقام السيدة البتول: أنها أرسلت إلى أبي بكر تطلب ميراثها من أبيها فقال لها أبو بكر رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّا مَعَاشِرَ الأنبياء لا نُورَثُ مَا تركنا صَدَقَة**» فقنعت رضي الله عنها ورضيت بقوله، ومعلومٌ أنَّ النبيَّ ﷺ لم يترك ديناراً ولا درهماً وقد قال عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح: «**ما تَرَكتُهُ بَعْدَ نَفَقَةِ أزواجِي ومُؤنةِ عامِلِي فهُو صَدَقَةٌ، وأرْضُ فدك صَدَقَةٌ**».

وكان عليه الصلاة والسلام ينفق منها على أرامل بني هاشم ويزوج أيِّمَهم، فأجْراها أبو بكر رضي الله عنه على ما كان عليه الصلاة والسلام يُجريها من التصرُّف حيث إنه خليفتهُ فهو أحقُّ بنظارتها، وكذلك عمر لما تولاَّها من بعده ثمَّ طلبها عَلِيٌّ والعباس فسلَّمها عمر إليهما بشرط أن يتصرَّفا فيها كما كان عليه الصلاة والسلام وخليفته من بعده يتصرَّفان فيها، فأخذاها على الشرط فغلب عليٌّ عمه العباس على نظارتها، وبقيت بيده وبيد أولاده إلى أن انتزعها منهم بنو أمية ظلماً، ثم ردَّها إليهم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ثم انتزعت منهم بعده، ثم استولى عليه بنو العباس برهة من الدهر، ثم ردَّها إليهم المأمون، ثم انتزعها منهم المتوكِّل، ثم اضمحل أمرها بعد ذلك ودخلت في خبر كان.

وقوله: (خاطبت علياً وقالت له: اشتملت شملة الجنين وقعدت حجرة الظنين) كلامٌ ركيك، ولعل معناه: اشتملت شملة الجنين الذي أسقطته بسبب ضرب عمر لها على ما زعموا، وقعدت حجرة الظنين أي المتهم، عيَّرته بالجُبن والخنوع بدليل قوله: (إلى أن أغضبت علياً، وأخذ سيفه، وقَصَد الخروج، لأخذ الثأر ففي تلك الحالة ارتفع صوت المؤذن بالتكبير والتهليل) وقوله: (إلى أن أغضبت علياً وأخذ سيفه إلخ) يناقضُ كلامه السابق من كونه اختار الطريق الثاني طريق الخشوع والخنوع وإن كان مملوءاً بأنواع الذلة والمهانة واللاحق كما سيذكره متبجِّحاً به: (وليست فضيلة أعظم من هذا الخشوع والخضوع في مقابل هذه الحقيقة) فيقال له: هذا الغضب في غير محله قد فات وقته ومحله المطلوب فيه منه لزاماً فَلِمَ لَمْ يحصل حين خولف أمر الله وأمر رسوله في الخلافة التي انتخباه لها كما زعمتم، ولِمَ لَمْ يحصل حين أحرقوا بابَ داره واقْتحموها عليه فأهانوهُ بالتكتيف وزوجه البتول بالضرب وإسقاط الجنين كما زعمتم أيضاً؟

ويقال له أيضاً: هذا الغضب يلائم السَّوْرة الهاشمية، وشجاعة حَيْدرة الفائقة، ولكنه سَرْعان ما سكن حين سمع الأذان وقال لها: «أتحبين أن أنتقم من أعدائك ويترك هذا الصوت» فإن كان غضبه لله فالإعلام بالتكبير والتهليل لا

يوقفه عن الانتقام من الذين خالفوا أمرَ الله وأمرَ رسوله، فسلبوه حقَّه، وأهانوا في نفسه وفي أهله، فهم في عقيدةِ كاتب المقالة بين حالتين، إما أن يكونوا كفاراً، ومتظاهرين بالدين كما قال سابقاً (أي منافقين) وكيف يُحجم بطلُ الإسلام عن مجاهَدة الكفار والمنافقين، وقد أمره الله بذلك فإحْجَامه وسكوته ينافي أمر الله له بالجهاد فيهم، والغلظة عليهم، ويناقض العزة والشدة اللتين وصف بهما أصحاب النبي ﷺ في كتابه العزيز: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ ويوافق احترام علي رضي الله عنه لجميع المؤمنين فكيف بإخوانه أصحاب النبي ﷺ، ولذلك ثبت عنه رضي الله أنه تألَّم كثيراً لقتل طلحة والزبير، وقال لمن بشَّره بقتل الزبير: أبشر بالنار، وأكرم أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وردَّها إلى المدينة معزَّزَةً مكرَّمةً، وقال لمن سأله عن حكم جيش طلحة وعائشة رضي الله عنهما في قتالهم له: هم إخواننا بغوا علينا، وصَلَّى على قتلاهم؛ وجمع ما في عسكرهم من مال وبعث به إلى مسجد البصرة، وقال: من عَرَف شيئاً فليأخذه إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سِمَة السلطان، حتى الخوارج الذين تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في الحثّ على قتلهم فقال: «اقتلوهم فإنَّ في قتلهم أجراً لمن قتلهم».

وقال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عادٍ وإرم».

وقال: «الخوارج كلاب النار».

وقال: «يقرءون القرآن ولا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق» مع تكفيرهم له ولجلِّ الصحابة، ولجميع المسلمين المخالفين لهم في الرأي، ومحاربتهم له لما سئل رضي الله عنهم فقيل له: أهم كفار يا أمير المؤمنين. قال: هم من الكفر فروا، فقيل له: ما هم؟ فقال: هم قوم أرادوا الآخرة فأخطئوا طريقها.

ويقال له أيضاً: كيف قال حيدرة للسيدة: (أتحبين أن أنتقم من أعدائك ويترك هذا الصوت) وعداوتهم المزعومة له أشد من عداوتهم لها رضي الله عنهما وعن جميع الصحابة، لأنهم سلبوه حقه الذي انتخبه الله والرسول له بالقهر، وأهانوه بإحراق باب داره المغلق عليه، وبتكتيفه وضرب أهله كما زعم، فكان من الواجب عليه حيث أراد الانتقام منهم أن ينتقم أولاً لنفسه باسترجاع حقِّه الذي هو أعظم وآكد من حقها، وإذا انتقم لنفسه فقد انتقم لها، لأنَّ حقَّها مندرجٌ في حقِّه، وتابعٌ له لأنَّ ضربها وإسقاط جنينها إنما كان بسببه ومن أجله، وحقها إنما هو من جهة شبهة الميراث فقط وقد أقنعها الصديق كما تقدَّم.

وقوله أيضاً: (أتحبين أن أنتقم من أعدائك، ويُترك هذا الصوت) يحتمل وجهين كلاهما فاسد ومشتمل على تناقض كبير:

الأول: معناه أنه ينتصر على جميع أعدائه وأعدائها، ونتيجة هذا الانتقام والانتصار حينئذٍ أخذ حقِّه المسلوب منه، وهو الخلافة العظمى وحقها التابع له أيضاً، ولكن هذا الانتصار المفروض له يناقض كلام الكاتب السابق عن هذا واللاحق بعده، وهو اختيار طريق الخضوع وغضّ الطرف عن أخذِ حقِّه بالحرب.

وأما فساده فكيف يعقل انتقامه من أعدائها وأعدائه، ويترُك الإعلام بالوحدانية لله والشهادةِ بالرسالة لمحمد ﷺ، مع أنَّ الأعداء كانوا متظاهرين بالدين على ما زَعَم، فالمعقولُ على هذا الوجه ظهور قوة وكثرة الإسلام وازدياد عظمة هذا الصوت لا تركه، إلا أن يقْصد بقوله: (ويترك هذا الصوت) ترك الإعتراف بالرسالة لمحمد عليه الصلاة والسلام، بل الاعتراف بها له كما هو مذهب طائفةٍ من غُلاَتهم، وهو بعيدٌ على أنه أيضاً مناقضٌ لما اختاره من التقيّة والخضوع.

الثاني: يُترك هذا الصوت بانتصارهم عليه، يوافق كونهم كفاراً عنيدين لجوجين ذوي قوة وشوكة، أو منافقين

متظاهرين بالدين في عقيدة الكاتب، وإذا انتصروا عليه على زعم أنهم منافقون متظاهرون بالدين فلا حاجة لهم إلى مداراته بذلك الصوت (الأذان) فتركهم له حينئذ ظاهر، وتركهم له على زعم أنهم كفار أظهر، ومحاربته لهم، وإن انتصروا عليه على هذا الفرض يناقض ترك محاربته لهم ولزومه للتقية والخضوع لهم، كما أنَّ استمرار الأذان منهم يناقض عدم استمراره لو حاربهم وانتصَرَ عليهم على كلا الزعمين، لكنه لم يحاربهم، بل رَكَن إلى التقيَّة والخضوع، وركونُه رضي الله عنه إلى الخضوع وتقيَّة الكافرين أو المنافقين مع بلوغه الدرجة القُصْوى في الشجاعة وقوة الإيمان مستحيل فلا كفر ولا نفاق ولا تقية إذاً.

فاستمرارُ إعلانهم بالتكبير والتهليل والشَّهادة بالرسالة لمحمدٍ ﷺ (شعيرة الإسلام) أقوى دليلٍ على نفي ما ذُكر عنهم وعنه، رضي الله عن الجميع.

وظهور فساد كلامه بهذا التقرير على هذا الوجه أيضاً واضح، إذ كيف يتصور استمرار الأذان الذي هو شعيرة الإسلام من الكفار ذوي الشوكة العظيمة الذين بزوه خلافة الله، وكيف يتقي بطلُ الإسلام المنافقين الأذلاء الجبناء؟ وكيف يتقي أعداءه وأعداءها مع شجاعته الفائقة؟ وكيف يتصور انتقامه منهم إذا فرض أنهم انتصروا عليه،

ويُترك رفع الصوت بالأذان من الجانبين؛ لأن انتقامه منهم مستلزم لانتصاره عليهم وانتصاره عليهم يقوِّي الإسلام ويزيد الأذان رفعة، وتركهم الأذان يستلزم انتصارهم عليه على فرض أنهم الكفار أو متظاهرون بالدين، وانتصارهم عليه يناقض انتصاره، فانتصارُهُ حينئذٍ يؤدِّي إلى عدم انتصارهم، وهذا عينُ التناقض والمحال، ولا يعتقه ويتفوَّه بهذه التناقضات والمحالات غبيٌّ حاطب، فكيف بمتعلِّم كاتِبٍ؟

الرذائل فضائل والمَثَالِب مَنَاقب

في عقيدة صاحب المقَالة

قال: (فبرب الحقيقة ما أرى فضيلة من بين فضائل البشر أفضل ولا مقاماً أعلى من هذا لا في الأنبياء المرسلين ولا في الأولياء المتقين، وليست فضيلة أعظم من هذا الخشوع والخضوع في مقابل هذه الحقيقة اهـ).

أقول: قد كشف غطاء عقيدته بأنه من الغلاة في أمير المؤمنين أبي الحسن رضي الله عنه؛ وقد أكدها بالقسم بقوله: (فبرب الحقيقة ما أرى فضيلة من بين فضائل البشر) إلخ الهراء، الخشوع والخضوع معناهما متقارب وهو التواضع والتطامن، فيقال له: هذا التواضع الذي هو عندك ليست فضيلة من فضائل البشر أعظم منه، ولا ترى مقاماً أعلى منه في الأنبياء المرسلين، ولا في الأولياء المتقين لا يخلو من أمرين)

إما أن يكون الله تعالى حيث منَّ عليه بالتسليم والرضا بما قضاه الله عليه في سابق علمه من تقدُّم الصدِّيق والفاروق وذي النورين في الخلافة عليه، وهذا غير مقصود له قطعاً، لأنه منافٍ لعقيدته.

ثناء عليّ كرّم الله وجهه وأهل بيته

على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم

قد روى الأئمة الحفّاظ الذين عليهم المعوّل في معرفة الأحاديث والآثار، وتمييز صحيحها من سقيمها بأسانيدهم المتّصلة إلى عليّ كرّم الله وَجْهَه وإلى أولاده وأحفاده الثناء العظيم على الخلفاء رضي الله عنهم.

فمن ذلك ما ثبت عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: «من فضلني على أبي بكر وعمر جلدته حد الفِرْية».

وثبت في الصحيح من طريقِ ابنِهِ محمد ابن الحنفيَّة أنه سألَهُ: عن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ فقال له: أبو بكر، قال: ثم من؟ قال: عمر، قال: ثم من؟ قال: رجل. قال: أنت يا أبت، قال: أبوك رَجلٌ من المسلمين.

ومثله عن أبي جُحَيْفة العامري قال: قال لي عليٌّ: يا أبا جُحَيْفة ألا أخبرك بأفضل هذه الأمة بعد نبيها؟ قلت: بلى ولم أكن أرى أنَّ أحداً أفضل منه قال: أبو بكر ثم عمر وبعدهما ثالثٌ لم يسمه، قال: هذا رضي الله عنه بعد وقعة النهروان وكانت سنة ثمان وثلاثين.

وعن محمد بن الحنفية أيضاً عن أبيه عليٍّ رضي الله عنه أنه خطب فقال: من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت، فقال:

أما إني ما بارَزَني أحدٌ إلا انتصفت منه، ولكنه أبو بكر، لقد رأيتُ رسول الله ﷺ أخذته قريش فَيَجَؤُهُ هذا، وهذا يتلقاه، ويقولون له: أنت تجعل الآلهة إلهاً واحداً، فواللّهِ ما دنا منا أحدٌ إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويدفع هذا، ويقول وَيْلكم أتقتلونَ رجلاً أن يقول ربيَ الله، ثم بكى عليٌّ، ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال علي: والله لساعة من أبي بكر خيرٌ منه، ذاكَ رجلٌ يكتم إيمانه، وهذا يعلن بإيمانه.

وعن محمد بن حاطب قال: ذُكِرَ عثمان عند الحسن والحسين رضي الله عنهما فقالا: هذا أمير المؤمنين ـ أي عليٌّ ـ آتيكم الآن يخبركم عنه إذ جاء علي، فقال: عثمان من الذين اتَّقوا وآمنوا، ثم من الذين اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين.

وعن سالم ابن أبي الجعد قال: كنت جالساً عند محمد بن الحنفية فذكروا عثمان، فنهانا محمد وقال: كفُّوا عنه، فَغَدونا يوماً آخر، فنلنا منه أكثر ما كان قبل، فقال: ألم أنهكم عن هذا الرجل، قال: وابن عباس جالسٌ عنده، فقال: يا ابن عباس تذكر عشيَّة الجمل، وأنا عن يمين عليٍّ وفي يدي الراية، وأنت عن يساره، إذ سمع هدَّة في المربد، فأرسل رسولاً فجاء الرسول فقال: هذه عائشة تلعن قَتَلة عثمان في المربد، فرفع عليٌّ يديه حتى بلغ بهما وجْهَه

وإما أن يكون جبناً وذلةً وهو المنطبق على عقيدته، بدليل كلامه السابق، وهو اختياره الطريق الثاني، وهو غضُّ الطَّرْف عن حقِّه، والاستكانة خوف محو الإسلام وإهانته بإحراق باب داره وتكتيفه وضرب أهله، على زعمه.

فهذه الفضيلة التي زعم أنه لم يأتِ بها أحد من خواص البشر هي الذلة والمهانة، والمهانة أعلىٰ فضائل البشر، فعليٌّ قد اتَّصف بأعلى فضائل البشر في عقيدته، ويبرأ عليٌّ وجميع أهل بيته إلى الله تعالى من هذه الرذيلة، لا الفضيلة، كما يبرأ منها جميع المسلمين، وينزِّهون عنها الأنبياء والمرسلين، ويبرِّئون الأولياء المتقين من عقيدة هؤلاء الناس الذين انعكست قضايا عقولهم، فاعتقدوا في البدهيات المسلمة عند جميع الناس ضد ما يعتقده جميع العقلاء، اعتقدوا الرذائل فضائل، والجبنَ شجاعة، والذلة عزاً، والأمن والعذاب نعيماً، والمصائب الصعبة سهلة، وهكذا فلا يُخرج هذا المرضَ منها إلا فاطرُها جلَّ وعلا، ولا حَوْل ولا قوة إلا بالله.

الخاتمة

في ذكر بعض فضائل الصحابة عموماً وخصوصاً

من سنته عليه الصلاة والسلام وفي إخباره ببعض المغيّبات

بعض ما ورد في فضلهم عموماً

فمن ذلك ما أخرجه الشيخان وأصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفي بعض طرقه عند مسلم قال: كان بين خالد ابن الوليد وبين عبد الرحمٰن بن عوف شيءٌ، فسبَّه خالد فقال رسول الله ﷺ: «**لا تَسُبّوا أصْحَابي، فَوَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ**».

وروى الترمذي وصححه الضياء المقدسي عن بريدة رضي الله عنه رفعه: (مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابي يَمُوتُ بِأَرْض إلاَّ بُعِثَ قائِداً ونُوراً لَهُمْ يَوْمَ القِيامةِ).

وأبو يعلى عن أنس: «مَثَلُ أصحابي مَثَلُ المِلحِ في الطَّعَام لا يصلُحُ الطَّعامُ إلاَّ بالمِلحِ».

وأحمد ومسلم عن أبي موسى: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ للسَّماء

فإذا ذهَبْت النجومُ أتى السماء ما توعد، وأنا أمنةٌ لأصحَابي فإذا ذهبتُ أتى أصحَابي ما يُوعدُونَ، وأصحَابي أَمَنَةٌ لأمّتي فإذا ذَهَبَ أصحابي أتى أمّتي ما يُوعَدُون».

والطبراني عن ابن عباس: «مَنْ سَبَّ أصحابي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله والملائِكةِ والنّاسِ أجمَعِينَ».

وتواتر عنهُ عليه الصلاة والسلام أنه قال: **«خَيرُ النَّاس قَرْني، ثمّ الَّذِينَ يَلونَهُمْ، ثمّ الّذين يَلونَهم».**

وقال بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبيّ ﷺ أنه قال: **«أنتُم تُوفُونَ سَبْعِينَ أمّةً، أنتُم خيرُها وأكرَمُها على الله عَزَّ وجَلّ».**

وأخرج الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اللّهَ اللهَ في أصحَابي، لا تَتخِذوهم غَرَضاً، فمن أحَبّهم فبِحُبّي أحَبّهُم، وَمَنْ أبْغَضَهُمْ، فَبِبُغضي أبْغَضهم، وَمَنْ آذاهمْ فَقَدْ آذاني، وَمَنْ آذاني فَقَدْ آذَى الله، ومن آذى الله فيُوشِكُ أنْ يَأخُذَهُ».**

وروى البزّار في مسنده بسندٍ رجاله موثّقون عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ الله اختارَ أصحَابي على الثّقلينِ سِوى النَّبِيّينَ والمرْسَلِينَ».**

وأخرج الترمذي عن ابن عمر رفعه: «إذا رأيتم الذين يسبُّون أصحابي فقولوا: لعنة الله على شرِّكم».

وأخرج الترمذي أيضاً عن أنس رفعه: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدُّهم في أمر الله عمر، وأشدهم حياءً عثمان، وأقضاهم عليّ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبيّ بن كعب، ولكلّ قوم أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذرّ أشبه عيسى عليه السلام في ورعه» قال عمر: أفتعرف له ذلك يا رسول الله؟ قال: **«نعم فاعرفوه».**

وأخرج الشيخان والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه رفعه: «يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقولون: هل فيكم مَنْ صاحَبَ رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمانٌ فيغزو فئامٌ من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقولون: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم».

وفي رواية بنحوه وزاد: «ثم يكون البعث الرابع،

فيقال: انظروا هل ترون فيهم أحداً رأى من رأى أحداً رأى أصحاب النبي ﷺ فيوجد فيفتح لهم».

وأخرج أبو داود والترمذي عن سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه أنه سمع من يسبُّ علياً بحضرةِ بعض الأمراء، فقال: ألا أرى أصحاب النبيِّ ﷺ يُسبّون عندكم، ثم لا تنكروا ولا تغيّروا سمعته صلى الله تعالى عليه وسلم يقول، وإني لغني أن أقول عنه ما لم يقل فيسألني عنه غداً إذا لقيته: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»، وسكت عن العاشر قالوا: ومن هو العاشر؟ فقال: «**سعيد بن زيد يعني نفسه**»، ثم قال: «واللّهِ لمشهدُ رجلٍ منهم مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يغبّرّ فيه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عُمِّر عمر نوح.

وفي رواية: فعدَّ هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر؟ قال: نشدتموني بالله أبو الأعور في الجنة.

* * *

بعض فضائل أبي بكر الصديق

رضي الله عنه في القرآن

قد ورد في فضله آياتٌ كثيرة:

الأولى: أخرج ابن أبي حاتم والطبراني: «أنَّ أبا بكر رضي الله عنه أعتَقَ سَبْعَةً كلهم يعذَّب في الله، فأنزل اللّهُ تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ إلى آخر السورة».

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾.

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود: «أن أبا بكر اشترى بلالاً مِنْ أميَّةَ بنِ خلفٍ ببُرْدَةٍ وعَشَرةِ أواقٍ فأعتقه لله، فأنزل الله هذه الآية».

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾.

أجمع المسلمون على أنَّ المراد بالصاحب هنا أبو بكر رضي الله عنه، ومن ثم قالوا: من أنكر صحبته كفر إجماعاً.

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنَّ الضمير في

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ لأبي بكر.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾.

أخرج البزار وابن عساكر: أن علياً رضي الله عنه قال في تفسيرها: الذي جاء بالحقّ هو محمدٌ ﷺ، والذي صدّق به أبو بكر، قال ابن عساكر هكذا الرواية بالحق ولعلّها قراءة لعليّ.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾.

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب أنها نزلت في أبي بكر.

السادسة: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾.

أخرج الحاكم عن ابن عباس أنها نزلت في أبي بكر وعمر.

السابعة: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

أخرج الطبراني عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم أنها نزلت فيهما.

الثامنة: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

أخرج عبد بن حميد عن مجاهد لما نزل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾، قال أبو بكر رضي الله عنه: «يا رسول الله، ما أنزل الله عليك خيراً إلا شركنا فيه، فنزل: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

التاسعة: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهًا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهًاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾.

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ ذلك جميعه نَزَل في أبي بكر رضي الله عنه.

العاشرة: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢)﴾.

نزلتْ كما في البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنها في أبي بكر لما حَلَف أن لا ينفق على مسطح لكونه كان من جملة من رمى عائشة رضي الله عنها بالإفك الذي تولّى براءتها منه بالآيات التي أنزلها في شأنها، ولما نزلت هذه قال أبو بكر: بلى واللّهِ يا ربنا إنا لنحب أن تغفر لنا وأرجع على مسطح النفقة كما كانت.

الحادية عشرة: قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾.

أخرج ابن عساكر عن ابن عيينة قال: عاتب الله المسلمين كلهم في رسول الله ﷺ إلا أبا بكر وحده فإنه خرج من المعاتبة، ثم قرأ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾.

* * *

بعض الأحاديث في مَنَاقِبِهِ رضي الله عنه

الحديث الأول: أخرج الشيخان عن جُبير بن مُطعم رضي الله عنه قال:

«أتتِ امرأةٌ إلى النبيِّ ﷺ فأمَرَهَا أن ترْجعَ إليه فقالتْ: أرأيت إنْ جئتَ ولمْ أجدْكَ كأنها تقولُ الموتَ، قالَ: إن لمْ تجدِيني فأتي أبا بكر».

الثاني: أخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «مَرِضَ النبي ﷺ فاشتدَّ مرضه فقال: مرُوا أبا بكر فليصلّ بالناسِ. قالت عائشة: يا رسول الله إنه رجلٌ رقيق إذا قام مقامك لم يستطعْ أن يُصلي بالناس، فقال: مري أبا بكر فليصلِّ بالناسِ، فعادَتْ، فقال: مُري أبا بكر فليصلّ بالناس، فإنكن صواحبُ يوسف» فأتاهُ الرسول فصلى بالناس حياةَ رسول الله ﷺ.

وفي رواية: «أنها لما راجعتهُ فلمْ يرجع لها قالت لحفصة: قولي له يأمر عمر فقالت له: فأبى حتى غضب، وقال: إنكنّ أوْ لأنتنَّ صواحب يوسف مرُوا أبا بكر».

قال العلماء: هذا الحديث متواتر لأنّه وَرَدَ من حديث عائشة، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن زمعة، وحفصة، وأبي سعيد الخدري من طرق كثيرة.

الثالث: أخرج الإمام أحمد والترمذي وحسّنه وابن ماجَهْ والحاكم وصحّحه عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اقتدُوا باللذَين مِنْ بعدِي أبي بكر وعمر»**.

وأخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء والحاكم من حديث ابن مسعود، وروى أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه: «إني لا أدْرِي ما قدْرُ بقائي فيكم، فاقتَدُوا باللذَين مِنْ بعدِي أبي بكر وعمر، وتمسّكوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود فصدّقوا».

والترمذي عن ابن مسعود والروياني عن حذيفة وابنُ عدي عن أنس: «اقتدوا باللذَين مِنْ بعدي مِنْ أصحابي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسّكوا بعهد ابن مسعود».

الرابع: أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسولُ الله ﷺ الناس فقال: **«إنَّ اللّهَ تبارَكَ وتعالى خيَّر عبداً بين الدنيا وَبينَ مَا عِندَهُ، فاختارَ ذلكَ العَبْدُ مَا عِنْدَ اللّهِ»**، فَبَكى أبو بَكرٍ وَقالَ: بلْ نفديكَ بآبائِنا وَأمّهاتِنا.

فعَجبنا لبكائِهِ أنْ يخبر رسولُ الله ﷺ عنْ عبدٍ

خيَّرهُ الله، فكان رسولُ الله ﷺ هو المخيَّرَ، وكان أبو بكر أعلَمنا.

فقال رسول الله ﷺ: **«إنَّ منْ أمنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذْتُ أبا بكر خليلاً، ولكنْ أخوة الإسلام ومودّتهُ، لا يَبقينَّ بابٌ إلا سُدَّ إلا بابُ أبي بكر»**.

وفي لفظٍ لهما: «لا يبقينَّ في المسجد خَوْخةٌ إلا خوْخة أبي بكر» وطرقُهُ كثيرةٌ منها عن حذيفة، وأنس، وعائشة، وابن عباس، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم.

الخامس: أخرج عبد بن حميد في مسنده وأبو نُعيم وغيرهما من طرق عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«مَا طَلعتِ الشَّمسُ وَلا غَربَتْ علَى أحدٍ أفْضلَ مِنْ أبي بكر إلا أنْ يَكُونَ نبياً»**.

وفي لفظ: **«مَا طَلعتِ الشَّمسُ عَلَى أحَدٍ بَعدَ النَّبيينَ والمرْسَلين أفضَلَ مِنْ أبي بَكرٍ»**.

وورد أيضاً من حديث جابر، ولفظه: **«مَا طَلعتِ الشَّمسُ عَلَى أحَدٍ مِنكمْ أفضلَ مِنهُ»**.

وأخرجه الطبراني وغيره وله شواهد من وجوه أخر

تقتضي له **الصحة** أو الحسن، وقد أشار ابن كثير إلى الحكم بصحته.

السادس: أخرج أبو داود والحاكم عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أتَاني جِبريلُ، وَأَخَذ بيدِي، فأرَاني بَابَ الجَنةِ الذي تَدخُلُ مِنهُ أمتي، فقال أبو بكر: وَدِدْتُ أني كنتُ معك حتى أنظرَ إليه، فقالَ: أمَا إنكَ يا أبَا بَكرِ أوَّلُ مَنْ يَدخل الجَنة مِن أمتي».

السابع: أخرج الحاكم عن النزَّال بن سبرة: «قلنا لعليّ يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن أبي بكر؟ فقال: «ذاك امرؤٌ سمَّاه الله الصدِّيق على لسان محمد، لأنهُ خليفةُ رسول الله ﷺ رضيَه لديننا فرضيناه لدنيانا» إسناده جيد، وصحَّ عن حكم بن سعيد: سمعت علياً يحلف: لأنزل الله اسم أبي بكر من السماء الصدِّيق.

الثامن: أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أصبحَ مِنكُمُ اليومَ صَائماً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن تبِعَ منكم اليومَ جنازةً؟ قال** أبو بكر: أنا، **قال: فمن أطعم منكم اليومَ مسكيناً؟ قال** أبو بكر: أنا، **قال: فمن عَادَ منكم اليوم مريضاً؟ قال** أبو بكر: **أنا، فقال رسول الله** ﷺ: «**مَا اجْتمعنَ في امْرىءٍ إلا دَخلَ الجنة**»، وفي رواية عن أنس: «**وَجَبتْ لكَ الجَنة**».

التاسع: أخرج البيهقي عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ في الجَنة طَيراً كأمثال البخاتي، قال أبو بكر: إنها لناعمة يا رسول الله، قال: أنعم مِنها مَنْ يأكلها، وَأنتَ ممن يَأكلها»، وقد ورد هذا الحديث من رواية أنس أيضاً.

العاشر: أخرج أبو يعلى وأحمد والحاكم عن علي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ يوم بَدرٍ ولأبي بَكرٍ: «**مَعَ أحَدكما جِبريلُ وَمَع الآخر ميكائيلُ**».

* * *

ذكر بعض موافقات الفاروق رضي الله عنه للقرآن

وبعض الأحاديث الدّالة على فضله

أخرج الشيخان عنه رضي الله عنه قال: وافقت ربي في ثلاث.

قلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فتنزلت كذلك.

وقلت: يا رسول الله يدخل على نسائك البرُّ والفاجر، فلو أمرتهن يحتجبْنَ، فنزلت آية الحجاب.

واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة، فقلت: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ فنزلت كذلك.

وقد ثبتت موافقته لآيات كثيرة غير هذه الثلاثة، منها قصة أسارى بدر، ومنها قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

الحديث الأول: أخرج الإمام أحمد والشيخان والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«بينما أنا نائم رأيت الناس عُرضوا عليَّ وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها**

ما يبلغ دون ذلك، وعرض عليَّ عمر وعليه قميص يجرُّه قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: الدِّين».

الثاني: أخرج الإمامان أحمد والبخاري عن أبي هريرة وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن عائشة أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدَّثون فإن يكن في أمتي أحدٌ فإنه عمر»**.

وأخرج البخاري عن ابن عمر: «ما سمعت عمر لشيءٍ قط يقول: إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن».

الثالث: أخرج الشيخان عن ابن عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«بَينا أنا نائمٌ شربت يعني اللبن حتى أنظر إلى الري يجري في أظفاري، ثم ناولته عمر، قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: العلم»**.

الرابع: أخرج أحمد والشيخان عن جابر رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة رضي الله عنهما، وسمعت خَشْفاً أمامي، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا بلال، ورأيت قصراً أبيض بفنائه جارية، فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخله أنظر إليه فذكرت غيرتك»**.

الخامس: أخرج أحمد في مسنده والترمذي في سننه

وابن سعد في «طبقاته» والبيهقي في «الدلائل» وأبو نعيم في «الحلية» عن ابن عمر وصححه ابن حبان قال: قال النبيُّ ﷺ: **«اللهم أعزَّ الإسلام بأحبِّ الرجلَين إليك عمر أو أبي جهل»**.

السادس: أخرج أحمد والترمذي عن ابن عمر، وأبو داود والحاكم عن أبي ذر، وأبو يعلى والحاكم عن أبي هريرة، والطبراني عن بلال وعن معاوية أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ الله جَعَلَ الْحَقَّ على لِسَانِ عُمَرَ وقلبِهِ»** قال ابن عمر: وما نزل بالناس أمرٌ قط فقالوا وقال: إلا أنزل القرآن على نحو ما قال عمر.

السابع: أخرج أحمد والترمذي والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه والطبراني عن عصمة بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو كانَ بَعْدِي نبيٌّ لكانَ عُمَرُ بْنُ الخطابِ»** وأخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وغيره وابن عساكر من حديث ابن عمر.

الثامن: أخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يابن الخطّاب، والّذي نفسي بيدِهِ ما لقِيَك الشّيطانُ سَالكاً فجّاً قطُّ إلا سَلَكَ فجّاً غيرَ فجّك»**.

التاسع: أخرج الترمذي عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«هَذَا غَلْقُ الفتْنَةِ، وأشَارَ بِيَدِهِ إلى عُمَرَ، لا يَزالُ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ الفِتْنَةِ بابٌ شَدِيدُ الغَلْقِ ما عَاشَ هَذا بَيْنَ أظهُرِكمْ»**.

العاشر: أخرج البزّار عن ابن عمرَ، وأبو نُعيم في «الحلية» عن أبي هريرة، وابن عساكر عن الصعب بن جثّامة أنَّ رسول ﷺ قال: **«عُمَرُ سراج أهل الجنةِ»**.

* * *

ذكر بعض ما ثبت من تفضيل عليّ للشيخين عليه

وتهديد من فضّله عليهما بالعقوبة الشديدة

أخرج الدارقطني عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: «لا أجدُ أحداً فضَّلني على أبي بكر وعمر إلا جلّدته حد المفتري».

وأخرج أبو ذر الهَرَوي والدارقطني من طرقٍ: أنَّ بعضهم مرَّ بنفرٍ يسبُّون الشيخين، فأخبر علياً وقال: لولا أنهم يرون أنك تضْمر ما أعلنوا ما اجترءوا على ذلك، فقال عليٌّ: أعوذ بالله رحمهما الله، ثم نهض فأخَذَ بيد ذلك المُخبِر، وأدخله المسجد، فَصَعَدَ المنبر، ثم قَبَض على لحيته وهي بيضاء، فجعلت دموعُه تتحادر على لحيته، وجعل ينظر البقاع حتى اجتمع الناس، ثم خطب خطبة بليغة من جملتها:

«ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول الله ﷺ، ووزيريه، وصاحبيه، وسيدَي قريش، وأبوي المسلمين، وأنا بريءٌ مما يذكرون، وعليه معاقب، صحبا رسول الله ﷺ بالجد والوفاء والجد في أمر الله، يأمران وينهيان ويقْضيان ويعاقبان، لا يرىٰ رسول الله ﷺ كرأيهما رأياً، ولا يحبُّ كحبهما حبّاً لما يرى من عزمها في أمر الله، فقُبضَ وهو

عنهما راضٍ، والمسلمون راضون، فما تجاوزا في أمرهما وسيرتهما رأيَ رسول الله ﷺ وأمرَه في حياته وبعد موته، فقُبضا على ذلك رحمهما الله، فوالذي فَلَقَ الحبة، وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمنٌ فاضل، ولا يبغضهما ويخالفهما إلا شقيٌ مارق، وحبُّهما قربة، وبغضُهما مروق».

ثم ذكر أمر النبي ﷺ لأبي بكر بالصلاة وهو يرى مكان عليٍّ، ثم ذكر أنه بايع أبا بكر، ثم ذكر استخلاف أبي بكر بعمر، ثم قال: «ألا ولا يبلغني عن أحدٍ أنه يبغضهما إلا جَلَدْته حدَّ المفتري».

وصحّ عن مالك عن جعفر الصادق عن أبيه الباقر: أنَّ علياً رضي الله عنه وقف على عمر بن الخطاب وهو مسجّى، وقال: ما أقلّت الغبْراء، ولا أظلّت الخضراء أحداً أحبَّ إليّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المُسَجَّى».

وفي رواية صحيحة أنه قال به وهو مسجًّى: «صلى الله عليك»، ودعا له؛

وأخرج أبو بكر الآجُرى عن أبي جُحَيفة قال: سمعت عليًّا على منبر الكوفة يقول: «إنَّ خير هذه الأمة بعد نبِّيها أبو بكر، ثم خيرهم عمر».

وأخرج الحافظ أبو ذر الهروي من طرق متنوِّعة،

والدارقطني وغيرهما عنه أيضاً: دخلت على عليٍّ في بيته، فقلت: يا خيرَ الناس بعد رسول الله ﷺ، فقال: «مهلا يا أبا جُحَيفة، ألا أخبرك بخير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ أبو بكر وعمر، وَيحك يا أبا جحيفة لا يجتمع حب وبغض أبي بكر وعمر في قلب مؤمن».

وأخرج الدارقطني أيضاً أن أبا جحيفة كان يرى أنَّ علياً أفضل الأمة، فسمع أقواماً يخالفونه فحزن حزناً شديداً فقال له عليّ بعد أن أخَذ بيده، وأدخله بيته: ما أحزنك، يا أبا جحيفة؟ فذكر له الخبر، فقال: «ألا أخبرك بخير هذه الأمة، خيرها أبو بكر، ثم عمر». قال أبو جحيفة: فأعطيتُ اللّهَ عهداً أن لا أكتم هذا الحديث بعد أن شافهني به عليٌّ ما بقيت.

وإخباره رضي الله عنه بكونهما خير الأمة، ثَبَتَ عنه من رواية ابنه محمد بن الحنفية، وجاء عنه من طرقٍ كثيرة بحيث يجزم من تَتبعها بصدور هذا القول من علي.

قال الذهبي: وقد تواتر ذلك عنه في خلافته، وكرسي مملكته، وبين الجمِّ الغفير من شيعته، ثمَّ بسَطَ الأسانيد الصحيحة في ذلك.

قال: ويقال رواه عن عليّ نيف وثمانون نفساً وعدَّد منهم جماعة.

والرافضة ونحوهم لما لم يمكنهم إنكار صدور هذا القول منه لظهوره عنه بحيث لا يُنكرُهُ إلا جاهلٌ بالآثار أو مُبَاهت، قالوا: إنَّما قال عليٌّ ذلك تقيَّةً، وما أحسنَ ما أبطل به الباقر هذه التقيَّة المشئومة لما سُئِلَ عن الشيخين؟ فقال: إني أتولاّهما، فقيل له: إنهم يزعمون أنَّ ذلك تقيَّة، فقال: إنما يُخاف الأحياء ولا يُخاف الأموات، فعَلَ الله بهشام بن عبد الملك كذا وكذا أخرجه الدارقطني وغيره، وهشام إذ ذاك خليفة فلم يخف منه.

* * *

ذكرُ بعض الأحاديث الواردة

في فَضْل ذي النورين عثمان رضي الله عنه

الحديث الأول: أخرج أحمد والترمذي وابن ماجَهْ والحاكم عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ قال لعثمان: «**يا عثمانُ إنَّ الله مُقَمِّصُكَ قميصاً، فإنْ أرادَك المنافقُونَ على خَلْعِهِ فلا تخلعْه حتى تلقاني**» وهذا من الأحاديث الظاهرة في خلافته، الدالَّة دلالةً واضحةً على حقِّيتها لنسبة القميص في الحديث المكنَّى به عن الخلافة إلى الله تعالى.

الثاني: أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبيَّ ﷺ جَمعَ ثِيابهُ حينَ دخل عُثمانُ وَقالَ: «**ألا أستحي مِنْ رَجلٍ تستحي مِنهُ الملائكة**».

الثالث: أخرج أبو نُعيم عن ابن عمرَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**عُثمانُ أخيى أمتي وأكرمُها**».

الرابع: أخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ عثمان لأولُ مَنْ هَاجَرَ بأهْله إلى اللهِ بعد لوط**».

الخامس: أخرج الترمذي عن طلحة وابن ماجه عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لكلّ نبيٍّ رفيقٌ في الجنةِ، ورفيقي فيها عثمان**».

السادس: أخرج ابن ماجَه عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال لعثمان: «**يا عُثمانُ هَذا جِبريلُ يخبرني أنَّ اللّهَ قد زوجك أمَّ كلثومٍ بمثلِ صداق رقيةَ وَعَلى مثل صحبتها**».

السابع: أخرج الترمذي عن عبد الرحمٰن بن خباب قال: «شهدت النبيَّ ﷺ، وهو يحثُّ على جيش العسرة، فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقْتابها في سبيل الله، ثم حضَّ على الجيش، فقال عثمان: يا رسول الله عليَّ مائتا بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حضَّ على الجيش، فقال عثمان: يا رسول الله عليَّ ثلاثمائة بعير بأحْلاسها وأقْتابها في سبيل الله، فنزل رسول الله ﷺ وهو يقول: ما علىٰ عثمان ما فعل بعد هذه.

الثامن: أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الرحمٰن بن سمرة قال: «جاء عثمان إلى النبيِّ ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة، فنثرها في حجره، فجعل رسول الله ﷺ يقلّبها ويقول: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم، ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم».

التاسع: أخرج البخاري عن أبي عبد الرحمٰن السُّلَمي: أنَّ عثمان حين حُوصر أشْرَفَ عليهم فقال: أنشدكم بالله، ولا أنشد إلا أصحاب النبيِّ ﷺ، ألستم تعلمون أنَّ

رسول الله ﷺ قال: «**من جَهَّز جيش العسرة فله الجنة**» فجهزتهم، ألستم تعلمون أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من حفر بئر رومة فله الجنة**» فحفرتها، فصدَّقوه بما قال.

العاشر: أخرج الترمذي عن أنس قال: «لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان **عثمان** رسولَ رسولِ **الله إلى** أهل مكة، فبايع الناس، فقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ عثمان في حاجة الله وحاجة الرسول**»، فَضَرب بإحدى يديه على الأخرى فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم.

الحادي عشر: أخرج الطبراني عن عُصْمة بن مالك قال: «لما ماتت بنت رسول الله ﷺ تحت عثمان قال رسول الله ﷺ: «**زوِّجوا عثمان، لو كان لي بنت ثالثة لزوجته، وما زوجته إلاّ بوحي من السماء**».

الثاني عشر: أخرج الترمذي عن ابن عمر قال: «ذكر رسول الله ﷺ فتنة، فقال: «**يقتل فيها هذا مظلوماً**» لعثمان.

الثالث عشر: أخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه عن مُرَّة بن كعب قال سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنةً يقربها، فمرَّ رجل مقنَّع في ثوب، فقال: هذا يومئذٍ على الهدى، فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت إليه بوجهي، فقلت: هذا؟ قال: نعم.

الرابع عشر: أخرج أبو يعلى عن ابن عمرَ رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال: «**إن الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله**».

الخامس عشر: أخرج ابن عدي وابن عساكر من حديث أنس مرفوعاً: «إنَّ للّهِ سيفاً مَغموداً في غمده ما دَام عثمانُ حياً فإذا قُتِلَ عثمان جُرِّد ذلك السيف فلم يغمد ذلك السيف إلى يوم القيامة».

السادس عشر: أخرج الترمذي عن عثمان رضي الله عنه أنه قال يوم الدار: إنَّ رسول الله ﷺ عَهِدَ إليَّ عهداً فأنا صابرٌ عليه، وأشار بذلك إلى قوله ﷺ في الخبر السابق: «**إن الله مُقَمِّصُك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني**».

* * *

ذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل حَيدرة عليّ

رضي الله عنه

قال الأئمة أحمد بن حنبل والنسائي والقاضي إسماعيل وأبو علي النيسابوري: لم يَرد في حقّ أحدٍ من الصحابة بالأسانيد الجِيَاد **أكثر مما** جاء في علي رضي الله عنه..

وسبب **ذلك** بغض بني أمية له، فكان كلُّ من كان عنده علم من شيء من مناقبه من الصحابة يبثُّه، وكلما أرادوا إخماده وهددوا من حدَّث بمناقبه لا يزداد إلا انتشاراً، وقد ولَّد له الرافضة مناقب موضوعة هو غنيٌ عنها، وتتبَّع الإمام النسائي ما خصَّ به من دون الصحابة، فجمع من ذلك شيئاً كثيراً بأسانيد أكثرها جياد وسماه: «خصائص أمير المؤمنين علي» وهو مطبوع.

وقال بعض المتأخِّرين من أهل البيت النبوي: سببُ ذلك - والله أعلم - **أنَّ** الله تعالى أطْلعَ نبيَّه على ما يكون بعده مما ابتُلِي به عليٌّ، وما وقع من الاختلاف لما آلَ إليه أمر الخلافة، فاقتضى ذلك نصح الأمة بإشهاره بتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسَّك به ممَّن بَلَغته، ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نَشَر من سمع من الصحابة تلك الفضائل وبثَّها نصحاً للأمة أيضاً، ثم لما

اشتدَّ الخَطب واشتغلت طائفةٌ من بني أمية بتنقيصِهِ وسبِّه على المنابر، والخوارج بتكفيره ولعنِهِ اشتغلت جهابذةُ الحفاظ من أهل السنة ببثِّ فضائله حتى كَثُرت نصحاً للأمة، ونصرةً للحق.

الحديث الأول: أخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وأحمد والبزار عن أبي سعيد الخدري، والطبراني عن أسماء بنت عميس وأم سلمة وحبيش بن جنادة وابن عمر وابن عباس وجابر بن سمرة وعلي والبراء بن عازب وزيد بن أرقم رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ خلَّف عليَّ بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال يا رسول الله: تخلفني في النساء والصبيان، فقال: «**أمَا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنَّه لا نبيَّ بعدي**».

وقد تشبَّث الشيعة بشبهٍ كلها واهية، ادَّعوا أنها نصٌّ جليٌّ على إمامةِ عليٍّ رضي الله عنه بعد الرسول، منها هذا الحديث، زعموا أنه من النصِّ التفصيلي المتواتر على إمامته بعده ﷺ. قالوا: ففيه دليلٌ على أنَّ جميع المنازل الثابتة لهارون من موسى سوىٰ النبوَّة ثابتة لعلِي من النبيِّ ﷺ وإلا لما صحَّ الاستثناء، ومما ثبت لهارون من موسى استحقاقه الخلافة عنه لو عاشَ بعده، إذ كان خليفةً في حياته فلو لم

يخلفه بعد مماته لو عاش بعده، لكان لنقصٍ فيه وهو غير جائز على الأنبياء.

وأيضاً فمن جملة منازله منه أنه كان شريكاً له في الرسالة ومن لازم ذلك وجوب الطاعة لو بقي بعده فوَجَب ثبوت ذلك لعليّ إلا أنَّ الشركة في الرسالة ممتنعة في حق عليٍّ فوَجَبَ أن يبقى مُفترضَ الطاعة على الأمَّة بعد النبيِّ ﷺ عملاً بالدليل بأقصى ما يمكن.

وجواب أهل الحق عنه: أنه خبر آحاد وأقصى ما يدلُّ عليه خبر الواحد الظنّ، وهم لا يَرَونه حجة في الإمامة، وليس بمتواتر، فلا يقاوم الإجماع على خلافة الصدِّيق الذي هو قطعي الدلالة، ومنع كونه عاماً في جميع المنازل، بل هو من قَبيل المطْلق، لأنَّ غاية الإسم المفرد المضاف إلى العَلَمَ الاطلاق، وربمَّا يدعى كونه معهوداً معيناً كغلام زيد، وليس الاستثناء فيه إخراجاً لبعض أفراد المنزلة بمنزلة قولك إلا النبوة، بل هو منقطع بمعنى «لكن» على ما لا يخفى على أهل العربية، فلا يدل على العموم، وعلى تسليم أنه عامّ فلا عموم له في المنازل، بل المراد ما دلَّ عليه ظاهر الحديث أن علياً خليفة النبيِّ ﷺ مدة غيبته بتبوك، كما كان هارون خليفة عن موسى في قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة، وقوله: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ لا عمومَ له حتى يقتضي الخلافة

عنه في كل زمن حياته وزمن موته بل المتبادر منه أنه خليفةٌ مدة غيبته فقط، وحينئذ فعدم شموله لما بعد وفاة موسى عليه السلام إنما هو لقصور اللفظ عنه لا لعزله كما لو صرَّح باستخلافه في زمن معيَّن، ولو سلمنا تناوله لما بعد الموت، وأن عدم بقاء خلافته بعده عزلٌ له لم يستلزم نقصاً يلحقه، بل إنما يستلزم كمالاً له (أيّ كمال) لأنه يصير بعده مستقلاً بالرسالة والتصرُّف من الله تعالى، وذلك أعلى من كونه خليفة وشريكاً في الرسالة.

سَلمنا أن الحديث يعمُّ المنازل كلها لكنه عام مخصوصٌ إذ من منازل هارون كونه أخاً نبياً، والعام المخصوص غير حجة في الباقي أو حجة ضعيفة على خلاف فيه، ثم نفاذُ أمر هارون بعد وفاة موسى لو فرض إنَّما هو للنبوة لا للخلافة عنه، وقد نفيت النبوة هنا لاستحالة كون علي نبياً فيلزم نفي مسببه الذي هو افتراض الطاعة ونفاذ الأمر. فعُلم ممَّا تقرر أنه ليس المراد من الحديث ـ مع كونه آحاداً لا يقاوم الإجماع ـ إلا إثبات بعض المنازل الكائنة لهارون من موسى، وسيَاق الحديث وسببه قد بيَّنا ذلك البعض لما مرَّ أنه إنما قاله لعلي حين استخلفه فقال علي ـ كما في الصحيح ـ أتخلفني في النساء والصبيان كأنه استنقصَ تركه وراءه، فقال له: «ألا ترضى أن تكونَ مني بمنزلة

هارون من موسى» يعني حيث استخلفه عند توجُهه إلى الطُور، إذ قال له: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾.

وأيضاً فاستخلافه على المدينة لا يستلزم أولويته بالخلافة بعده من كلِّ معاصريه افتراضاً ولا ندباً، بل كونه أهلاً لها في الجملة وبه نقول، وقد استخلف ﷺ في مرات كثيرة على المدينة جماعة من الصحابة غير عليٍّ كابن أم مكتوم، ولم يلزم في كلِّ واحد من أولئك المستخلفين بسبب ذلك الاستخلاف أنه أولى بالخلافة بعده. ومنها وهو:

الحديث الثاني: أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجَة والطبراني والضياء المقدسي في «المختارة» عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ مَنْ والاه وَعَادِ مَنْ عاداه**».

وقد زعم الرافضة أنه نصٌّ في إمامة عليٍّ بعده عليه الصلاة والسلام، فاحتجوا به عليها، كما احتجُوا بالذي قبله عليها، وهو حديث المنزلة وهما أقوى الشبه التي احتجوا بها على إمامة علي، ولكونهما أقوى ما تمسكوا به اكتفيتُ بجواب وكلام العلماء عليهما، وقد قررنا جوابهم عن حديث المنزلة، وهذا جوابهم عن حديث الموالاة:

جواب أهل السنة عن حديث الموالاة من عدة أوجه

الأول: أنَّ فرق الشيعة اتفقوا على اعتبار التواتر فيما يستدلُ على إثبات الإمامة، وهذا الحديث من أخبار الآحاد فكيف ساغَ لهم أن يخالفوا ما اتَّفقوا عليه من اشتراط التواتر في أحاديث الإمامة واحتجُوا به عليها؟ ما هذا إلا تناقضٌ قبيحٌ وتحكمٌ لا يعتضد بشيءٍ من أسباب الترجيح.

الثاني: لا نسلِّم أنَّ معنى الولي هو المتولِّي والمالك للأمر والأَوْلى بالتصرُّف، بل هو مشترك لغة بين معانٍ كثيرة: منها المعتِق والمعتَق والحليف والجار وابن العم والمحب والناصر والأولى بالتصرُّف وهو حقيقة في كل واحد منها، وتعيين بعض معاني المشترك من غير دليلٍ يقتضيه تحكُمٌ لا يعتدُ به، وتعميمه في مفاهيمه كلها لا يسوغ.

الثالث: سلَّمنا أنه أوْلى لكن لا نسلِّم أن المراد أنه الأوْلى بالإمامة، بل الاتباع والقرب منه، فهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ ولا قاطع بل ولا ظاهر على نفي هذا الاحتمال، بل هو الواقع إذ هو الذي فهمه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فإنهما لما سمعاه قالا له:

أمسيت يابنَ أبي طالب مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة. أخرجه الدارقطني.

وأخرج أيضاً: أنه قيل لعمر **إنك تصنع لعليٍّ شيئاً** لا تصنعه بأحد من أصحاب النبي ﷺ فقال: **إنه مولاي.**

الرابع: سلَّمنا أنه أوْلى بالإمامة، **فالمراد المآل، وإلا** كان هو الإمام مع وجوده ﷺ **ولا تعرض فيه لوقت المآل،** فكان المراد حين يوجد عقد **البيعة له، فلا ينافي حينئذٍ تقديم** الأئمة الثلاثة عليه لانعقاد الإجماع **حتى من عليٍّ عليه** وللأخبار المصرِّحة بإمامة **أبي بكر، وأيضاً فلا يلزم من** أفضليَّة عليّ على معتقدهم بطلان تولية غيره، **وقد أجمع** أهل السنة على صِحَّةِ **إمامة المفضول مع وجودِ الفَاضِل.**

الخامس: كيف يكونُ **نصّاً على إمامته ولم يحتج به** هو ولا العباس رضي الله عنهما **ولا غيرهما وقتَ الحاجة** إليه وإنما احتجَّ به عليٌّ في خلافتِهِ، **فسكوته عن الاحتجاج** به إلى أيام خلافته قاضٍ **على من عنده أدنى فهم وعقل بأنه** علم منه أنه **لا** نصَّ فيه على خلافته عقب وفاة النبي ﷺ، على أن علياً نفسه صرَّح بأنه ﷺ **لم ينصَّ عليه ولا على** غيره، وكل عاقل يجزم بأنَّ حديث: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**» ليس نصاً في إمامة عليٍّ، **وإلا لم يحتج هو** والعباس إلى مراجعته ﷺ **المذكورة في حديث البخاري،**

ولما قال العباس: فإن كان هذا الأمر فينا علمناه، مع قرب العهد جداً بيوم الغدير إذ بينهما نحو الشهرين، وتجويزُ النسيان على الصحابة السامعين لخبر يوم الغدير مع قُرب العهد محال يجزم العاقل بأدنى بديهة بأنه لم يقع منهم نسيانٌ ولا تفريطٌ.

السادس: ما المانع له ﷺ يوم الغَدير من التصريح بقوله لعلّي: هذا الخليفة بعدي، فعدولُهُ ﷺ إلى قوله: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**» دليلٌ على أنه لم يرد به الخلافة.

السابع: قولهم هذا الدعاء، وهو قوله ﷺ: «**اللهم والِ مَنْ والاه وعَادِ مَنْ عَاداه**» لا يكون إلا لإمام معصوم دَعوى لا دليلَ عليها إذ يجوز الدعاء بذلك لأدنى المؤمنين فضْلاً عن أخِصَّائهم شرعاً وعقلاً فلا يستلزم كونه إماماً، معصوماً، ثم إنَّ أرادوا بالعصمة ما ثَبَت للأنبياء قطعاً فهو باطل، أو الحفظ فهذا يجوز لمن دون عليٍّ من المؤمنين.

ودعواهم وجوب عصمة الإمام مبنيٌّ على تحكيمهم العقل، وهو وما بنيَ عليه باطلٌ لأمور بيَّنها القاضي الإمام أبو بكر الباقلاني في كتابه «الإمامة» أتمَّ بيان.

وقد أخرج الحاكم وصححه وحسنه غيره عن علي رضي الله عنه أنه قال: «يهلك فيَّ محبٌ مُفْرِط يقرظني بما

ليس فيَّ، ومبْغضٌ مُفْتَرٍ يحمله شنَآني على أن يبهتني بما ليس فيَّ»، ثم قال: «وما أمرتكم بمعصية فلا طاعة لأحدٍ في معصية الله تعالى»، فعلم به أنه لم يثبت لنفسه العصمة.

الثامن: أنهم اشترطوا في الإمام أن يكون أفضل الأمة، وقد ثَبَتَ بشهادةِ عليٍّ رضي الله عنه الواجب العصمة عندهم: أنَّ أفضلها أبو بكر، ثم عمر رضي الله عنهما، فوجب صحة إمامتهما كما انعقد عليها الإجماع، وقوله ﷺ: «اللهمَّ والِ مَنْ والاهُ» يشعر بأن المراد بالمولى هو الناصر والمحب، بل، مجرَّد احتمال ذلك كافٍ في دفع استدلالهم به.

وما ذكروه من أنَّ ذلك معلومٌ ظاهر من قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ لا يدفع الاحتمال لجوازِ أن يكون الغرض التنصيص على موالاته ونصرته ليكون أبعد عن التخصيص الذي يحتمله أكثر العمومات، وليكون أقوى دلالة وأوفى بإفادةِ زيادة الشرف حيث قُرِنَ بموالاة النبيِّ ﷺ، وهذا القدر من المحبة والنصرة لا يقتضي ثبوت الإمامة، وبعد تسليم الدلالة على الإمامة فلا عِبْرة بخبر الواحد في مقابلة الإجماع.

ولو سلم فغايته الدلالة على استحقاق الإمامة وثبوتها في المآل، لكن من أين يلزم نفي إمامة الأئمة قبله وهذا قولٌ بالموجَب.

وما يدعونه من تواتر هذا الخبر حجة عليهم لا لهم، لأنه لو كان مسوقاً لثبوت الإمامة دالاً عليها لما خَفيَ على عظماء الصحابة فلم يتركوا الاستدلال به ولم يتوقّفوا في أمر الإمامة.

والقول بأن القوم تركوا الانقياد عناداً، وعليٌّ رضي الله عنه ترك الاحتجاج تقية آية الغَواية وغَاية الوَقاحة.

قال الإمام الرازي: وأمر هؤلاء الشيعة عجيبٌ فإنهم إذا وجدوا خبراً يقوّي مذهبهم كخبر المولى والمنزلة زعموا أنه متواتر، وإذا وجدوا خبراً يقوّي مذهب أهل السنة زعموا أنه خبرٌ واحد وليس بصحيح، وهذا منهم يجري مجرى التحكّم، ولا يقال: الأخبار الواردة في حقِّ عليٍّ أقوى؛ لأنَّ بني أمية مع قوة سلطتهم بالغوا في إخفاءِ مناقبِ عليٍّ رضي الله عنه، فلولا قوَّتها لما بقيت مع هذا المُبْطل القوي. لأنا نقول: هذا معارِضٌ بما ثَبَتَ أنَّ الروافض كانوا في جميع الأعصار مبالغين في إلقاء الشُّبهَ في فضائل الشيخين وعثمان، فلولا قوتها لما بقيت، بل الترجيح من هذا الجانب، لأنَّ الإنسان حريصٌ على ما منع منه، فملوك بني أمية لما كان اجتهادهم في إخفاء مناقب عليٍّ أكثر كانت الدواعي أشد توفراً على نقلها اهـ.

ومن مُخْتَلَقات الرافضة ما نَسَبوه إلى النبيِّ ﷺ وزعموا

أنه نصٌ جلي في خلافة عليّ بعده عليه الصلاة والسلام، وهو:

أولاً: قوله عليه الصلاة والسلام فيما زعموا مشيراً إليه وآخذاً بيده: **«سلموا عليه بإمرة المؤمنين»**.

ثانياً: قوله ﷺ: **«هذا خليفتي فيكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا»**.

ثالثاً: قوله عليه الصلاة والسلام: **«أنت الخليفة من بعدي»**.

رابعاً: قوله عليه الصلاة والسلام ـ وقد جمع بني عبد المطلب ـ: أيكم يبايعني ويؤازرني يكن أخي ووَصِيي وخليفتي من بعدي؟ فبايعه عليّ رضي الله عنه.

كلام العلامة سعد الدين التفتازاني

في «شرح المقاصد» في بحث الإمامة

قال ما نصُه: «ومن مكابرات الروافض: ادعاؤهم تواتر هذا النص قرناً بعد قرن مع أنه لم يشتهر فيما بين الصحابة والتابعين، ولم يثبت ممن يوثق به من المحدثين مع شدَّة ميلهم إلى أمير المؤمنين، ونقلهم الأحاديث الكثيرة في مناقبه

كلام العلامة سعد الدين التفتازاني

في «شرح المقاصد» في بحث الإمامة

قال ما نصُه: «ومن مكابرات الروافض: ادعاؤهم تواتر هذا النص قرناً بعد قرن مع أنه لم يشتهر فيما بين الصحابة والتابعين، ولم يثبت ممن يوثق به من المحدثين مع شدَّة ميلهم إلى أمير المؤمنين، ونقلهم الأحاديث الكثيرة في مناقبه وكمالاته في أمر الدنيا والدين، ولم ينقل عنه رضي الله عنه في خطبِهِ ورسائِلِهِ ومفاخرِهِ إشارة إلى ذلك، وابن جرير الطبري مع اتّهامه بالتشيُّع لم يذكر في روايته قصة الدار هذه الزيادة التي يدَّعيها الشيعة، وهي قوله ﷺ: **«إنه خليفتي فيكم من بعدي»**.

والظاهر ما ذكره المتكلمون من أنَّ هذا المذهب، أعني دعوى النص الجلي مما وضعه هشام بن الحكم، ونَصَره ابن الراوندي وأبو عيسى الوراق وأضرابهم، ثم رواه أسْلاف الروافض شغفاً بتقرير مذهبهم.

قال الإمام الرازي: ومن العجائب أنَّ الكاملين من علماء الشيعة لم يبلغوا في كل عصر حدَّ الكثرة فضلاً عن التواتر، وأن عوامهم وأوساطهم لا يقدرون أن يفهموا كيفية هذه الدعوى على الوجه المحقق، وأن غلاتهم زعموا أنَّ

المسلمين ارتدُّوا بعد النبيِّ ﷺ ولم يبق على الإسلام إلا عددٌ يسير أقل من العشرة، فكيف يدعون التواتر في ذلك اهـ.

وقال أيضاً في موضع آخر ما نصُّه: لهم في إثبات إمامة عليٍّ رضي الله عنه بعد النبيِّ ﷺ وجوهٌ من العقل والنقل والقدح فيمن عداه من أصحاب النبي ﷺ الذين قاموا بالأمر، ويدعون في كثيرٍ من الأخبار الواردة في هذا الباب التواتر، بناءً على شهرته فيما بينهم، وكثرة دورانه على ألسنتهم، وجريانه في أنديتهم وموافقته لطباعهم، ومقارعته لأسماعهم، ولا يتأمَّلون أنه كيف خفي على الكبار من الأنصار والمهاجرين الثقات من الرواة والمحدثين، ولم يحتج به البعض على البعض، ولم يبنوا عليه الإبرام والنقض، ولم يظهر إلا بعد انقضاء دَوْرِ الإمامة وطول العهد بأمر الرسالة وظهور التعصُّبات الباردة والتعسُّفات الفاسدة، وإفْضاء أمر الدين إلى علماء السوء والملك إلى أمراء الجور.

ومن العجائب أن بعض المتأخرين من المشغبين الذين لم يروا أحداً من المحدثين ولا رووا حديثاً في أمر الدين ملأوا كتبهم من أمثال هذه الأخبار والمطاعن في الصحابة الأخيار، وإن شئتَ فانظر في كتاب «التجريد» المنسوب إلى الحكيم نصير الطوسي كيف نَصَرَ الأباطيل وقرَّر الأكاذيب.

والعظماء من عِتْرة النبي ﷺ وأولاد الوصي، الموسومون بالدراية، المعصومون في الرواية لم يكن معهم هذه الأحقاد والتعصُّبات ولم يذكروا من الصحابة إلا الكمالات ولم يسلكوا مع رؤساء المذاهب من علماء الإسلام إلا طريق الإجلال والإعظام، وها هو الإمام علي بن موسى الرضا مع جلالة قدره ونباهَةِ ذكره، وكمال علمه وهداه وورعه وتقواه قد كتب على ظهر كتابِ عهد المأمون له ما يُنبِئُ عن وفور حمده، وقبول عهده، والتزام ما شرط عليه، وإن كتب في آخره: والجامعة والجفر يدلان على ضد ذلك، ثم إنه دعا للمأمون بالرضوان فكتب في أثناء أسطر العهد تحت قوله: وسمَّيته الرضى، رضي الله عنك وأرضاك، وتحت قوله: ويكون له الإمرة الكبرى بعدي، بل جعلت فداك. وفي موضع آخر: وصلتك رحم وجُزيت خيراً وهذا العهد بخطِّهما موجود الآن في المشهد الرضوي بخُراسان.

وآحاد الشيعةِ في هذا الزمان لا يسمحونَ لكبار الصحابة بالرضوان فضلاً عن بني العباس فقد رضوا رأساً برأس. ومن البيِّن الواضح في هذا الباب ما كتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فقد جعلت لآل بني كاكلة على كافة بيت المسلمين كل عام مائتي مثقال ذهباً

عيناً إبريزاً كتبه ابن الخطاب، فكتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ أنا أول من اتَّبع أمر من أعزَّ الإسلام ونَصَرَ الدين والأحكام عمر بن الخطاب، ورسمتُ بمثل ما رسم لآل بني كاكلة في كل عامٍ مائتي دينار ذهباً عيناً إبريزاً، واتَّبعت أثره، وجعلت لهم بمثل ما رسم عمر، إذ وَجَبَ عليَّ وعلى جميع المسلمين اتِّباع ذلك، كتبه علي بن أبي طالب. وهذا بخطهما موجود الآن في ديار الهراق اهـ كلام العلامة الثاني النفيس وقد توفي رحمه الله سنة ٧٩٢.

وقد علم أنَّ الحقيق بالخلافة بعد الأئمة الثلاثة هو الإمام المرتضى والوليُّ المجتبى أبو الحسن علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه باتفاق أهل الحل والعقد عليه.

وفي «شرح المقاصد» أيضاً عن بعض المتكلمين، أنَّ الإجماع انعقدَ على ذلك، ووجهُ انعقاده أنَّ أهل الشورى اتفقوا على أنها له أو لعثمان، وهذا إجماعٌ على أنه لولا عثمان لكانت لعلي، فحين انتهت خلافة عثمان بقتله من البيِّن أنها بقيت لعليٍّ إجماعاً، ومن ثم قال إمام الحرمين: ولا اكتراث بقول مَنْ قال: لا إجماع على إمامة عليّ فإن الإمامة لم تُجحَد له وإنما هَاجَت الفتنة لأمور أخرى.

قلت: لقد صَدَق وأجاد أبو المعالي، فإنَّ الصحابة الذين حَاربوه كطلحة وعائشة ومن مَعَهما ومعاوية ومَن معه لم يدفعوا إمامته، وإنما حجَّةُ طلحة ومن مَعَه المبادرة إلى القِصاص من قَتَلَة عثمان قبل كل شيء، وحجَّة معاوية ومن معه دفعهم لهم ليقتصُّوا منهم، لأنَّ كثيراً منهم في جيشِهِ، ثم بعد ذلك يبايعونه، وكان أميرُ المؤمنين علي رضي الله عنه رأى تأخير أخذ القِصاص منهم حتى يَسْتوثق الأمن وتنعقد البيعة العامة، فيجري القضاء عليهم حينئذ بالحق، لأنهم ليسوا أفراداً قليلين، بل هم مئون من أمصار مختلفة من مصر ومن البصرة ومن الكوفة ومن قبائل شتى، فلو تَعَاطى القِوَدَ منهم حالاً لتعصَّبت لهم قبائل كثيرة، وصارَت حرباً ثالثة، وقد حَصَل ذلك للزبير وطلحة وعائشة رضي الله عنهم لما حاولوا ذلك في البصرة فقط خَرَجت عنهم عبد القيس بأكملها، وغضبت ستة آلاف سيف من بني تميم لحرقوص بن زهير لما طلبوه فاعتزلوا عنهم، واتَّسع الخرق عليهم، فكان رأيُه رضي الله عنه في هذه الكارثة أسدَّ وأصوب منهم جميعاً وأصلاً اقتبس منه أحبار الأمة.

فمن قاعدته: اتَّفق علماء الإسلام على أنَّه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدَّى ذلك إلى إثارة الفتنة، أو تشتيت الكلمة، على أنَّ حرب الجمل كانت فلتةً من غير قَصْدٍ من الفريقين، بل كانت تهييجاً من قَتَلَةِ عثمان رضي الله عنه،

حيث صاروا فرقتين، واختلطوا بالعسكرين، وأقاموا الحرب خوفاً من القِصاص منهم إذا اتّفق الفئتان.

الحديث الثالث: أخرج الشيخان عن سَهل بن سعد، والطبراني عن ابن عمر وأبي ليلى وعمران بن حصين، والبزّار عن ابن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: **«لأعطِيَنّ الرّايَةَ غَداً رَجُلاً يَفتَحُ اللّهُ على يَدَيهِ، يُحِبُ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللّهُ وَرَسُولُهُ، فباتَ الناسُ يدوكون** ـ أي يخوضون ـ **ويتحدثون أيُهم يعطاها؟ فقال أينَ عليُّ بنُ أبي طالِبٍ؟ فقيل: يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتى** به، **فبصقَ رسولُ اللّهِ ﷺ في عَينَيهِ، وَدعَا لَهُ فَبَرأ حتى كأنْ** لم يَكُنْ بِهِ **وَجَعٌ فأعطاهُ الرّاية»**.

وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كانت فاطمة أحبَّ الناس إلى رسول الله ﷺ وزوجها عليّ أحب الرجال إليه».

الرابع: أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ عَليّاً وفاطِمة وحسَناً وَحُسيْناً فقال: **«اللّهمّ هؤلاء أهلي»**.

الخامس: أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن بُريدة قال: قال ذلك رسول الله ﷺ: **«إنّ اللّهَ أمرني بحُبّ أربَعَة**

وأخبرني أنّهُ يُحِبّهُم، قيل: يا رسول الله سمّهم لنا؟ قال: عليٌّ منهم يقول ذلك ثلاثاً وأبو ذر والمقداد وسلمان».

السادس: أخرج مسلم عن عليٍّ رضي الله عنه قال: «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة إنه لعهدُ النبيِّ الأمي إليَّ أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق».

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً.

السابع: أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجَة عن حبشي بن جنادة قال: قال رسول الله ﷺ: **«عَليٌّ مِنّي وَأنَا مِن عَلي، وَلا يُؤدّي عنّي إلاّ أنَا أوْ عَليٌّ»**.

الثامن: أخرج الترمذي عن ابن عمر قال: آخى النبيُّ ﷺ بين أصحابه، فجاء عليّ تَدْمَعُ عيناه، فقال: يا رسول الله آخَيْت بين أصحابك ولم تؤاخِ بيني وبين أحدٍ، فقال ﷺ: **«أنت أخِي في الدُّنيا والآخِرَةِ»**.

التاسع: أخرج الطبراني والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غَضِبَ لم يجترىء أحدٌ أن يكلمه إلا عليّ.

العاشر: أخرج الحاكم وصححه عن علي قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقلت: يا رسول الله

بعثتني وأنا شابٌ أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء، فضرب صدري بيده، ثم قال: اللهم اهْدِ قلبَه وثبِّت لسانه، فوالذي فَلَقَ الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين.

الحادي عشر: أخرج أبو يعلى والبزار عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من آذى علياً فقد آذاني**».

الثاني عشر: أخرج الطبراني بسندٍ حسن عن أمّ سلمة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من أحب علياً فقد أحبَّني، ومن أحبَّني فقد أحبَّ الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله**».

الثالث عشر: أخرج أحمد والحاكم بسندٍ صحيح عن أبي سعيد الخدري أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي: «**إنك تقاتلُ على تأويل القرآن كما قاتلتَ على تنزيله**».

الرابع عشر: أخرج أبو يعلى والبزّار والحاكم عن عليٍّ قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**إن فيك مثلاً من عيسى أبغضتهُ اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى نزّلوه بالمنزل الذي ليس به**»؛ ألا وإنه يهلك فيَّ اثنان: محبٌ مفرطٌ يقرظني بما ليس في، ومبغضٌ يحمله شنآني على أن يبهتني.

الخامس عشر: أخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي: «**أشقى النَّاسِ رَجُلانِ: أحيمِرُ ثمُودَ الذي عَقَرَ النَّاقة، والذي يضْرِبُك يا عَليّ على هذِهِ** - يعني قرنه - **حَتى يَبُلَّ منْهُ هذِهِ** - يعني لحيته -».

وقد ورد هذا من حديث عليّ وصهيب وجابر بن سمرة وغيرهم.

السادس عشر: أخرج الطبراني في «الأوسط» عن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**عليٌّ مَعَ القُرْآنِ، والقُرْآنُ مَعَ عليٍّ، لا يفتَرِقانِ حتَّى يَرِدَا عليّ الحَوضَ**».

السابع عشر: أخرج الطبراني عن ابن مسعود أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ الله تَبارَكَ وتعالى أمَرَني أنْ أزَوِّجَ فاطِمَةَ مِن عليّ**».

الثامن عشر: أخرج الطبراني عن جابر، والخطيب عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ الله جَعَلَ ذرِّية كلِّ نبيٍّ في صُلبِهِ، وجَعَلَ ذُرِّيَّتي في صُلبِ عليِّ بنْ أبي طالب**».

التاسع عشر: أخرج أبو نُعيم وابن عساكر عن ابن أبي ليلى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الصِّدِّيقُون**

ثلاثةٌ: حبيب النَّجّارُ مؤمنُ آل ياسينَ نالَ: **يا قوم اتّبعُوا المرسَلينَ**، وحزقِيلُ مُؤمنُ آلِ فرعَونَ الذي قالَ: **أتقتُلونَ رجلاً أنْ يقُول رَبّيَ اللّهُ**، وعليُّ بن أبي طالبِ **وهُو أفضلُهم**» .

العشرون: أخرج الترمذي والحاكم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **إنّ الجنةَ لتَشتَاقُ إلى ثلاثةٍ: علي وعمّار وسلمَان**.

* * *

إخباره صلى الله عليه وسلم بالخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة والزنادقة وبافتراق أمَّتِهِ على ثلاث وسبعين فرقة وبلعن آخر هذه الأمة أوَّلها وغير ذلك

أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: بَيْنا نحن عند النبيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو يقسم قَسْماً إذ أتى ذُو الخُوَيْصِرَة فقال: يا رسول الله اعدل، قال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ خِبْت وخَسِرت إن لم أكن أعدل، قال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: دعَهْ فإنَّ له أصحاباً يَحقِر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ومثل البضعة تدَرْدر، يخرجون على خير فرقة من الناس».

قال أبو سعيد: فاشهد أني سمعت هذا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وأشهد أنَّ علي بن أبي طالب قاتلهم وأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد، فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي نعته.

وأخرجه أبو يعلى، وزاد في آخره: فقال عليٌّ: أيُّكم يعرف هذا؟ فقال رجل من القوم: هذا حرقوص وأمُّه ههنا، فأرسل إلى أمّه فقال لها: ممَّن هذا؟ فقالت: ما أدري إلا أني كنتُ في الجاهلية أرعى غنماً لي بالرَّبَذة، فغشيني شيء كهيئة الظلمة فحملت منه فولدت هذا».

وأخرج مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلها أولى الطائفتين بالحق».

وأخرج مسلم أيضاً عن عَبيدةَ السَّلماني قال: لما فرغ عليٌّ من أصحاب النهر قال: ابتغوا فيهم إن كانوا القوم الذين ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فإن فيهم رجلاً مخدج اليد فابتغيناه فوجدناه، فدعوناه إليه فجاء حتى قام عليه، فقال: الله أكبر ثلاثاً واللهِ لولا أن تبطروا لحدَّثتكم بما قَضَى الله على لسان رسولِ الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن قتل هؤلاء، قلت: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؟ قال: إي وربِّ الكعبة ثلاث مرات.

وأخرج الحاكم عن سعيد بن جَهْمان قال: أتَيتُ عبد الله ابن أبي أوْفى رضي الله تعالى عنه، قال: ما فعل أبوك؟ قلت: قَتَلتْهُ الأزارقة. قال: لعنهم الله تعالى، حدثنا

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «أنهم كلاب النار».

وأخرج ابن أبي شَيْبة عن أَنَس رضي الله تعالى عنه قال: ذكروا رجلاً عند النبيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم، فذكروا قوَّته في الجهاد واجتهاده في العبادة، فإذا هم بالرجل مُقْبِلاً، فقال النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم: إني لأرى في وَجْهه سَفْعَة من الشيطان، فلما دنا سلَّم، فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: هل حدثت نفسك بأنه ليس في القوم أحد خيراً منك؟ فقال: نعم، ثم ذهب فاختطَّ مسجداً، ووقف يصلِّي، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: مَنْ يقوم إليه فيقتله؟ فقام أبو بكر، فانطلق فوجده يصلي فرجع، فقال: وجدته يصلِّي، فهبتُ أن أقتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيُّكم يقوم إليه فيقتله؟ فقال عليٌّ أنا قال: أنت إنْ أدركته، فذهب فوجَدَهَ قد انصرف، فرجع، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «هذا أول قرنٍ خَرَج من أمتي لو قتلته ما اختلفَ اثنان بعده من أمتي».

وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند، والبزار وأبو يعلى والحاكم عن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن فيك من عيسى مثلاً أبغضته اليهود حتى بهتوا أمَّه، والنصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها».

قال عليٌّ رضي الله تعالى عنه: «ألا وإنه يهلك فيَّ اثنان محبٌ مفرط يقرظني بما ليس فيَّ، ومبغض يحمله شَنَآني على أن يبهتني».

وأخرج البيهقي عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«يكون في أمتي قومٌ يُسمَّون الرافضة يرفضون الإسلام»**.

وأخرج الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **«ما بعث الله نبياً قط إلا وفي أمته قدرية ومرجئة يشوشون عليه أمر أمته»** .

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«القدرية والمرجئة مجوسُ هذه الأمة»** .

وأخرج الطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «صِنفان من **أمتي ليس لهم في الإسلام نصيبٌ: المرجئة** والقَدَرية» .

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم: «لعلك أن تبقى بعدي حتى تدرك قوماً يكذبون بقدر الله الذنوب على عباده، فإذا كان ذلك فابرأ إلى الله منهم».
قوله: بقدر الله الذنوب، أي: تقديره.

وأخرج البيهقي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر».

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: **«سيكون في هذه الأمة مَسْخٌ، وذاك في المكذِّبين بالقدر والزنديقية»**.

وأخرج البزَّار والطبراني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنَّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: **«أخِّر الكلام في القدر لشرار هذه الأمة»**.

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: **«سيكون في أمتي مسْخٌ وقذف وهو في أهل الزندقة»**.

وأخرج الطبراني عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم:

«إنَّ أمتي لا تزال مُتَمسِّكةً بدينها ما لم يكذبوا بالقدر فعند ذلك هلاكهم».

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: **«سيجيءُ أقوامٌ في آخر الزمان وجوههم وجوه الآدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين، لا يرعوون عن قبيح إن تابعتهم آردوك، وإن توارَيْت عنهم اغتابوك، وإن حدَّثوك كذبوك، وإن ائتمنتهم خانوك، صبيُّهم عارم، وشابُّهم شاطر، وشيخهم لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، الاعتزاز بهم ذل، وطلب ما في أيديهم فقر، الحليم فيهم غاوٍ والآمر فيهم بالمعروف متَّهم، والمؤمن فيهم مُسْتَضْعَفٌ، والفاسق فيهم مشرَّف، السنة فيهم بدعة، والبدعة فيهم سنة، فبعد ذلك يسلِّط الله عليهم شرارهم، ويدعو خيارهم فلا يستجاب لهم».**

العارم: الخبيث الشرير، والشاطر: البعيد عن الحق.

وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: **«يأتي على الناس زمان يخيَّر فيه الرجل بين العجز والفجور، فمن أدرك ذلك الزمان فليختر العجز على الفجور».**

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: **«سيصيبُ أمتي داءُ الأمم، قالوا: يا رسول الله وما داء الأمم؟ قال: الأشَرَ والبَطَر والتدابُر والتنافُس والتباغُضُ والبُخل حتى يكون البغيُ ثم يكون الهرج».**

وأخرج الإمام أحمد والطبراني عن بعض الصحابة قال: سمعتُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: **«لن تذهبَ الدنيا حتى تكون للكع بن لكع».**

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن المسْتَورد بن شدَّاد قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: **«يذهب الصالحون، الأوَّل فالأول، وتبقى حثالة كحثالة التمر لا يبالي الله بهم».**

وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: **«أول ما يرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة وآخر ما يبقى فيها الصلاة».**

وأخرج الحاكم عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: **«يكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة»** القراء: العلماء.

وأخرج الحاكم وصححه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «**إنَّ أخوفَ ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط**».

وأخرج الزبير بن بكار في «الموفقيات» عن عمر بن حفص قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «يأتي على الناس زمان تتخذ الملوك الحج نزهة، والأغنياء تجارة، والفقراء مسألة».

وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن بكر بن سوادة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «**سيكون قوم من أمتي يولدون في النعيم، ويغذون به همّتهم ألوان الطعام وألوان الثياب يتشدقون بالقول أولئك شرار أمتي**».

وأخرج البيهقي في الزهد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «**يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من هَرَب بدينه من شاهق إلى شاهق، ومن حجر إلى حجر، فإذا كان ذلك الزمان لم تنل المعيشة إلا بسخط الله، فإذا كان ذلك كذلك كان هلاك الرجل على يدي زوجته وولده، فإن لم يكن له زوجة ولا ولد كان هلاكه على يدي أبويه، فإن لم يكن له أبوان كان هلاكه على يدي قرابته والجيران، قالوا:**

كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «يعيِّرونه بضيق المعيشة، فعند ذلك يُورِدُ نفسه الموارد التي تهلك فيها».

وأخرج البخاريُّ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ليأتينَّ على الناس زمان لا يبالي بما أخذ المال بحلال أو بحرام**».

وأخرج أبو داود والبيهقي عن ثَوْبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «**يوشكُ الأمم أن تَدَاعى عليكم كما تَدَاعى الأَكَلَة إلى قَصْعَتِها، فقال قائل: ومن قِلَّةٍ نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم كثير، ولكنكمُ غثاء كغثاء السَّيل، ولينزعنَّ الله تعالى من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهَنَ قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حبُّ الدنيا وكراهية الموت**».

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنَّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «**افترق اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وافترق النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**».

وأخرج الحاكم والبيهقي عن معاوية رضي الله تعالى

عنه قال: قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «إنَّ أهل الكتاب تفرَّقوا في دينهم على اثنتين وسبعين مِلَّة، وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ملة» - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، ويخرج في أمتي أقوام تَتَجارى تلك الأهواء بهم كما يَتَجارى الكلَبُ بصاحبه فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله».

وأخرج الحاكم عن ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «يأتي على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى لو كان فيهم من نكح أمه علانيةً كان في أمتي مثله، إنَّ بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة، قيل: ما هي؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

وأخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لتركبُنَّ سَنَن من كان قبلكم شِبْراً بشبر، وذِرَاعاً بذراع، وباعاً بباع، حتى لو أنَّ أحدهم دَخَل جُحْر ضَبٍّ لدخلتم، وحتى لو أنَّ أحدهم جامع أمه لفعلتم».

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «أنتم أشبه الأمم

ببني إسرائيل، لتركبنَّ طريقهم حذو القذة بالقذة، حتى لا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله، حتى أن القوم لتمر عليهم المرأة فيقوم إليها بعضهم فيجامعها، ثم يرجع إلى أصحابه يضحك إليهم ويضحكون إليه».

وأخرج الطبراني عن عَوْفِ بن مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «كيف أنت إذا افترقت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة؟ واحدة في الجنة وسائرهن في النار. قلت: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال إذا كَثُرَت الشُّرط، وملكت الإماء، وقَعَدت الحملان على المنابر واتُّخِذَ القرآن مزامير، وزُخرفت المساجد، ورُفِعتَ المنابر، واتُّخِذَ الفَيْءُ دولاً، والزكاة مغرماً، والأمانة مغنماً، وتُفُقِّهَ في الدين لِغَير الله، وأطاع الرجل امرأتَهُ، وعقَّ أمَّه، وأقصى أباه، ولَعَن آخر هذه الأمة أولَهَا، وسادَ القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُكرم الرجل اتِّقاء الشر، فيومئذ يكون ذلك» الحديث.

وأخرج الترمذي عن علي رضي الله تعالى عنه، عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خَصلة حلَّ بها البلاء، إذا كان المغنم دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وأطاع الرجل زوجته، وعقَّ أمه، وبرَّ صديقه، وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان

زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، **وشُرِبت** الخمور، **ولُبِسَ الحرير، واتُّخِذَت القينَات والمعازف، ولَعَنَ** آخرُ هذه **الأمة أوَّلَها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو** خسفاً **أو مسخاً»**.

وأخرج البغوي وغيره: **«أنه لا تذهب هذه الأمة حتى** يلعن آخرها **أولها»**.

وأخرج ابن ماجة عن جابر رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: **«إذا لعن آخر** هذه الأمة **أولها فمن كتم حديثاً فقد كتم ما أنزل الله»**.

وأخرج ابن عساكر في «تاريخه» عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، عنه عليه الصَّلاة والسَّلام أنه قال: **«إذا ظَهرت البدع، ولعَن آخرُ هذه الأمّة أوّلَها، فمن كان عندَه علمٌ فَلْيَنْشره، فإنَّ كاتمَ العلم يومئذٍ ككاتم ما أنزلَ اللّهُ على محمَّدٍ صلّى الله تعالى عليه وسلّم»**.

وقد فرغتُ من تحريره في يوم الخميس الموافق ٢٦ من ربيع الثاني في عام ١٣٦٨ للهجرة النبوية، والحمد لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصَّالحات.

* * *

الفهرس